# معاوية بن أبي سفيان

## مقوماته الدينية والسياسية

تأليف
باقر شريف القرشي

تحقيق
مهدي باقر القرشي

# معاوية بن أبي سفيان

## مقوماته الدينية والسياسية

# معاوية بن أبي سفيان

## مقوماته الدينية والسياسية

تأليف
باقر شريف القرشي

تحقيق : مهدي باقر القرشي

# معاوية بن أبي سفيان

## مقوماته الدينية والسياسية

تأليف : باقر شريف القرشي

تحقيق : مهدي باقر القرشي

الناشر : ..... ماهر

المطبعة : ..... ستار

الطبعة الأولى : ..... ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م

عدد النسخ : ..... ١٠٠٠ نسخة

حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف

ISBN 978 _ 600 _ 5995 _ 0 _ 6

٦ - ٠ - ٥٩٩٥ - ٦٠٠ - ٩٧٨ ردمك

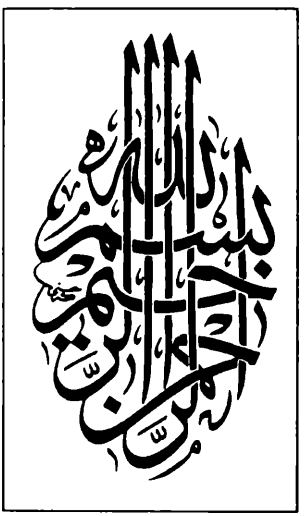

# كلمة المحقق

بسم الله الرحمن الرحيم

أبو سفيان وأُسرته من الرموز الذين حاربوا الإسلام منذ فجر الدعوة الإسلاميّة، حيث كانوا يمثّلون قوى الشرّ والباطل والحقد والغدر والارهاب، فأبو سفيان قاد الجيوش وشنّ الحروب ضدّ النبيّ صلى الله عليه وآله والمسلمين، وبكلّ قوّة، ومن بعده معاوية حارب وصيّ النبيّ صلى الله عليه وآله ثمّ يزيد الفسق والفجور قتل سيّد شباب أهل الجنّة الإمام الحسين عليه السلام. وقد عاشت الأُمّة الإسلاميّة المأساة الكبرى منذ رحيل النبيّ صلى الله عليه وآله إلى الفردوس الأعلى إلى يوم الناس هذا.

فهذه المأساة وليدة السياسة القرشيّة التي نهجها الشيخان في صرف الخلافة عن أهل بيت النبوّة والعصمة، ومهبط الوحي والتنزيل، ومعدن العلم، ممّا سبّب تسلّط معاوية وبني أُميّة على الحكم وترسيخ الفكر الجاهلي الوثني واندلاع الحروب وإزهاق النفوس، وتشتيت شمل الأُمّة.

إنّ مناصرة معاوية وبني أُميّة هي مناصرة الشرّ على الخير، والباطل على الحقّ والطغيان على العفو والتسامح.

إنّ هذا الكتاب ـ أيّها القارئ الكريم ـ هو دراسة تحليليّة لمقوّمات وواقع رمز الطغيان معاوية. فلا بدّ للأفكار النيّرة والعقول المشرقة من الاطّلاع على الوقائع والحقائق التاريخيّة، وإبرازها للمجتمع من دون

غموض وإسدال الستار.

فقد قام سماحة العلّامة والدنا الكريم بهذه الدراسة الوافية، وهو في حالة صحّيّة غير مستقرّة، ونحن في سفرنا للهند للعلاج، وهو على سرير المرض ويعاني من شدّة المرض، وأنا وأخي الفاضل الدكتور عبّاس في صحبته نقدّم له الكتاب تارة والدفتر تارة أُخرى، وبين حين إلى آخر، وهو يبحث ويكتب، فإنّي أرفع يدي بالدعاء له بالعافية والصحّة وأنْ يمدّ في عمره الشريف الذي هو جهاد وعطاء، فشكر الله مساعيه.

ونحن نحمد الله عزّ وجلّ على ما وفّقنا إليه من التحقيق ومراجعة مصادر هذا الكتاب وإبرازه للنشر.

والحمد لله ربّ العالمين

مهدي باقر القرشي

١٠ **شهر رمضان المبارك** ١٤٣١هـ

# تقديم

## ١

معاوية بن أبي سفيان من أبرز شخصيّات قريش ، ومن أكثرهم تفانياً في الولاء لهم ، والتبنّي لتقاليدهم ، والحرص على إعادة سيادتهم التي حطّمها الإسلام في ثورته الخالدة .

ولمّا آل إليه الحكم بمكره وخداعه لعب دوراً خطيراً في تغيير الأوضاع الاجتماعيّة التي أقامها الإسلام في حضارته ، فوضع مناهج سياسته مع الخطّ القرشي بجميع مقوّماته ، وإعادة السيادة لقريش ، وقد أنفق الملايين من الأموال التي اختلسها من بيت المال لإقصاء الحضارة الإسلاميّة عن الصعيد الاجتماعي ومحو ما حقّقه الإسلام من التطوّر في حياة الأُمم والشعوب .

ويعرض هذا الكتاب بصورة أمينة إلى الاستدلال على ذلك معتمداً على الوثائق التاريخيّة التي تحكي ذلك ، فإنّها لها الحكومة في الدراسات الجادّة للأحداث .

## ٢

والشيء المؤكّد أنّ معاوية تأثّر بسلوك أبيه وطباعه ، فكان صورة عنه

يحكيه في اتّجاهاته وميوله ، وقد كان أبو سفيان من أسياد قريش ، وعميد الأُسرة الأمويّة ، ومن أهمّ المرابين في مكّة ، وقد استطاع بمعاملاته الربويّة أن يظفر بالثراء العريض الذي أنفق معظمه في محاربة الإسلام .

ولمّا انفجرت الدعوة الإسلاميّة المباركة في مكّة استهدفت تدمير الجاهليّة بأصنامها وتقاليدها ، وكان من أعظم المتضرّرين بها أبو سفيان ، وبقيّة رموز القرشيّين كأبي جهل وأمثاله من الذين عاشوا على استغلال الفقراء ، واستعباد الضعفاء ، فحاربوا الإسلام بجميع ما يملكون من قوّة .

ولمّا انتصر الإسلام ودخل أبو سفيان فيه كُرهاً وقلبه مطمئنّ بعقيدته لم تتغيّر شعرة من أفكاره الجاهليّة ، وبعد الانقلاب المدمّر الذي مُني به المسلمون بعد وفاة النبيّ العظيم الذي كان من نتائجه المؤسفة أنّ الحكم وسيادة الأُمّة صار لبني أُميّة ، فامتلأ قلب أبي سفيان فرحاً وراح يعلن عقيدته وكفره أمام عميدهم عثمان بن عفّان ، فلم يلق منه عتاباً ولا عقاباً .

وعلى هذا الخطّ الجاهليّ سار ابنه معاوية ، فقد أفلس إفلاساً تامّاً من العقيدة الإسلاميّة ، ولم يعد لها أي إشعاع على ضميره المتعفّن ، وراح يعمل بقوّة ونشاط على محق الإسلام وتدمير حضارته وأحكامه .

## ٣

وكان من غرور معاوية وزهوه أنّه أعلن في بعض كلماته أنّه نفس الزمان يضع من يشاء ويرفع من يشاء ، قال ذلك لمّا استوسقت له

الأُمور، وصفا له الملك، وكان يعني بذلك تدمير منزلة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وتحطيم مكانته الاجتماعيّة، وقد رصد جميع طاقاته للنيل منه وسبّه على المنابر، وفي صلاة الجمعة والأعياد ومعاهد التعليم، ولكنّ الزمن قد عاكسه، فلم يحقّق ما كان يصبو إليه، فقد انطوت الأحقاب ومعاوية وجميع أجهزته في مزبلة التاريخ، فقد انكشف واقعه فليس له أي رصيد في المجتمع الإسلامي سوى الاحتقار والاذلال، أمّا الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فهو رائد العدالة الكبرى، والرمز المقدّس للإسلام، قد احتلّ عواطف الناس متّفقين ومختلفين، فليس في أُسرة شهداء الفضيلة ورموز العدالة مثل ما للإمام أمير المؤمنين عليه السلام من التقديس والتعظيم.

## ٤

وكان من موبقات معاوية أنّه قام بدور خطير لإفساد عقيدة المسلمين وتشويه الإسلام، حيث أقام لجاناً لوضع الأحاديث المنكرة وإضافتها إلى النبيّ العظيم صلى الله عليه وآله، وقد افتعلت مئات الأحاديث التي تحمل طابع المنكر والضلال، فقد صوّرت بعضها الخالق الحكيم بصورة الإنسان، وانّه ينزل إلى السماء الدنيا، وأنّه يرسل رجله يوم القيامة في نار جهنّم فتقول له: قط بكرمك اكتفيت، وقد اعتمد في افتعال الحديث على كعب الأحبار وتلميذه شيخ المضيرة أبو هريرة الدوسي، وأمثاله من الذين باعوا دينهم، وقد أمدّهم معاوية بالثراء العريض.

إنّ افتعال الأحاديث من أعظم ما رزئ به الإسلام من النكسات، فقد دوّنت في الصحاح والسنن، واعتقد بها فريق من المسلمين أنّها جزء من حياتهم الإسلاميّة، وهي مجموعة من الأضاليل والخرافات.

## ٥

واستهدف معاوية بعد الصلح شيعة أهل البيت عليهم السلام ، فأشاع فيهم القتل والتنكيل ، فسلّط عليهم عصابة من الارهابيّين والمجرمين ، أمثال بسر بن أبي أرطاة والمغيرة بن شعبة ، وكان من أقساهم اللقيط زياد بن أبيه الأخ اللاشرعي له ، فقد أسرف في ظلم الشيعة ، فسمل منهم العيون ، وقطع الأيدي والأرجل ، وأعدم على الظنّة والتهمة .

كما أصدر معاوية مرسوماً عمّمه لجميع ولاته بحرمان الشيعة من العطاء وعدم قبول شهادتهم في مجالس القضاء وكثير من أمثال هذه المحن الشاقّة واجهتها الشيعة في عهده وأيّام الحكم الأموي الظالم .

## ٦

وليس من الوفاء للإسلام ولا للقيم الإنسانيّة أن يمجّد معاوية ويحسب على قائمة الصحابة ، فإنّ ذلك من المهازل التي تنطوي على ضحالة الفكر وقصر الفهم .

لقد تجرّد معاوية من جميع القيم الإسلاميّة ، وجرّ للمسلمين المحن والخطوب ، وألقاهم فى شرّ عظيم ، فكيف يدرج في قائمة الصحابة الأخيار ويضفى عليه ألواناً من المدح والثناء ، إنّ الذين يتولّونه ويسيرون على خطّه لفي ضلال مبين .

إنّ الإسلام الذي منَّ الله تعالى به على عباده يجب أن ينزّه عن معاوية وأمثاله من الخونة واللصوص الذين لا يرجون لله تعالى وقاراً .

## ٧

إنّ قيمة الإنسان ومكانته في الإسلام منوطة بما يصدر منه من الأعمال ، فإن كانت صالحة فله أجره عند الله تعالى ، وإن كانت سيّئة فيحاسب ويعاقب عليها ، وقد أعلن ذلك كتاب الله تعالى بقوله : ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ * ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ ﴾ (١).

وقال : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ ﴾ (٢).

وقد أغرق الله تعالى ابن نوح وجعله من الهالكين لأنّه عمل عملاً غير صالح مع علاقته الوثيقة بأبيه ، وكذلك أهلك امرأة نوح ولوط ، وقد قال النبيّ ﷺ : « إِنَّ اللهَ تَعالىٰ خَلَقَ الْجَنَّةَ لِمَنْ أَطاعَهُ ، وَإِنْ كانَ عَبْداً حَبَشِيّاً ، وَخَلَقَ النّارَ لِمَنْ عَصاهُ ، وَإِنْ كانَ سَيِّداً قَرَشِيّاً » ، فليست القرابة ولا الصحبة للنبيّ ﷺ منجية للشخص إذا شذّ عن الطريق القويم ، واقترف ما حرّم الله تعالى من إثم .

## ٨

وأهمّ ما تحتاج إليه المكتبة الإسلاميّة الدراسة الواعية للأحداث الجسام التي جرت بعد انتقال النبيّ ﷺ إلى حظيرة القدس ، فقد أدّت

---

(١) النجم ٥٣ : ٣٩ ـ ٤١.

(٢) الزلزلة ٩٩ : ٧ و ٨.

إلى تصديع كلمة المسلمين ، وتدمير وحدتهم ، وتعدّد مذاهبهم .

وكان من أفجع ما مني به المسلمون من الرزايا والنكبات إبعاد العترة الطاهرة عن قيادة الأُمّة وجعلها بمعزل عن الواقع الاجتماعي والسياسي ، ومعاملتها بكلّ قسوة وجفاء ، فلم يرع الأمويّون الذين قفزوا إلى الحكم حرمة النبيّ ﷺ في عترته ، فلم تمض على انتقاله إلى جنّة المأوى خمسون عاماً وإذا برؤوس أبنائه على أطراف الرماح يطاف بها في الأقطار ، وعقائل النبوّة ومخدّرات الوحي سبايا في قيد الأسر ، يتصفّح وجوههنّ القريب والبعيد ، فكان هذا جزاء النبيّ ﷺ الذي برّ بدين العرب ودنياهم ، وأخرجهم من حياة التيه في الصحراء ، وأقام لهم دولة سادت دول العالم ، فكان هذا جزاؤه منهم .

## ٩

إنّ الطلائع الواعية من ذوي الأقلام الصقيلة والأفهام البارعة مدعوّون إلى دراسة التاريخ الإسلامي بدقّة وإمعان ، والنظر في وثائقه ليقدّموا الصور الصحيحة عنه إلى معاهد التربية والتعليم ، ويلتزموا جانب الحياة والمنهج العلمي لتكون دراستهم منهجيّة ومنسجمة مع الواقع الذي نحن أحوج ما نكون إليه .

لقد تفتّحت أبواب العلم ، ووصل الإنسان إلى أرقى مستويات التطوّر والإبداع ، وذلك بما تجود به عقول العلماء في مختلف أنواع العلوم .

وليس من المنطق أن يبقى التاريخ الإسلامي وقد خيّمت عليه غبار الطائفيّة التي جهدت على إشاعة الكذب والجهل .

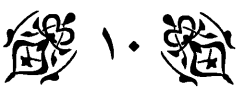

إنّ مقابلة المعروف بالمثل ، والإشادة بالقائمين به ضرورة إسلاميّة ، ومنهج رفيع من مناهج الحياة الإنسانيّة ، وإنّ من الوفاء أن أشيد بالألطاف التي أسدها علَيَّ الوزير العالم الشيخ افتخار انصاري الذي هو من مواضع الاعتزاز ، فإنّي حينما سافرت لطلب العلاج في الهند استقبلني ولده الفاضل عمران في مطار دلهي ، وقابلني بجميع صنوف التكريم ، وعهد سماحة الوزير إلى أخيه الدكتور أمجد برعايتي وملازمتي ، فصاحبني طيلة بقائي في المستشفى ، وأُقدّم لهم جزيل الشكر وخالص الدعاء ، وأجرهم على الله تعالى ، فهو وليّ ذلك والقادر عليه .

ناصر شريف القرشي

نزيل الهند . دلهي

١٥ محرّم الحرام ١٤٣١هـ

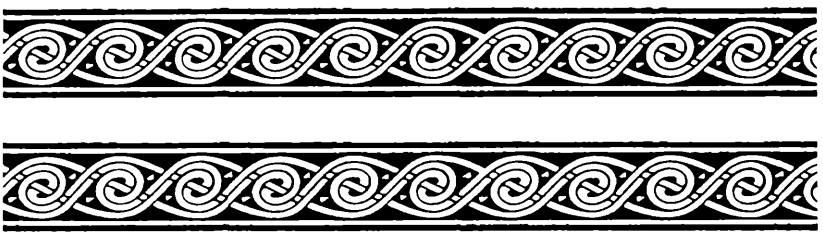

# أبواه وصفاته

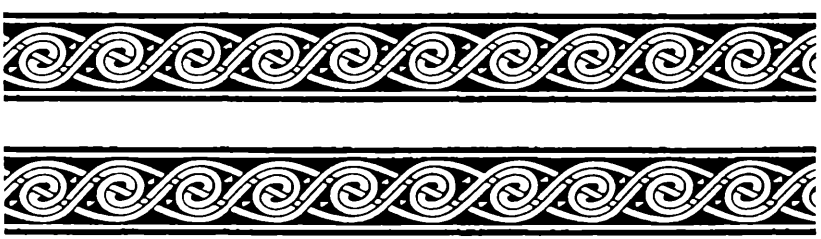

من البحوث المنهجيّة في دراسة الشخص البحث عن أبويه والتعرّف على سلوكهما، فإنّ لهما تأثيراً في سلوكه وكسب عاداته التي تلازمه طول حياته، وقد حكى القرآن الكريم في كثير من آياته هذه الظاهرة الذاتيّة، فقد أمر رسول الله ﷺ قومه بترك عبادة الأصنام فامتنعوا وقالوا له: ﴿**بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ**﴾[1]، وهكذا قال المشركون لأنبيائهم لمّا أمروهم بترك عبادة الأصنام.

يقول الشاعر العربي:

وَيَنْشَأُ ناشِئُ الفِتْيانِ مِنّا عَلىٰ ما كانَ عَوَّدَهُ أَبوهُ[2]

وقد سار معاوية على خطّ أبيه وأُمّه لم يتغيّر سلوكه عنهما في جميع مراحل حياته، وهذا عرض لسيرتهما حسب ما نقله الرواة:

## أبو سفيان

أمّا أبو سفيان فهو صخر بن حرب بن أُميّة[3]، كان زعيم قريش، وأكثرهم مالاً

---

(١) الزخرف ٤٣: ٢٢.

(٢) ديوان الشعر العربي على مرّ العصور: ٢٣: ٣٣١.

(٣) الاستيعاب: ٤: ١٤١٦.

وثراء ، فقد كان زعيم المرابين في مكّة ، وكانت له رحلة الشتاء والصيف إلى الشام ، فمنه يجلب ما يحتاج إليها بلده من الألبسة والمتاع ، وكانت له مكانة متميّزة في قومه ، وكان له نفوذ عليهم ، ونعرض بإيجاز لسيرته ومكوّناته النفسيّة .

## عبادته للأصنام

كان أبو سفيان ولعاً بحبّ الأصنام ، معتقداً بأنّ مجريات الأحداث تحت قدرتها ونفوذها ، فكان يقرّب لها القرابين ، ويسجد بخشوع لها ، ويدعو قومه لعبادتها والتقرّب إليها .

ولمّا طاف النبيّ ﷺ بالكعبة المقدّسة ، وهو يُنشد تحيّتها : « لَبَّيْكَ اللّٰهُمَّ لَبَّيْكَ ، إِنَّ الْحَمْدَ وَالْمُلْكَ لَكَ ، لَبَّيْكَ اللّٰهُمَّ لَبَّيْكَ ، لا شَريكَ لَكَ لَبَّيْكَ » انتفخ سحر أبي سفيان ، وورم أنفه ، وخاطب هبل صنمه بأعلى صوته قائلاً : « اعل هبل » .

فسخر منه النبيّ ﷺ وقال له : **يا أَبا سُفْيانَ ، اللهُ أَعْلىٰ وَأَجَلُّ** (١) .

وكانت هذه الظاهرة من ذاتيّاته ومقوّماته ، فقد تفانى في حبّ الأصنام ، وكان من أفجع ما رزئ به حينما اعتلى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام على كتفي رسول الله ﷺ وهو يقذف الأصنام التي كانت معلّقة على ظهر الكعبة حتّى انتهى إلى هبل صنم أبي سفيان ، وكان قد أحكم وضعه فقلعه ورمى به إلى الأرض ، وهو يتلو قوله تعالى : ﴿ **وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً** ﴾ (٢) ، وأمر النبيّ ﷺ بدفنه تحت باب شيبة ليطأه الوافدون إلى بيت الله الحرام بأقدامهم .

لقد كان من مقوّمات أبي سفيان العقائديّة تعظيمه للأصنام وهي الخصلة التي لازمته طوال حياته .

---

(١) صحيح البخاري : ٤ : ٢٧ .

(٢) الإسراء ١٧ : ٨١ .

## البخل

من صفات أبي سفيان أنّه كان شديد البخل حتّى على عياله، فلم يوفّر لزوجته هند ما تحتاج إليه من شؤون البيت، وكانت تسرق منه وتنفق على شؤونها، وقد عرضت ذلك على النبيّ ﷺ، وان أبو سفيان حاضراً فوهبها ما أخذته منه.

## الحسد

وظاهرة أُخرى من صفات أبي سفيان ومن نزعاته النفسيّة أنّه كان حسوداً، فقد حسد النبيّ ﷺ على سموّ مكانته، وعظيم شأنه.

وقد قال للعبّاس عمّ النبيّ ﷺ حينما اجتازت عليه جيوش المسلمين لفتح مكّة: لقد أصبح مُلك أخيك عظيماً. فردّ عليه العبّاس: إنّها النبوّة.

ولم يستطع أن يردّ عليه خوفاً من حدّ السيف فقال: إذن[1].

لقد أنفق أبو سفيان معظم ثرواته على محاربة النبيّ ﷺ حسداً له ولبني هاشم الذين سموا بالنبيّ ﷺ وعلوّ مكانتهم.

## النفاق

كان أبو سفيان من رموز المنافقين، فكان يظهر الإسلام بلسانه ويضمر الكفر في خفايا نفسه، وفي يوم اليرموك إذا ظهرت الروم يقول: إيه بني الأصفر، وإذا كشفهم المسلمون يستشهد بهذا البيت:

وَبَنو الأَصْفَر مُلوك الرُّ  وم لَمْ يَبْقَ مِنْهُم مَذْكور

وكان ضمن اثنى عشر رجلاً وقفوا في العقبة ليستنفروا ناقة النبيّ ﷺ[2].

---

(١) النزاع والتخاصم: ٥٨.

(٢) شرح نهج البلاغة: ٣: ١٠٢.

## عداؤه للنبيّ ﷺ

كان أبو سفيان من ألدّ أعداء النبيّ ﷺ ومن أكثرهم حقداً وعداءً، وقد أنفق معظم أمواله وثراءه في محاربته وتحريض القبائل ضدّه، فما من حرب اندلعت ضدّ النبيّ إلّا كان أبو سفيان قائدها والمحرّضين لها.

وهذا عرض لبعض مواقفه وشؤونه مع النبيّ ﷺ:

## موقفه مع مَن أسلم

وكان أبو سفيان شديد الانتقام ممّن أسلم، وكان أحد المعذِّبين لهم، وكان من مواقفه معهم أنّه باع دور المهاجرين من بني جحش على عمرو بن علقمة، وقيل فيه هذه الأبيات:

أَبْلِغْ أَبا سُفْيانَ عَنْ ... أَمرِ عَواقِبُهُ نَدامَه
دارَ ابْنِ عَمِّكَ بِعْتَها ... تَقْضي بِها عَنكَ الغَرامَه
وَحَليفُكُمْ بِاللهِ رَ ... بِّ النّاسِ مُجتَهِدُ القَسامَه
إِذْهَبْ بِها إِذْهَبْ بِها ... طُوِّقْتها طَوْقَ الحَمامَه[1]

## موقفه مع أبي طالب

وسار أبو سفيان مع جمع من قريش إلى أبي طالب فقالوا له: إنّ ابن أخيك سبّ آلهتنا، وعاب ديننا، وسفّه أحلامنا، وضلّل آباءنا، فأمّا أن تكفّه عنّا، وأمّا أن تخلّي بيننا وبينه، فزجرهم أبو طالب، ووقف إلى جانب النبيّ[2].

---

(١) السيرة النبويّة لابن هشام: ٢: ١٤٥.

(٢) السيرة النبويّة لابن هشام: ١: ٢٧٧.

## في دار الندوة

وهو أحد المجتمعين في دار الندوة الذين أجمعوا على أن يؤخذ من كلّ قبيلة شابّ ويعمدوا إلى قتل رسول الله ﷺ، فخرج النبيّ ﷺ في غلس الليل وأناب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام مكانه[١].

## واقعة بدر

احتلّت واقعة بدر مكاناً متميّزاً في تاريخ الإسلام، فقد فتح الله تعالى الفتح المبين لعبده ورسوله محمّد ﷺ، وأذلّ قريشاً التي جهدت على محاربة النبيّ ﷺ، فقد انطوت بهذه الواقعة معالم جاهليّتهم وغطرستهم، وهذه بعض فصول الواقعة:

## تجارة أبي سفيان

خرج أبو سفيان ومعه سبعون قرشيّاً في تجارة للشام، واشتروا بعض السلع التي تحتاجها بلدهم، وقفلوا راجعين لمكّة، وكان النبيّ ﷺ يتحيّن الفرص للاستيلاء على أموالهم لإضعافهم اقتصادياً، فقال لأصحابه: **هٰذِهِ عِيرُ قُرَيْشٍ فَاخْرُجوا إِلَيْها**[٢]، وانتهت الأنباء لأبي سفيان وخاف أن يعترضه المسلمون ويصادرون تجارتهم، ويقتلون مَن فيها، فاستنجد بقريش أن تحميه من المسلمين، وفزعت قريش بجميع أبنائها وطاقاتها المادّيّة لحماية أبي سفيان.

## نجاة أبي سفيان

وعلم أبو سفيان بخروج النبيّ ﷺ لمصادرة أموالهم، فهرب سريعاً ونجا بتجارته

---

(١) السيرة النبويّة لابن هشام: ٢: ٩٤.

(٢) تاريخ الأُمم والملوك: ٢: ١٣٦.

ومَن معه من فتيان قريش ، وراسل المكّيّين بنجاته إلّا أنّهم لم يستجيبوا له ، فقد غرّتهم كثرتهم ، واستضعفوا المسلمين ، وقد عذلهم بعض قادتهم من الحرب فاستخفّوا بهم وعيّروهم بالجبن ، وأصرّوا على مقابلة المسلمين واجتثاثهم .

## استشارة النبيّ ﷺ أصحابه

وانتهت الأنباء إلى رسول الله ﷺ بخروج قريش لحماية أبي سفيان ، وطلب منهم الرأي في التصدّي لهم ومناجزتهم .

**رأي أبي بكر:** وأشار أبو بكر على النبيّ ﷺ بترك الحرب قائلاً: « يا رسول الله ، إنّها قريش وخيلاؤها ، ما آمنت منذ كفرت ، ولا ذلّت منذ عزّت » .

فأمره النبيّ ﷺ بالجلوس ولم يرتض مقالته .

**رأي عمر:** وكان رأي عمر كرأي صاحبه أبي بكر ، فأمره النبيّ ﷺ بالجلوس ، وقد غاظه ذلك ، لأنّ الله تعالى وعده بالنصر .

**رأي المقداد:** وانبرى المقداد بعزم وبأس وشجاعة فقال لرسول الله ﷺ : « يا رسول الله ، إنّها قريش وخيلاؤها ، وقد آمنّا بك ، وصدّقنا وشهدنا أنّ ما جئت به الحقّ . والله لو أمرتنا أن نخوض حمر الغضا ، وشوك الهراس لخضناه معك ، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى : ﴿ **فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَا هُنَا قَاعِدُونَ** ﴾[1] ، ولكنّا نقول : امض لأمر ربّك فإنّنا معك مقاتلون » .

واستر النبيّ ﷺ بمقالة المقداد الذي حكى فيه عن إيمانه الصادق بالنبيّ ﷺ واستجابته المطلقة لدعوته .

**رأي الأنصار:** وطلب النبيّ ﷺ رأي بقيّة الصحابة ، وعنى رأي الأنصار ،

---

(١) المائدة ٥: ٢٤.

فقام سعد بن معاذ فقال للنبيّ ﷺ: بأبي وأُمّي يا رسول الله، كأنّك أردتنا؟

- نَعَمْ.

وانبرى سعد يحكي رأي الأنصار قائلاً: بأبي وأُمّي يا رسول الله، إنّا قد آمنّا بك وصدّقناك وشهدنا إنّ ما جئت به حقّ من عند الله تعالى، فمرنا بما شئت، وخذ من أموالنا ما شئت، واترك منها ما شئت، والله لو أمرتنا أن نخوض هذا البحر لخضناه معك، ولعلّ الله عزّ وجلّ أن يريك منّا ما تقرّ به عينك. فسر بنا على بركة الله تعالى.

وسرّ النبيّ ﷺ بمقالة سعد، وأمرهم بالمسير إلى ملاقاة العدوّ، وقال لهم: **سِيرُوا وَأَبْشِروا، فَإِنَّ اللهَ تَعالىٰ قَدْ وَعَدَني إِحْدَى الطّائِفَتَينِ، وَلَنْ يُخْلِفَ اللهُ تَعالىٰ وَعْدَهُ، وَاللهِ لَكَأَنِّي أَنْظُرُ إلى مَصْرَعِ أَبي جَهْلِ بْنِ هِشامٍ، وَعُتْبَةَ بْنِ رَبيعَةَ، وَشَيْبَةَ بْنِ رَبيعَةَ.**

وأمر النبيّ أصحابه بالرحيل إلى بدر ليلتقي مع عتاة قريش وينزل بهم ما وعده الله تعالى[1].

## التحام المعسكرين

زحف النبيّ ﷺ بأصحابه إلى بدر ليواجه العدوّ، وكان عددهم يزيد على ثلاثمائة مقاتل، وأمّا معدّاتهم العسكريّة فضعيفة، أمّا جيش العدوّ فبلغ زهاء ألف مقاتل، وأجهزتهم العسكريّة كانت قويّة، وقد أجرت قريش على جيش النبيّ ﷺ اختبارات متعدّدة، واستبان لهم عددهم وعدم وصول مدد لهم فتحمّسوا للحرب، وبدأوا بعمليّة القتال في اليوم السابع عشر من رمضان سنة ٢هـ، وقد برز منهم أبطال قريش وهم:

١ ـ عتبة بن ربيعة.

---

(١) تاريخ الإسلام: ٢: ٥٢. بحار الأنوار: ١٩: ٣١١.

٢ ـ شيبة.

٣ ـ الوليد.

وبرز لهم فتية من الأنصار، فزهد فيهم عتبة، وقال: «لا نريد هؤلاء، ولكن نريد أن يبارزنا بنو أعمامنا من بني عبدالمطّلب».

فندب النبيّ ﷺ لهم:

١ ـ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بطل الإسلام.

٢ ـ عمّه حمزة.

٣ ـ عبيدة.

فرضي القرشيّون بهم، وقالوا: «هؤلاء أكفاء لنا».

وبرز الإمام إلى الوليد فاختطفه بسيفه الذي هو منجل الموت، وبرز حمزة إلى شيبة فأرداه قتيلاً، وبرز عبيدة إلى عتبة فأثبت كلّ منهما سيفه في رأس صاحبه، فبادر الإمام وحمزة إلى عتبة فمزّقاه بسيفيهما، وملئت قلوب القرشيّين رعباً وفزعاً، فقد هوى أبطالهم قتلى إلى الأرض وأصبحوا جثثاً هامدة لا حراك فيها.

## المعركة الحاسمة

والتحم العسكران أشدّ ما يكون الالتحام يريد أصحاب النبيّ ﷺ بإيمانهم أن ينصروا الإسلام وتعلو كلمة الله تعالى، ويريد القرشيّون أن ينصروا أصنامهم وأوثانهم وتقاليدهم، وقد قذف الله تعالى في قلوبهم الفزع والخوف، وأخذت سيوف المسلمين تحصد رؤوسهم وتهوي أجسامهم إلى الأرض لا حراك فيها.

## بسالة الإمام عليه السلام

أبدى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بطل الإسلام من البسالة ما لا يوصف، فقد كان

القوّة الضارية في معسكر النبيّ ﷺ، وقد أشاع الموت في صفوف القرشيين، وبهرت الملائكة من قوّة بأسه، ونادى جبرئيل: «لا سيف إلّا ذو الفقار، ولا فتى إلّا عليّ»[١].

لقد كان النصر الحاسم بجهاد بطل الإسلام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، فهو الذي أذلّ أعداء الله ورسوله، وترك جثثهم على الأرض لا حراك فيها.

لقد مُني المعسكر القرشي بخسائر فادحة في الأرواح والأموال، فقد ذهبت شوكتهم، وباءوا بالخسران المبين.

## واقعة أُحُد

استقبلت قريش هزيمتها في واقعة بدر بمزيد من الأسى واللوعة، وكان من أشدّهم حزناً أبو سفيان وزوجته هند، فقد نخر الحزن قلبيهما وامتنعت هند من البكاء لئلّا يخمد نار الحزن من قلبها وراحت تقول: «لا يطفأ الحزن إلّا بأخذ الثأر من المسلمين».

ونعرض إلى لقطات من هذه الواقعة التي تتّصل بأبي سفيان.

## قيادة أبي سفيان للمعركة

كان أبو سفيان القائد العامّ في واقعة أُحد، فقد قام بتحريض الجماهير لحرب رسول الله ﷺ، وقد أخذ يجبي الأموال من التجّار وذوي الثراء، وأنفق أبو سفيان في واقعة أُحد أربعين أُوقية أمّا من الذهب أو الفضّة وكلّ أُوقية اثنان وأربعون مثقالاً[٢]، فاشترى به السلاح والعتاد وزوّد به المقاتلين من قريش وقبائل كنانة

---

(١) كنز العمّال: ٣: ١٥٤.

(٢) الغدير: ١: ٨١.

وأهالي تهامة وأحابيشهم، فكان عددهم فيما يقول المؤرّخون ثلاثة آلاف وخرج القرشيّون ومعهم نساؤهم للحرب.

وتتقدّم النساء هند رافعة صوتها في نشيدها:

وَيهاً بَني عَبدَ الدّار وَيهاً حُماةَ الأَدبار
ضَرباً بِكُلِّ بَتّار[1]

وتقول في نشيد آخر:

إِنْ تُقْبِلوا نُعانِقْ وَنَفْرُشُ النَّمارِقْ[2]
أَوْ تُدْبِروا نُفارِقْ فِراقَ غَيرَ وامِقْ[3]

وكانت هند تبعث الحماس في نفوس الجيش، وأبو سفيان يحرّض الجيش على الحرب، وطووا البيداء حتّى انتهوا إلى القرب من جبل أُحُد.

## خروج النبيّ صلى الله عليه وآله

وزحف النبيّ صلى الله عليه وآله ومعه ألف مقاتل إلّا أنّ أحد رؤوس المنافقين أخذ يخذّل أصحابه فتبعه ثلاثمائة، فخرج النبيّ صلى الله عليه وآله ومعه سبعمائة مقاتل، وطوى النبيّ صلى الله عليه وآله البيداء مع جيشه حتّى انتهوا إلى الشِعب في عدوة الوادي، واستدبر الجبل، وأقام عليه خمسين رجلاً من الرماة، وألزمهم بالإقامة فيه، وأمّر عليهم عبدالله بن عمير، وقال له: **انْضَحِ الخَيْلَ عَنّا بِالنَّبْلِ لا يَأْتونا مِنْ خَلْفِنا، إِنْ كانَتْ لَنا أَوْ عَلَيْنا، لا تُؤْتَيَنَّ مِنْ قِبَلِكَ.**

وخاطب النبيّ صلى الله عليه وآله الرماة قائلاً:

---

(١) تاريخ الطبري: ٢: ١٩٦.

(٢) **النمارق** ـ جمع نمرقة ـ: الوسادة الصغيرة.

(٣) **الوامق**: المحبّ. مجمع الزوائد: ٦: ١٠٩.

**إِنْ رَأَيْتُمونا يَتَخَطَّفُنا فَلا تَبْرَحوا حَتّىٰ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ، وَإِنْ رَأَيْتُمونا ظَهَرْنا عَلَى الْقَوْمِ وَأَوْطَأْناهُمْ فَلا تَبْرَحوا حَتّىٰ أُرْسِلَ إِلَيْكُم**[١].

ووقف النبيّ ﷺ في أُحُد في أعلى الجبل وأبو سفيان في أسفله، وهو ينادي: «اعل هبل» قال ذلك مراراً فلعنه رسول الله ﷺ عشر مرّات[٢].

ووضع النبيّ ﷺ الخطّة العسكريّة الناجحة لحماية جيشه، ولو أنّهم أخذوا بها لما مني جيش النبيّ ﷺ بكارثة الهزيمة وما أعقبته من الخسائر.

## الحرب

وفتحت قريش باب الحرب على المسلمين، فقد برز إلى الساحة طلحة بن أبي طلحة، وكان من فرسان قريش رافعاً صوته: يا أصحاب محمّد، تزعمون أنّ الله يعجّلنا بأسيافكم إلى النار، ويعجّلكم بأسيافنا إلى الجنّة، فأيّكم يبرز إليَّ؟

فبرز إليه بطل الإسلام وأسد الله ورسوله الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قائلاً: **وَاللهِ! لَا أُفارِقُكَ حَتّىٰ أُعَجِّلَكَ بِسَيْفِي إِلَى النّارِ.**

وبادره الإمام بضربة برا بها رجله، فسقط إلى الأرض صريعاً يتخبّط بدمه، وأراد الإمام الإجهاز عليه فناشده الله والرحم أن يتركه، فتركه.

ولم يلبث إلّا ساعة حتّى نزف دمه وهلك، وفرح النبيّ ﷺ بهذا النصر كما عمّت الفرحة جميع المسلمين[٣].

وبرز بعد طلحة أبطال قريش، فانبرى إليهم الإمام وحصد رؤوسهم، وقد انهارت

---

(١) السيرة الحلبيّة: ٢: ٢٢٢.

(٢) بحار الأنوار: ٢٠: ٥٦. مسند أحمد: ١: ٤٦٣.

(٣) نور الأبصار: ٧٨.

معنويّات قريش ، وأيقنوا بالخسران المبين .

## موقف هند وأبي سفيان

أمّا هند أُمّ معاوية فقد توسّطت المعركة وهي تلهب الحماس في نفوس الجيش ، وإذا انهزم رجل من قريش دفعت له ميلة ومكحلة ، وقالت له : إنّما أنت امرأة فاكتحل بها [١] .

ولا يقلّ حماسها في الحرب عن حماس زوجها الذي كان يجول في المعركة ويحرّض قومه بلهفة على قتال المسلمين ، وكان يقول لبني عبدالدار وهم حملة ألوية الجيش : إنّكم قد وَليتم لِواءَنا يوم بدر ، فأصابنا ما قد رأيتم ، وإنّما يؤتى النّاس من قِبَل راياتهم ، إذا زالت زالُوا ، فأمّا أن تكْفُونا لِواءَنا ، وأمّا أن تُخَلُّوا بيننا وبينه فَنكْفِيكموه [٢] .

وقد أثار عواطفهم واتّهمهم بالجبن ، فقالوا له : أنحن نُسلّم إليك لواءَنا ، ستعلم غداً إذا التقينا كيف نَصْنع .

وقال أبو سفيان في يوم أُحُد هذه الأبيات :

أقاتِلُهُمْ وَادّعي يا آل غالِب ... وَأَدْفَعُهُمْ عَنّي بِرُكْنٍ صَليب

فَبَكّي وَلَا تَرعي مَقالَةَ عاذِلٍ ... وَلَا تَسأَمي مِنْ عَبرَةٍ بِنَصيبِ

وَسَلي الَّذي كانَ في النَّفسِ إِنَّني ... قَتَلتُ مِنَ النّجّارِ كُلَّ نَجيبِ

وَمِنْ هاشِمٍ قَرماً كَريماً [٣] وَمُصْعَباً ... وَكانَ لَدىٰ الهَيْجاءِ غيرَ هَيوبِ

وَلضوْ أَنَّني لَمْ أَشْفِ نَفْسِيَ مِنْهُمُ ... لَكانَتْ شَجاً في القَلْبِ ذاتَ نُدوبِ

---

(١) تاريخ دمشق : ٧٠ : ١٧٦ .

(٢) تاريخ الأُمم والملوك : ٢ : ١٩٦ .

(٣) يعني به البطل حمزة .

فَآبوا وَقَدْ أَوْدىٰ الجَلابيب[١] مِنْهُمُ بِـهِمْ ضَـرَبٌ مِـنْ مُـعبَطٍ وَكَـئيبِ
أَصـابَهُمُ مَـنْ لَـمْ يَكُـنْ لِـدِمائِهِمْ كَـفاءً وَلا فـي خُـطَّةٍ بَضَريبِ[٢]

وقد بعث في نفوسهم الحماس والعزم لمحاربة المسلمين.

## بسالة الشهيد حمزة

أبدى الشهيد حمزة من البسالة ما لا يوصف، فقد جندل الأبطال وروّى الأرض من دماء أُولئك الوحوش الكاسرة الذين انطوت نفوسهم على الكفر والرذائل.

لقد كان حمزة القوّة الضاربة في جيش الإسلام، وقد قاتل أئمّة الكفر ومعادن الشرك والإلحاد.

## شهادة حمزة

واغتال وحشي وهو من أرجاس الجاهليّة الشهيد الخالد حمزة عمّ النبيّ ﷺ، وقد حفّزته هند لاغتياله، ووعدته بالجائزة إن قام بذلك، وفعلاً فقد هزّ حربته وأطلقها على حمزة، فوقعت في أسفل بطنه، فهوى إلى الأرض، ولم يلبث حتّى صعدت روحه الطاهرة إلى السماء، وقد انطوت بشهادته صفحة من أروع صفحات الإيمان، وقد هدّ مقتله المسلمين، فقد خسروا القائد والمجاهد عن الإسلام.

## تمثيل هند بجسد حمزة

وطارت هند فرحاً بقتل الشهيد حمزة، وسارعت إلى أرض المعركة لتروي حقدها من الجسد الطاهر، ولمّا انتهت إلى جسد حمزة عمدت إلى بقر بطنه، واستخرجت

---

(١) **الجلابيب** ـ جمع جلباب: الإزار الخشن، وكان أهل مكّة يسمّون من أسلم بجلباب.
(٢) السيرة النبويّة لابن هشام: ٣: ٥٩٤.

كبده فلاكتها، ولم تستطع أن تستسيغها فلفظتها، وجدعت أنفه وأذنيه ومذاكيره، واتّخذتها قلادة لها، وفعلنّ النسوة اللاتي معها مثل ذلك في أجسام الشهداء[١].

وقد شفت هند بهذا التمثيل قلبها المملوء حقداً على حمزة، وقالت في ذلك شعراً أو نسب لها:

شَفَيْتُ مِنْ حَمْزَةَ نَفْسي بِأُحُد ... حَتّىٰ بَقَرْتُ بَطْنَهُ عَنِ الكَبِد
أَذْهَبَ عَنّي ذاكَ ما كُنتُ أَجِد ... مِنْ لَذْعَةِ الحُزنِ الشَّديدِ المُعْتَمِد
وَالحَربُ تَعْلوكُمْ بِشُؤبوبٍ[٢] بَرِد ... تُقْدِمُ إِقداماً عَلَيْكُمْ كَالأَسَد[٣]

وشكرت هند وحشيّاً، وأعطته قلائدها وخدمها وقرطها[٤].

وأثر عنها من الشعر في شكره:

شَفَيتُ نَفسي وَقَضَيتُ نَذْري ... شَفَيتَ وَحْشِيٌّ غَلِيلَ صَدْري[٥]
فَشُكْرُ وَحْشِيٍّ عَلَيَّ عُمْري ... حَتّىٰ تَرِمَّ[٦] أَعْظُمي في قَبْري[٧]

## شماتة أبي سفيان

وطار أبو سفيان فرحاً بشهادة أسد الله وأسد رسوله حمزة، وأسرع إلى أرض

---

(١) السيرة النبويّة لابن كثير: ٣: ٧٤.
(٢) **الشؤبوب**: دفعة المطر الشديد.
(٣) السيرة النبويّة لابن هشام: ٣: ٩٨.
(٤) السيرة النبويّة لابن كثير: ٣: ٩١.
(٥) **الغليل**: العطش.
(٦) **ترم**: تبلى وتتفتّت.
(٧) البداية والنهاية: ٤: ٤٢.

المعركة يفتّش عن الجثمان المقدّس ، وأخذ يضرب في شِدْقه بـزُجٍّ رمحه ، وهو يهتزّ فرحاً ويقول : ذُق عُقَقُ .

فأنكر عليه رفيقه ، وقال له : يصنع بابن عمّه ما تَرون لحماً [١] ؟!

فاستحيى وقال له : اكْتُمها عنّي فإنّها كانت زلّة [٢] .

إنّ الأمـويّين رجـالاً ونسـاءً قـد تـربّوا عـلى الشـماتة والتـمثيل بـالأموات مـن خصومهم ، فهذا حفيد أبي سفيان يزيد لمّا وضع بين يديه رأس سيّد شباب أهـل الجنّة حفيد النبيّ ﷺ أخذ يوسع ثناياه بمخصرته وهو جذلان مسرور ، لأنّه قد شفى قلبه وأخذ ثأره من النبيّ في واقعة بدر .

## لوعة النبيّ ﷺ على عمّه

نظر النبيّ ﷺ إلى جثمان عمّه حمزة وقد مثّلت به هند ، فالتاع وراح يقول بأسى وحزن : **لَنْ أُصابَ بِمِثْلِكَ أَبداً ، ما وَقَفْتُ مَوْقِفاً قَطُّ أَغْيَظَ إِلَيَّ مِنْ هـذا** .

وأضاف قائلاً : **وَلَئِنْ أَظْهَرَنِي اللهُ عَلىٰ قُرَيْشٍ فِي مَوْطِنٍ مِنَ الْمَواطِنِ لَأُمَثِّلَنَّ بِثَلَاثِينَ رَجُلاً مِنْهُمْ** [٣] .

ونزل الوحي على رسول الله ﷺ بهذه الآية : ﴿ **وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ * وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللهِ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلاَ تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ** ﴾ [٤] .

فصبر رسول الله ﷺ بأسى بالغ وحزن عميق ، فوارى الجسد الطاهر وهو يذرف

---

(١) **لحماً** : أي ميّت .

(٢) السيرة النبويّة لابن هشام : ٢ : ٩٣ .

(٣) السيرة النبويّة لابن هشام : ٢ : ٩٥ .

(٤) النحل ١٦ : ١٢٦ و ١٢٧ .

الدموع قائلاً: **يا عَمَّ رَسُولِ اللهِ وَأَسَدَ اللهِ وَأَسَدَ رَسولِهِ، يا فاعِلَ الْخَيْراتِ، يا كاشِفَ الْكُرُباتِ يا حَمْزَةُ، يا ذابَّ عَنْ وَجْهِ رَسُولِ اللهِ**[1].

وسجّى النبيّ ﷺ جثمان عمّه ببردته، وصلّى عليه سبع تكبيرات، ثمّ أتى بالشهداء فوضعهم إلى جانب عمّه فصلّى عليهم وعليه، ثمّ واراهم في مقرّهم الأخير.

## اندحار المشركين

وأباد المسلمون القوى الباغية، وقد فتك بهم سيف الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وسقط الكثيرون من قادتهم قتلى، وولّى جيشهم الأدبار لا يلوون على شيء، وخلفهم نساؤهم ينادين بالويل حتّى قصدن الجبل وهنّ بأقصى مكان من الذلّ والهوان[2].

## هزيمة المسلمين

ومُني المسلمون بهزيمة ساحقة كادت تلفّ لواء الإسلام، وكان ذلك ناجماً عن مخالفة الرماة الذين كانوا يحمون المسلمين من وراء ظهورهم، فإنّهم لمّا رأوا هزيمة المشركين تاركين وراءهم أمتعتهم وأسلحتهم تركوا مواضعهم وانسابوا إلى أرض المعركة لنهب ما فيها من الأمتعة، وبصر بهم خالد بن الوليد، فحمل على جيش المسلمين من خلفهم وهم لا يشعرون، فقتل منهم كوكبة من القادة البارزين.

وانعطف الجيش على المسلمين فصاروا محاطين من أمامهم ووراءهم، وكان ذلك سبباً إلى للهزيمة المنكرة التي كادت تقضي على الإسلام، فقد أحدق

---

(١) السيرة الحلبيّة: ٢: ٢٤٦.

(٢) السيرة الحلبيّة: ٢: ٢٢٦.

الخطر بالنبيّ ﷺ، وقد انهزم عنه معظم جيشه، وأُصيب بجروح خطيرة، فقد كسرت رباعيّته اليمنى واليسرى، وشقّت شفته العليا، وغير ذلك من الجروح التي أُصيب بها.

## نداء أبي سفيان

وأوعز أبو سفيان إلى شخص أن ينادي في المعركة أنّ محمّداً قد قُتل، ولمّا سمع المسلمون ذلك فرّوا على وجوههم لا يلوون على شيء، وحاول بعض الصحابة أن يكتب لأبي سفيان يطلبون الأمان.

## حماية الإمام عليه السلام للنبيّ صلى الله عليه وآله

وقام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بحماية النبيّ والذبّ عنه، وقد قال له: **يا عَلِيُّ، ما فَعَلَ النَّاسُ؟**

فأجابه الإمام عليه السلام بلوعة وأسى: **نَقَضُوا الْعَهْدَ وَوَلُّوا الدُّبُرَ.**

وحملت عصابة من القرشيّين على النبيّ ﷺ أرادت قتله، فقال لعليّ: **إِكْفِنِي هٰؤُلَاءِ**، فحمل عليهم وكشفهم عنه.

وحملت عليه عصابة أُخرى عددها خمسون فارساً فتصدّى لهم الإمام عليه السلام وقتل أربعة من أبناء سفيان بن عوف ففرّوا منه.

وحملت على النبيّ ﷺ عصابة ثالثة فيها هشام بن أُميّة، فقتله الإمام عليه السلام، وانهزم الباقون.

وحملت على النبيّ ﷺ عصابة رابعة فيها بشر بن مالك فقتله الإمام عليه السلام وولّت كتيبته منهزمة.

وهكذا قام الإمام عليه السلام ببسالة وشجاعة لم يعهد لها نظير بحماية النبيّ ﷺ، وقد أُصيب الإمام عليه السلام بستّة عشر ضربة تلزمه الأرض، وكان يرفعه جبرئيل عليه السلام،

ففي ذمّة الله هذه الجهود الجبّارة التي بذلها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لحماية النبيّ صلى الله عليه وآله والدفاع عن الإسلام.

## انتهاء الحرب

انتهت الحرب بفوز القرشيّين في المعركة وهزيمة المسلمين وشهادة الكثيرون من قادتهم.

وقد ارتحل أبو سفيان من المعركة وهو مسرور بما حقّقه من النجاح، وما ألحقه بالمسلمين من الخسائر الفادحة، وقد اتّخذ القرار بالعودة إلى مكّة، ولمّا انتهى إليها أسف على رحيله من أرض المعركة ولم يقتل النبيّ صلى الله عليه وآله، فقد صرفه الله عنه.

## رسالة أبي سفيان إلى النبيّ صلى الله عليه وآله

وبعث أبو سفيان رسالة من مكّة إلى النبيّ صلى الله عليه وآله يتهدّده ويتوعّده، جاء فيها:

«لقد سرت إليك في جمعنا، وإنّا نريد إلّا نعود إليك أبداً حتّى نستأصلك، فرأيتك قد كرهت لقاءنا، وجعلت مضايق وخنادق، فليت شعري من علمك هذا؟ فإن نرجع عنكم فلكم منّا يوم كيوم أُحُد تبقر فيه النساء»[1].

حكت هذه الرسالة غطرسة أبي سفيان وعداءه العارم للنبيّ صلى الله عليه وآله، وأنّه جاد لمقابلة النبيّ بواقعة كواقعة أُحُد.

## جواب النبيّ صلى الله عليه وآله

وقرئت هذه الرسالة على النبيّ صلى الله عليه وآله فأجاب بعد البسملة بما يلي:

**«أَمّا بَعْدُ، فَقَدِيماً غَرَّكَ بِاللهِ تَعالَى الْغَرورُ، أَمّا ما ذَكَرْتَ أَنَّكَ سِرْتَ إِلَيْنا**

---

(١) المغازي للواقدي: ٢: ٤٨٨.

في جَمْعِكُمْ، وَأَنَّكَ لا تُريدُ أَنْ تَعودَ حَتّىٰ تَسْتَأْصِلَنا، فَذلِكَ أَمْرُ اللهِ يَحولُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ، وَيَجْعَلُ لَنا الْعاقِبَةَ حَتّىٰ لَا تُذْكَرَ اللاّتِ وَالْعُزّىٰ.

وَأَمّا قَوْلُكَ: مَنْ عَلَّمَكَ الَّذي صَنَعْنا مِنَ الْخَنْدَقِ، فَإِنَّ اللهَ تَعالَى أَلْهَمَني ذلِكَ لِما أَرادَهُ مِنْ غَيْظِكَ بِهِ وَغَيْظِ أَصْحابِكَ، وَلَيَأْتينِي عَلَيْكَ يَوْمٌ تُدافِعُني بِالرّاحِ، وَسَيَأْتي عَلَيْكَ يَوْمٌ أَكْسِرُ فيهِ اللاتَ وَالْعُزّىٰ وَأَنافَ وَنائِلَةَ وَهُبَلَ حَتّىٰ أُذَكِّرَكَ ذلِكَ»[1].

وتحقّق ما توعّد به النبيّ ﷺ أبا سفيان، فلم تمض أيّام حتّى فتح الله تعالى لعبده الفتح المبين، ففتح مكّة وحطّم أصنام القرشيّين، وهذا ما نتحدّث عنه في البحوث الآتية.

## فتح مكّة وإسلام أبي سفيان

إنّ أهمّ حدث في تاريخ الإسلام السياسي هو فتح مكّة الذي تحطّمت فيه الجاهليّة، وأُقبرت معالمها، وذلّت فيها العصابات القرشيّة، فقد فتح الله تعالى لعبده ورسوله الفتح المبين فبسط حكمه، وأشاع قيمه وأهدافه، ودخل الناس في دين الله عزّ اسمه أفواجاً.

ونعرض إلى لقطات من فتح مكّة مع إسلام أبي سفيان لا عن إيمان وإنّما فراراً من حكم السيف.

## تصميم النبيّ ﷺ على فتح مكّة

صمّم النبيّ ﷺ على فتح مكّة، فقد أوحى الله تعالى له بذلك، وقد أخذ يعدّ عدّته، ويهيّئ أسبابه، وقد أحاط ذلك بكثير من السرّيّة والكتمان.

---

(١) السيرة النبويّة برواية أهل البيت: ٢: ٣١٧، نقلاً عن الصحيح من السيرة: ٩: ٤٤٠.

## زحف الجيش الإسلامي إلى مكّة

جمع النبيّ ﷺ جيشه وقادته وأمرهم بالتوجّه معه إلى جهة لم يخبرهم بها، وسارعت معه حتّى انتهت إلى مشارف مكّة وأهلها غافلون لا يعلمون شيئاً، قد أحاطت بهم القوّات العسكريّة لاحتلال بلدهم.

وأمر النبيّ ﷺ جيشه بجمع الحطب، فسارعوا إلى جمعه، فلمّا خيّم الظلام أمر بإشعال الحطب، وتعالى لهب النار في أُفق مكّة، ففزع أبو سفيان وأوجس في نفسه خيفة، وقال لبديل بن ورقاء ـ وكان معه ـ: ما رأيت كالليلة نيراناً قطّ مثل هذه النار.

وبادر بديل قائلاً: هذه والله نار خزاعة.

وسخر منه أبو سفيان وراح يقول: خزاعة أذلّ وأقلّ من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها [1].

واطمئنّ أنّها جيوش المسلمين جاءت لاحتلال بلدهم.

## العبّاس وأبو سفيان

وعلم العبّاس بقدوم الجيش الإسلامي لاحتلال مكّة، وثقل عليه ذلك خوفاً على قريش، وراح يقول: وا صباح قريش، والله لئن دخل رسول الله ﷺ مكّة عنوة قبل أن يأتي أهلها فيستأمنوه، إنّه لهلاك قريش إلى آخر الدهر.

وجهد العبّاس أن يجد شخصاً فيخبر أهلها بقدوم الجيش الإسلامي ليسارعوا إلى النبيّ ﷺ فيطلبون منه العفو والأمان وبصر بأبي سفيان فهتف به: يا أبا حنظلة.

وعرفه أبو سفيان، فسارع قائلاً: أبو الفضل هذا؟

- نعم.

---

(١) البداية والنهاية: ٤: ٣٣٠.

- ويحك يا أبا سفيان، هذا رسول الله، وا صباح قريش.

وذعر أبو سفيان وجمد دمه وخاف على قومه وراح يلتمس منه الطريق إلى النجاة قائلاً: ما الحيلة فداك أبي وأمّي ؟

وسارع العبّاس قائلاً: والله لئن ظفر بك النبيّ ﷺ ليضربنّ عنقك، فاركب في عجز هذه البغلة حتّى آتي بك رسول الله ﷺ أُتي بك إلى رسول الله ﷺ فأستامنه لك.

واستجاب له وأردفه خلفه، فكان كلّما مرّ على نار من نيران المسلمين قالوا: مَن هذا ؟

فلمّا رأوا بغلة رسول الله لم يتعرّضوا له، ولمّا انتهى العبّاس إلى النبيّ فأخبره بأمر أبي سفيان، فأمره النبيّ ﷺ أن يأتي به صباحاً، وأنفق أبو سفيان ليله فزعاً خائفاً لا يعلم ما يجري عليه[1].

## أبو سفيان أمام النبيّ ﷺ

ولمّا اندلع نور الصبح أقبل العبّاس ومعه أبو سفيان، فبادره النبيّ ﷺ قائلاً: **وَيْحَكَ يا أَبا سُفْيانَ، أَلَمْ يَأْنِ لَكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ ؟** ولم يقابله النبيّ ﷺ بما عاناه منه ومن قريش من صنوف التنكيل والاضطهاد، فقد أسدل الستار على ذلك، وراح أبو سفيان يتضرّع إلى النبيّ ويطلب منه العفو قائلاً: بأبي أنت وأُمّي، ما أحلمك، وأكرمك، وأوصلك، والله لقد ظننت أنّه لو كان مع الله إلٰه غيره لأغنى عنّي شيئاً.

حكى هذا الكلام أنّه لو كانت هذه الأصنام التي يعبدها آلهة لأغنت عنه.

والتفت النبيّ ﷺ إلى أبي سفيان قائلاً: **وَيْحَكَ يا أَبا سُفْيانَ، أَلَمْ يَأْنِ لَكَ أَنْ**

---

(١) تاريخ الإسلام: ٢: ٥٣٩.

**تَعْلَمَ أَنِّي رَسُولُ اللهِ؟**

وثقل ذلك على أبي سفيان، وراح يقول: بأبي أنت وأُمّي، ما أحلمك، وأكرمك، وأوصلك، أمّا هذه فإنّ في النفس منها شيئاً حتّى الآن.

وسارع العبّاس قائلاً: ويحك يا أبا سفيان، أسلم واشهد أن لا إله إلّا الله، وأنّ محمّداً رسول الله قبل أن تُضرب عنقك[1].

ولم يجد الخبيث أبو سفيان بُدّاً، فأعلن الإسلام كُرهاً خوفاً على دمه من حدّ السيف، وكان قلبه قد انطوى على الكفر والإلحاد والنفاق.

## أبو سفيان في مضيق الوادي

وأمر النبيّ ﷺ عمّه العبّاس أن يقيم أبا سفيان في مضيق الوادي عند حطم الجبل ليشاهد جنود المسلمين حتّى يجبّن قريشاً من مقاومتهم لئلّا تسفك الدماء.

واجتازت الكتائب على أبي سفيان وهي مدجّجة بالسلاح، فقال للعبّاس: مَن هذه؟

- سُليم.
- ما لي ولسُليم؟

واجتازت عليه كتيبة أُخرى فقال للعبّاس: يا عبّاس، مَن هذه؟

- مُزينة.
- ما لي ولمُزينة.

واجتازت عليه الكتيبة الخضراء وهي مدجّجة بالسلاح، وفيها النبيّ ﷺ، وقد شهرت على رأسه السيوف، وأحاطبت به صناديد الفرسان، والراية يحملها

---

(١) تاريخ الإسلام: ٥: ٥٣٩.

الإمام أمير المؤمنين عليه السلام تخفق على رأسه ، فقال أبو سفيان للعبّاس : مَن في هذه الكتيبة ؟

- هذا رسول الله في المهاجرين والأنصار.

وراح أبو سفيان يبدي إعجابه بهذه القوّة قائلاً: ما لأحد بهؤلاءِ قِبَلٌ ولا طاقة .. لقد أصبح مُلك ابن أخيك الغداة عظيماً.

فردّ عليه العبّاس : يا أبا سفيان ، إنّها النبوّة.

فهزّ أبو سفيان رأسه العفن ، وقال بسخرية : نعم ، إذن[1].

وما كان هذا الجاهلي يفقه النبوّة أو يؤمن بها ، وإنّما كان يفقه الملك والسلطان.

## ألطاف النبيّ صلى الله عليه وآله على أبي سفيان

وسعت رحمة النبيّ صلى الله عليه وآله أبا سفيان الذي هو من ألدّ أعدائه ، فقبل إسلامه المزيّف ، والتفت رسول الله صلى الله عليه وآله إلى العبّاس فقال له : **مَنْ دَخَلَ دارَ أَبِي سُفْيانَ فَهُوَ آمِنٌ ، وَمَنْ أَغْلَقَ بابَهُ فَهُوَ آمِنٌ ، وَمَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَهُوَ آمِنٌ**[2].

لقد أصدر النبيّ صلى الله عليه وآله عفواً عامّاً عن أُولئك الوحوش الذين هم من أرذال العرب الذين جرّعوه ألواناً قاسية من المحن والخطوب.

## نداء أبي سفيان

وانطلق أبو سفيان إلى مكّة قبل أن يسبق الجيش الإسلامي إليها ، وهو رافع عقيرته : يا معشر قريش ، هذا محمّد قد جاءكم فيما لا قِبل لكم به. مَن دخل دار أبي سفيان فهو آمن.

---

(١) تاريخ دمشق : ٢٣ : ٤٥٠.

(٢) مجمع الزوائد : ٦ : ١٦٦.

نهبّت قريش فزعة قائلة : وما تُغني عنّا دارُك ؟

وهتف ثانياً : مَن أغلق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن[١].

وسكن روع القرشيّين ، فبادروا إلى بيوتهم وأغلقوا عليهم أبوابها ، كما مضى جماعة إلى المسجد الحرام فاعتصموا به .

## معارضة هند

وفزعت هند أُمّ معاوية ، وجعلت تحرّض القرشيّين على مناجزة النبيّ ﷺ ، وتحرّضهم على قتل زوجها قائلة : اقتلوا الحَمِيتَ[٢] الدّسِم[٣] الأحْمَس[٤] ، قُبِّحَ من طليعة قوم .

وراحت تدعو إلى محاربة النبيّ ﷺ ، إلّا أنّ الجماهير لم يعنوا بها ، وانصاعوا إلى نداء أبي سفيان ، وانصاع أبو سفيان للإسلام قهراً ، وكان معه ابنه معاوية من المؤلّفة قلوبهم[٥] .

## دخول النبيّ ﷺ مكّة

وسارعت جيوش المسلمين إلى دخول مكّة وهي فرحة مستبشرة بهذا النصر العظيم الذي لم تلق فيه أيّة مقاومة ، وقد حمل الراية سعد بن عبادة وهو يلوّح بها يميناً ويساراً رافعاً عقيرته : اليومُ يومُ المَلْحَمة ، اليَومُ تُسْتَحَلّ الحُرَمَة .

وسارع عمر إلى النبيّ ﷺ فأخبره بنشيد سعد ، فأمر النبيّ ﷺ بأخذ الراية

---

(١) مجمع الزوائد : ٦ : ١٦٧ .

(٢) **الحميت** : زقّ السمن .

(٣) **الدّسم** : الكثير الودك .

(٤) **الأحمس** ـ هنا ـ : الشديد اللحم ، والمعنى على تشبيهه الرجل بالزقّ لعبالته وسمنه .

(٥) الاستيعاب : ٣ : ١٤١٦ .

منه وإعطائها إلى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، فأخذها الإمام عليه السلام رافعاً صوته قائلاً: **اَلْيَوْمُ يَوْمُ الْمَرْحَمَةِ ، اَلْيَوْمُ تُصانُ الْحُرَمَةُ**[1].

وعمّت الفرحة الكبرى جميع أوساط قريش ، وأيقنوا برحمة الرسول صلى الله عليه وآله وعفوه ، وأنّه لا يقابلهم بالمثل.

## تطهير الكعبة من الأصنام

وسارع النبيّ صلى الله عليه وآله إلى بيت الله الحرام ، فأدّى تحيّته ، ثمّ بادر إلى تحطيم الأصنام وتطهير الكعبة منها ، وكانت ثلاثمائة وستّين صنماً ، وكان لكلّ حيّ من العرب صنم خاصّ بهم ، وكان على جهة باب البيت الصنم الأعلى لقريش ، وهو هبل ، فجعل النبيّ صلى الله عليه وآله يطعن بقوسه في عينه ويقول: **جاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْباطِلُ ، إِنَّ الْباطِلَ كانَ زَهُوقاً**[2].

وكان ذلك من أعظم ما رزئ به أبو سفيان وعتاة القرشيّين.

## أذان بلال

وقام بلال فأذّن بصوته الرقيق فوق ظهر الكعبة ، فكان كالصاعقة على رؤوس قريش ، فقال عتاب بن أسيد: لقد أكرم الله أسيداً. ألّا يكون سمع هذا.

وقال الحارث بن هشام: أما والله لو أعلم أنّه مُحِقّ لاتّبعته.

وقال أبو سفيان: لا أقول شيئاً ، لو تكلّمت لأخبرت عنه الحصى.

وخرج عليهم النبيّ صلى الله عليه وآله فأخبرهم بما قالوا.

فقال الحارث وعتاب: نشهد أنّك رسول الله ، والله ما اطّلع على هذا أحد كان

---

(١) شرح نهج البلاغة: ١٧: ٢٧٢.

(٢) فصل الخطاب: ١٢١.

معنا حتّى نقول إنّه أخبرك[١].

ووجم أبو سفيان، فقد انطوت نفسه على الكفر.

## بيعة الرجال للنبيّ ﷺ

وأخذ النبيّ ﷺ البيعة من الرجال، وكانت صيغتها: «نشهد أن لا إلـه إلّا الله، وأنّ محمّداً عبده ورسوله»، وكانت هذه البيعة تحريراً لعقولهم، وتطهيراً لنفوسهم من براثن الشرك.

## بيعة النساء

وأخذ النبيّ ﷺ البيعة من النساء، وكانت فيهنّ هند، وكانت صيغتها ما يلي:

١ ـ أن لا يشركن بالله تعالى، فأنكرت ذلك هند، وقالت: أنّك لتأخذ علينا ما لا تأخذه من الرجال.

لقد صعب على هند الإقرار لله تعالى بالوحدانيّة.

٢ ـ أن لا يسرقن، فقالت هند: كنت أصبت من مال أبي سفيان الهنة بعد الهنة.

فقال أبو سفيان: أمّا ما أصبت فيما مضى فأنت في حلّ.

وعرف النبيّ ﷺ أنّها هند بنت عتبة، فقال لها: **أَنْتِ هِنْد؟**

فقالت: نعم، فاعف عمّا سلف، فعفا عنها.

٣ ـ لا يزنين، فقالت هند: وهل تزني الحرّة، فضحك عمر، وهذا ينمّ بالدلالة الالتزاميّة أنّه قاربها في أيّام الجاهليّة، وكان ذلك شائعاً.

٤ ـ لا يقتلن أولادهنّ، فقالت هند: ربّيناهم صغاراً، ونقتلهم كباراً.

---

(١) السيرة الحلبيّة: ٣: ١٠١. السيرة النبويّة / ابن هشام: ٤: ٥٦.

٥ ـ لا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهنّ وأرجلهنّ ، فقالت هند : إنّ إتيان البهتان لقبيح .

٦ ـ لا يَعْصينني ، فقالت : في معروف ، ثمّ أخذ البيعة من النساء[١] .

هذه لقطات من موقف أبي سفيان في فتح مكّة التي كانت من أهمّ الفتوحات في الإسلام ، فقد امتدّ النصر لدولة القرآن إلى معظم مناطق الجزيرة العربيّة ، وتحطّمت أوثان قريش التي كانوا يعبدونها من دون الله تعالى .

## موقف النبيّ ﷺ من أبي سفيان بعد إسلامه

كان أبو سفيان في إسلامه ظاهريّاً لم يسر الإسلام إلى أعماق نفسه ودخائل ذاته ، وكان النبيّ ﷺ عالماً بذلك ، كما إنّ المسلمين كانوا على يقين بزيف إسلامه ، وكان بيته وكراً للخيانة ، كما كان هو كهفاً للمنافقين[٢] .

وقد قابله المسلمون بمزيد من الاحتقار ، فهو عدوّهم الذي بالغ في حربهم والتنكيل بهم ، وكان من احتقار النبيّ ﷺ له أنّه رأى أبا سفيان على ناقة ومعه ابناه معاوية ويزيد ، أحدهما يقود ناقته ، والآخر يسوقها ، فقال ﷺ : **اللّهُمَّ الْعَنِ الرّاكِبَ وَالْقائِدَ وَالسّائِقَ**[٣] .

ورأى ﷺ في منامه منبره الشريف تعلوه القردة ، وفسّر ذلك بعتاة بني أُميّة بعد وفاته ﷺ أنّهم سيعتلون منبره الشريف ويستولون على الحكم ، وقد تحقّق ذلك ، وفي بني أُميّة نزلت الآية الشريفة : ﴿ **وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ** ﴾[٤] .

---

(١) السيرة النبويّة لابن كثير : ٣ : ٦٦٢ .

(٢) الاستيعاب : ٤ : ٨٥ و ٨٦ .

(٣) شرح نهج البلاغة : ٦ : ٢٨٩ . جمهرة خطب العرب : ٢ : ٢٣ .

(٤) الإسراء ١٧ : ٦٠ .

## موقف أبي سفيان بعد وفاة النبيّ ﷺ

ولمّا انتقل النبيّ ﷺ إلى حضيرة القدس، وبويع أبو بكر سارع إلى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يستحثّه على مناهضة أبي بكر ويحفّزه على الإطاحة بحكومته وهو ينشد هذين البيتين:

وَلَنْ يُقيمَ عَلىٰ خَسفٍ يُرادُ بِهِ ... إلّا الأَذَلّانِ عَيْرُ الحَيِّ وَالوتَدُ
هذا عَلىٰ الخَسفِ مَربوطٌ بِرمَّتِهِ ... وَذا يُشَجُّ فَلا يَبْكي لَهُ أَحَدُ

ووعده أن يملأ المدينة خيلاً ورجالاً حتّى يأخذ حقّ الإمام عليه السلام، وكان الإمام عليه السلام عالماً بنوايا أبي سفيان، وأنّه لم يرد إلّا الوقيعة بالإسلام.

فقال عليه السلام: **ما أَرَدْتَ إلّا الْفِتْنَة**، فزجره وطرده[1].

## موقف أبي سفيان من أبي بكر

سارع أبو سفيان إلى أبي بكر، وعرض عليه تأييده لحكومته بشرط أن يكون له نصيب فيها، فأجابه إلى ذلك، لأنّ سلطته قد منيت بالضعف، وذلك لامتناع العترة النبويّة عن بيعته، ومعها أعلام الإسلام ومعظم الأنصار من الأوس والخزرج، فاستجاب له أبو بكر وقلّد يزيد بن أبي سفيان ولاية الشام، وهو شابّ عاش في عبادة الأوثان، ولم يفهم من تعاليم الإسلام شيئاً، ولم يمنح أبو بكر هذا المنصب الخطير إلى أحد من أبناء الأُسرة النبويّة، ولا إلى أحد من أعلام الإسلام، وإنّما وهبه إلى شابّ جاهلي.

وذكر ابن شبّة في تاريخه: «أنّه لمّا خرج يزيد إلى استلام منصبه في الشام خرج أبو بكر لتوديعه ماشياً، ويزيد كان راكباً، وقد أضفى بذلك تقديراً وإكباراً للأمويّين».

---

(١) تاريخ الطبري: ٢: ٤٤٩.

ويرى العلّامة العلائلي ﷺ أنّ الذي فاز بحكومة أبي بكر هم الأمويّون.

## عمر وأبو سفيان

كان عمر شديد الميول لأُسرة أبي سفيان، فقد وهب إلى هند أربعة آلاف دينار قال لها: اتّجري بها لئلّا تصيبك ضائقة اقتصاديّة.

كما احتضن معاوية وأولاه المزيد من التقدير، فقد أسند له ولاية الشام بعد هلاك أخيه يزيد، وعندما هلك يزيد وجاء خبره إلى عمر كان أبو سفيان حاضراً، فعزّاه بابنه، فقال له أبو سفيان: من عيّنت مكانه؟

- معاوية.

فسرّ أبو سفيان بذلك وشكره قائلاً: وصلتك رحم يابن العمّ[1].

كما كان عمر شديد الميول إلى زوجة أبي سفيان هند. وزاد في رقعة سلطانه، وكان يحاسب عمّاله في كلّ سنة سوى معاوية، وتتوافر إليه الأنباء أنّ معاوية يشرب الخمر، ويلبس الديباج، ويأكل الخنزير، ويبيح ما حرّم الله تعالى، فيعتذر عنه. ويقول تارة إنّه فتى قريش، ويقول أُخرى: إنّه كسرى العرب، ولمّا اغتاله أبو لؤلؤة الفارسي صنع فذلكة الشورى، وأسند الخلافة إلى بني أُميّة، فقد رشّح عميدهم عثمان بن عفّان لها.

## عثمان وأبو سفيان

وأعلن أبو سفيان جاهليّته في حكومة عثمان، وأنّه لا يؤمن بالإسلام، فقد دخل أبو سفيان على عثمان حينما صار حاكماً على المسلمين، فقال له: «قد صارت إليك ـ يعني الخلافة ـ بعد تيم وعدي، فأدرها كالكرة، واجعل أوتادها

---

(١) الاستيعاب: ٣: ١٤١٧.

بني أُميّة ، فإنّما هو الملك ، ولا أدري ما من جنّة ولا نار »[١].

وقد خاطب الأمويّين بقوله : « تلقّفوها يا بني أُميّة تلاقف الكرة بأيدي الصبيان ، فوالذي يحلف به أبو سفيان ما من جنّة ولا نار »[٢].

وراح أبو سفيان نحو مرقد سيّد الشهداء حمزة فألقى ببصره على القبر وقال : « يا أبا عمارة ، إنّ الأمر الذي اجتلدنا عليه بالسيف أمسى في يد غلماننا يلعبون به ».

ثمّ ركل القبر الشريف برجله ، ومضى مثلوج القلب ناعم البال[٣].

واتّخذ الأمويّون كلام أبي سفيان منهجاً لسياستهم ، فتلاعبوا بالحكم ، وساسوا البلاد سياسة بنيت على الظلم والجور والاستبداد ، ولم يوجّه له عثمان عقاباً ولا عتاباً ، وإنّما أغدق عليه بالأموال التي هي من أموال المسلمين .

هذه سيرة أبي سفيان في جميع مراحلها ، كفر بالله ، وعداء للإسلام ، وقد طبعت في نفس ولده معاوية ، وطبّقها على سيرته وسلوكه ، فلم يؤمن بالله تعالى طرفة عين ، وكان معادياً لديه تعالى ، ومعادياً لأوليائه .

## هند بنت عتبة

أُمّ معاوية من ألدّ أعداء رسول الله ﷺ ، ومن أكثرهم حقداً عليه ، وهي التي توسّطت الحراب في واقعة أُحُد وبيدها طبل الحرب تضرب عليه ، وتحفّز قريشاً على الجدّ في محاربة النبيّ ﷺ ، ومن نكص على عقبيه ناولته مروداً ومكحلة ، وقالت له : اكتحل أنت امرأة[٤].

---

(١) شرح نهج البلاغة : ١٥ : ١٧٥ .

(٢) الاستيعاب : ٦٩٠ . شرح نهج البلاغة : ١٥ : ١٧٥ .

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ٤ : ٥١ .

(٤) تاريخ دمشق : ٧٠ : ١٧٦ .

ولمّا استشهد حمزة عمّ النبيّ ﷺ بطل الإسلام سارعت إلى جثمانه الشريف فمثّلت به، ولاكت كبده، وقالت في ذلك شعراً أعربت فيه عن تشفّيها بما صنعته من التمثيل بجثمانه.

وكانت هند جاهليّة لا ترى في اقتراف الزنا عاراً عليها، وقد ألمح إلى ذلك حسّان بن ثابت في هجائه لها بقوله:

أَشِرَتْ لَكاعٌ وَكانَ عادَتُها ... لُؤْماً إذا أَشِرَتْ مَعَ الكُفْرِ
لَعَنَ الإلهُ وَزَوجَها مَعَها ... هِندَ الهُنودِ عَظيمَةَ البَظْرِ
أَخَرَجْتِ مُرقِصَةً إلىٰ أُحُدٍ ... في القَومِ مغبّة عَلىٰ بَكرِ
بَكرٌ ثِقالٌ لا حِراكَ بِه ... لا عَنْ مُعاتَبَةٍ وَلا زَجْرِ
وَعَصاكِ إِسْتُكِ بِها ... دُقّي العَجايَةَ بِالقَبرِ
فَرِحَتْ عَجيزَتُها وَشَرجُها ... مِنْ دَأْبِها نَصّاً مِنَ القَترِ
ظَلَّتْ تُداويها زَميلَتُها ... بِالماءِ تَنضَحُهُ وِبِالسِّدرِ
أَخَرَجتِ ثائِرَةً مُبادِرَةً ... بِأَبيكِ وَابنِكِ يَومَ ذي بَدرِ
وَبِعَمِّكِ المَسْتوهِ في وَدَعٍ ... وَأَخيكِ مُنعَفِرينَ في الحَفْرِ
وَنَسيتِ فاحِشَةً أَتَيتِ بِها ... يا هِندُ وَيحَكِ سُبَّةَ الدَّهرِ
فَرَجَعتِ صاغِرَةً بِلا تِرَةٍ ... ما ظَفَرتِ بِها وَلا نَصرِ
زَعَمَتِ الوَلائِدُ أَنَّها وَلَدَتْ ... وَلَداً صَغيراً كانَ مِنْ عُهْرِ[1]

حكى هذا الشعر اتّهام هند بالزنا، ويقول بعض المحقّقين أنّ القصيدة قرأت على النبيّ ﷺ ولم ينكر على حسّان، ولو كان لا أصل لهذه التهمة لزجره ﷺ وردّ عليه.

---

(١) أعلام النساء: ٣: ١٦١٩ ـ ١٦٢٠.

ولمّا مثّلت بجثمان حمزة اعتلت على صخرة ونادت بأعلى صوتها:

نَحنُ جَزَيناكُمْ بِيَومِ بَدرٍ ... وَالحَربُ بَعدَ الحَربِ ذاتَ سُعرِ

ما كانَ عَنْ عُتبَةَ لي مِنْ صَبرِ ... وَلا أَخي وَعَمِّهِ وَبَكري

شَفَيتُ نَفسي وَقَضَيتُ نَذْري ... شَفَيتَ وَحْشِيٌّ غَلِيلَ صَدْري[1]

فَشُكْرُ وَحْشِيٍّ عَلَيَّ عُمْري ... حَتّىٰ تَرِمَّ[2] أَعْظُمي في قَبْري[3]

وبلغ من حقدها على النبيّ ﷺ أنّها لمّا اجتازت على الأبواء الذي فيه مرقد السيّدة الزكيّة آمنة أُمّ النبيّ ﷺ أشارت على الجيش الذين كانوا معها لحرب النبيّ في واقعة أُحُد أن ينبشوا قبرها، فإن أسر أحد منهم فدوه بجزء من أجزائها، ولم يرتضِ ذلك بعض القادة من قريش وأعرضوا عنها.

إنّ جهد ما توصّل إليه تتبّعي في شأن أبو سفيان وزوجته هند أنّهما لم يؤمنا بالله تعالى ورسله، وأنّهما على جاهليّتهما لم يحيدا عنها، وقد تغذّى معاوية بنهجهما، وتربّى على سلوكهما، وسار على الخطّ الذي سارا عليه، وهذا عرض لبعض مكوّناته الاجتماعيّة.

---

(١) **الغليل**: العطش.

(٢) **ترم**: تبلى وتتفتّت.

(٣) تاريخ الأُمم والملوك: ٢: ٢٠٥.

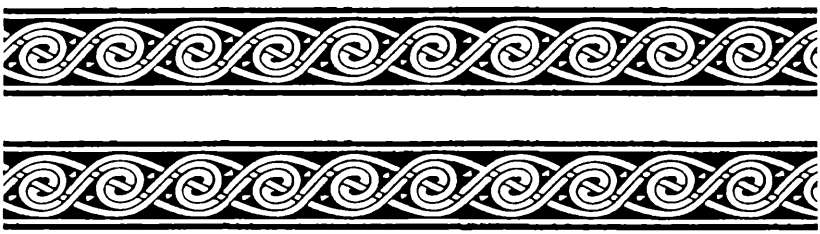

# نشـأته

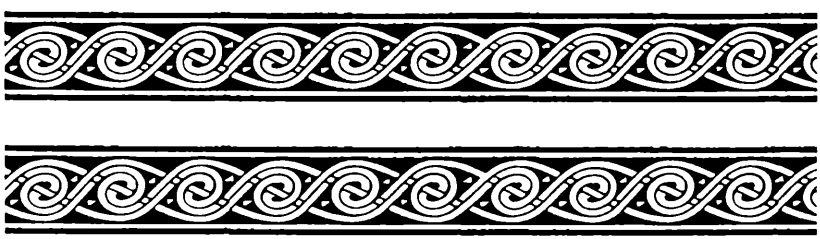

نشأ معاوية كبقيّة أبناء قريش في التخلّي عن الفضائل النفسيّة ، فقد انسابوا في ميادين الخلاعة واللهو والمجون ، ولم تكن في المجتمع القرشي أيّة ضوابط أخلاقيّة أو معايير إنسانيّة يسلكونها ، فقد أُولعوا في شرب الخمر ومطاردة النساء ، وغير ذلك من مآثم الحياة .

على هذا النهج سار معاوية في جميع فترات حياته ، فلم يؤمن بأيّة قيمة من القيم الإنسانيّة ، وقد اتّضحت سيرته كاملة حين ما آل إليه الملك ، كما سنوضّحه في بحوث هذا الكتاب .

وهذه لقطات من سلوكه ونشأته :

## تعاطي الخمر

كان معاوية مدمناً على الخمر ، وكان يتعاطاه علناً بلا حياء ولا خجل في أيّام حكومته وولايته على الشام ، لا يرى في ذلك بأساً .

وقد رفع ذلك إلى عمر بن الخطّاب الذي ولّاه الشام ، وزاد في رقعة سلطانه ، فلم يحفل بذلك ، وإنّما أطرى عليه وقال : « دعونا من ذمّ فتى قريش »[1] ، وهل يباح لكسرى العرب أن يقترف جهراً ما حرّم الله تعالى من إثم !

---

(١) الاستيعاب : ١ : ٤٤٥ .

إنّ إقبال معاوية على شرب الخمر قد نصّ عليه المؤرّخون وأرباب السير، وهو يحكي جاهليّته التي لم يغيّرها الإسلام، وكان هذا السلوك قد شجّع أهالي مملكته على شرب الخمر وإشاعته بينهم.

## الزنا

وظاهرة أُخرى من نزعات معاوية أنّه كان من الزناة، شاباً وكهلاً وشيخاً، وفي أيّام حكومته قد تلاشت غريزته الجنسيّة لشيخوخته، فكانوا يأتوان بفتيات عاريات فليتلذّذ بالنظر إليهنّ وهو يقول: «نِعم المتاع لو كان له متاع»[١].

## النهم في الطعام

كان معاوية شديد النهم في تناول الطعام، فكان فيما يقول الرواة يُقدّم له الطعام الكثير فيأكله ويقول: «ما شبعت وقد كلّت أضراسي»، وقد بعث خلفه النبيّ ﷺ فقيل إنّه يأكل ثمّ بعث خلفه فأُخبر إنّه يأكل، فدعا عليه وقال: «**لَا أَشْبَعَ اللهُ تَعالىٰ لَهُ بَطْناً**»[٢]، وفي أيّام حكومته كان يوضع له أطيب الطعام وألذّه، ولكثرة أكله فقد أفرط في السمنة، ولعظم بطنه كان إذا أراد الجلوس وضع بطنه أوّلاً ثمّ يجلس، ولكثرة أكله كان كالحيوان السائم همّه علفه.

## الخلاعة والمجون

وخلد معاوية إلى الدعارة والمجون، ومن خلاعته أنّ عبدالرحمن بن حسّان[٣]

---

(١) تفسير ابن كثير: ١: ٤٧٩.

(٢) صحيح مسلم: ٨: ٢٧.

(٣) **عبدالرحمن بن حسّان بن ثابت الأنصاري الخزرجي:**

ولد في زمن النبيّ ﷺ، كان شاعراً، قليل الحديث. ذكره ابن معين في تابعي أهل «

تشبّب بابنته ، وقال في ذلك شعراً انتشر في الأوساط العامّة ، فلم يحفل بذلك ، وغضب ولده يزيد ، فبادر إليه قائلاً: يا أبه ، اقتل عبدالرحمن بن حسّان.

- لِمَ ؟
- تشبّب بأُختي.
- ما قال ؟
- قال:

طالَ لَيلي وَبِتُّ كَالمحَزونِ وَمَلَلتُ الثَّواءَ في جَيرونِ

فأجابه معاوية ساخراً منه: يا بنيّ ، وما علينا من طول ليله وحزنه[1].

- إنّه قال:

هِيَ زَهراءُ مِثلَ لُؤلُؤَةِ الغَوّا صِ مُيِّزتْ مِنْ جَوهَرٍ مَكنونِ

---

« المدينة ، وذكره ابن حبّان في ثقات التابعين. توفّي سنة ١٠٤هـ ، وأبطل هذا القول ابن عساكر فقال: قيل إنّه عاش ثمان وأربعين عاماً ، ومقتضاه أنّه ما أدرك أباه لأنّه مات بعد الخمسين بأربع أو نحوها ، وقد ثبت أنّه كان رجلاً في زمان أبيه ، وأبوه القائل:

فَمَنْ لِلقَوافي بَعدَ حَسّانَ وَابْنِهِ وَمَنْ لِلْمَثاني بَعدَ زَيْدِ بْنِ ثابِتِ

قال ابن حجر: وإن يثبت أنّه ولد في العهد النبوي ، وعاش إلى سنة ١٠٤هـ يكون عاش ٩٨ ، فلعلّ الأربعين محرّفة. الإصابة: ٣: ٦٧.

وذكر الزمخشري في الكشّاف: ٢: ٢٥٦ ، أنّ عبدالرحمن قال في معاوية قصيدة منها:

أَلا أَبْلِغْ مُعاوِيَةَ بْنَ حَرْبٍ أَميرَ الظّالِمينَ ثَنا كَلامي
مُعاوِيَةَ بْنَ هِندٍ وَابْنَ صَخْرٍ لَحاكَ اللهُ مِنْ مَرْءٍ حَرامي
تَجَشَّمْنا بِإِمْرَتِكَ المَنايا وَقَدْ دَرَجَ الكِرامُ بَنو الكِرامِ
أَميرُ الْمُؤْمِنينَ أَبو حُسَيْنٍ مُفَلِّقُ رَأْسِ جَدِّكِ بِالحُسامِ
وَإِنّا صابِرونَ وَمُنْظِروكُمْ إِلىٰ يَومِ التَّغابُنِ وَالْخِصامِ

(١) تاج العروس: ١٨: ٤٥٨. خزانة الأدب: ٧: ٢٩٣. الأغاني: ٤: ١٦٣.

- صدق يا بنيّ، هي كذلك.
- إنّه يقول:

وَإِذا مـا نَسَبتَها لَـمْ تَـجِدْها ... في سَناءٍ مِنَ المَكارِمِ دوني

- صدق يا بنيّ.
- إنّه يقول:

ثُمَّ خاصَرْتُها إلىٰ القُبَّةِ الخَضـ ... ـراءِ تَمْشي في مَرْمَرٍ مَسْنونِ

- ولا كلّ هذا يا بنيّ[1].

وما زال يزيد ما قاله عبدالرحمن التشبيب في أُخته، ومعاوية يدافعه ويظهر له براءته، وعدم استحقاقه للعقاب.

ولوكان يملك من الغيرة على بنته لعاقبه، وتشبّب أبو دهبل الجمحي[2] بإحدى بناته، فعامله باللين ووصله وأعطاه[3].

ويعود السبب في معاملته لهؤلاء الذين تشبّبوا ببناته إلى أنّه لا يرى في شيوع ذلك بأساً أو منقصة عليه، وهذا ينمّ عن خلاعته ومجونه وفساده.

---

(١) تاريخ دمشق: ٣٤: ٢٩٦.

(٢) **أبو دهبل الجمحي:**

اسمه وهب بن زمعة بن أسيد، كان شاعراً مدّاحاً وهو القائل:

يا لَيتَ مَنْ يَمنَعُ المَعْروفَ يَمنَعُهُ ... حَتّىٰ يَذوقَ رِجالٌ غِبَّ ما صَنَعوا
وَلَيتَ رِزقُ أُناسٍ مِثلَ نائِلِهِمْ ... قُوتٌ كَقوتٍ وَوِسْعٌ كَالَّذي وَسِعوا
وَلَيتَ لِلنّاسِ حَظّاً في وُجوهِهِمُ ... تَبينُ أَخلاقُهُمْ فيهِ إِذا اجْتَمَعوا
وَلَيتَ ذو الْفُحْشِ لاقى فاحِشاً أَبَداً ... وَوافَقَ الحِلمَ أَهلُ الجَهلِ فَارْتَدَعوا

معجم الشعراء: ١: ١١٧.

وقد نشر الشيء الكثير من شعره في المجلّة الآسيويّة البريطانيّة.

(٣) الأغاني: ٦: ١٥٩.

## صفاته

اتّصف معاوية بالصفات المنكرة التي هي من صفات الجبابرة والطغاة الذين لا يرجون لله تعالى وقاراً، وهذا عرض لبعضها:

## الغدر

أمّا الغدر فهو من مقوّمات معاوية، ومن أبرز صفاته، وقد غدر بكوكبة من الأعلام، وطوى حياتهم، كان منهم:

### ١ ـ الإمام الحسن عليه السلام

اغتاله معاوية بسمّ دسّه إلى عامله على يثرب مروان بعد أن عاهده بأن تكون له الخلافة من بعده، فدسّ مروان السمّ إلى جعيدة بنت الأشعث، ووعدها بأن يتزوّج بها يزيد من بعده، ففرحت، فقدّمت السمّ للإمام، وكان صائماً، فتقطّعت أمعاؤه.

وخاطبها الإمام قائلاً: **قَتَلْتِيني قَتَلَكِ اللهُ، وَاللهِ لَا تُصيبينَ مِنِّي خَلَفاً، وَلَقَدْ غَرَّكَ** ـ يعني معاوية ـ **وَسَخِرَ مِنْكِ، يُخْزيكِ اللهُ وَيُخْزيهِ**[1].

ولم يلبث ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله إلّا قليلاً حتّى وافاه الأجل المحتوم.

### ٢ ـ سعد بن أبي وقّاص

كانت لسعد مركزيّة في الأوساط الإسلاميّة، فغدر به معاوية، فدسّ له سمّاً فقتله[2].

---

(١) تحف العقول: ٣٩١. بحار الأنوار: ٤٣: ٣٢٨.

(٢) المحن: ١٦٥.

## ٣ـ عبدالرحمن بن خالد

وكانت لعبد الرحمن مكانة متميّزة في الشام، فقد أحبّه الشاميّون، وقد أشاروا على معاوية بأن يعقد له البيعة بعده، فغدر به وسقاه طبيبه سمّاً فقتله[١].

هؤلاء بعض الأعلام الذين اغتالهم معاوية من أجل عقد الملك لولده يزيد.

## الخداع

بنى معاوية حياته على الخداع والتضليل والمكر، وهذه صور من سياسته القائمة على ذلك:

١ ـ لمّا دسّ السمّ إلى الزعيم مالك الأشتر قال لأهل الشام: «إنّ عليّاً وجّه الأشتر إلى مصر، فادعوا الله تعالى أن يكفيكم»، فكان الشاميّون يدعون على مالك في كلّ صلاة يصلّونها.

ولمّا أُخبر بموته أقبل على الشاميّين فقال لهم: «إنّ الله تعالى استجاب دعاءكم، فقد هلك مالك».

ثمّ همس في أُذن ابن العاص ساخراً من غباوة أهل الشام قائلاً: «إنّ لله جنوداً من عسل»[٢].

لقد استخدم معاوية العسل الذي مزجه بالسمّ للتخلّص من خصومه وأعدائه، فقد اغتال به الزعيم مالك الأشتر.

٢ ـ وصورة أُخرى من خداع معاوية ومكره أنّ جريراً البجلي موفد الإمام إلى معاوية يدعوه إلى بيعته، وبعد وصول جرير إلى معاوية طلب حضور شرحبيل

---

(١) المختصر في أخبار البشر: ١: ١٢٩.

(٢) تاريخ مدينة دمشق: ٥٦: ٢٧٦. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٦: ٧٦.

الكندي وهو من أبرز شخصيّات الشام، ومن أكثرهم نفوذاً في الأوساط الشاميّة، وعهد إلى جماعة من أصحابه أن ينفرد كلّ واحد منهم به، ويلقي في روعه أنّ عليّاً عليه السلام هو الذي قتل عثمان بن عفّان.

ولمّا قدم عليه شرحبيل أخبره بوفادة جرير عليه يطلب منه البيعة، وأنّه قد حبس نفسه حتّى يأخذ رأيه، لأنّ عليّاً قتل عثمان، وطلب منه شرحبيل مهلة حتّى يستشير أصحابه، فلمّا خرج منه التقى به القوم كلّ على انفراد، وأخبروه أنّ عليّاً عليه السلام هو المسؤول عن سفك دم عثمان، فلم يشكّ في صدقهم، فرجع إلى معاوية وقال له: «إنّ عليّاً قتل عثمان، والله إن بايعته لنخرجنّك من شامنا، ولنقتلنّك».

وقال له معاوية مراوغاً ومخادعاً: «ما كنت مخالفاً لكم، إنّما أنا رجل من أهل الشام»[1].

بمثل هذه الأضاليل والكذب أقام سلطانه وحكمه، وأعلن الرفض الكامل لبيعة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام الذي بايعته جميع مناطق المسلمين.

٣ ـ ومن صور خدعه وأضاليله لأهل الشام، أنّه لمّا راسل الزعيم قيس بن سعد يستميله ويمنّيه بسلطان العراق والحجاز له ولمن أحبّ من أهل بيته الذي صار معه، فردّ عليه قيس بأعنف القول، فأظهر معاوية للشاميّين أنّ قيساً قد بايعه، وأمرهم بالدعاء له، واختلق كتاباً نسبه له وقرأه عليهم.

«أمّا بعد، إنّ قتل عثمان كان حدثاً في الإسلام عظيماً، وقد نظرت لنفسي وديني، فلم أرَ بوسعي مظاهرة قوم قتلوا إمامهم مسلماً محرماً، برّاً تقيّاً، فنستغفر الله تعالى لذنوبنا، ألا وإنّي قد ألقيت لكم بالسلام، وأحببت قتال قتلة إمام الهدى المظلوم، فاطلب منّي ما أحببت من الأموال والرجال أعجله إليك...»[2].

---

(١) شرح نهج البلاغة: ٦: ٦٢.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٦: ٦٢.

أرأيتم هذه الأساليب المنكرة التي تنمّ عن ضلاله وتماديه في الإثم ؟!

٤ ـ وكان من خداعه أنّ ولده يزيد لمّا رأى تهافت أهل الشام على بيعته ومدحه قال له : يا أبة ، ما ندري أنخدع الناس أم يخدعوننا ؟

فأجابه أبوه : كلّ مَن أردت خديعته فتخادع له حتّى تبلغ منه حاجتك ، فقد خدعته[1] . وسار على هذه الخطّة الماكرة الأمويّون من بعده ، ولم يؤمنوا بأيّة كرامة أو قيمة إنسانيّة .

## البطش والجبروت

ومن صفات معاوية البارزة البطش والجبروت ، فقد أعلن بعد الصلح أمام القوّات العسكريّة من العراقيّين عن طيشه وغروره ، فقال لهم : « والله إنّي ما قاتلتكم لتصلّوا ، ولا لتصوموا ، ولا لتحجّوا ، ولا لتزكّوا ، إنّكم لتفعلون ذلك ، وإنّما قاتلتكم لأتأمّر عليكم . . . » .

ثمّ أعلن أنّ ما أعطاه للإمام الحسن عليه السلام من الشروط أنّها تحت قدمه لا يفي بشيء منها .

أرأيتم هذا الاستهتار والبطش والجبروت ، فقد احتقر العراقيّين ، ورفض ما أعطاه للإمام الحسن عليه السلام من الشروط ، وكانت هذه الظاهرة من صفات الأمويّين .

يقول الوليد :

فَدَعْ عَنكَ ادِّكارَكَ آلَ سِعْدى ... فَنَحْنُ الأَكْثَرونَ حَصىً وَمالا
ونَحنُ المالِكونَ النّاسَ قَسراً ... نَسومُهُمُ المَذَلَّةَ وَالنَّكالا
وَنورِدُهُمْ حِياضَ الخَسفِ ذُلّاً ... وَما نَألوهُمُ إِلّا خَبالا[2]

---

(١) الكامل في اللغة والأدب : ١ : ٤١٦ .

(٢) الأخبار الطوال : ٣٤٨ .

وحكت هذه الأبيات استهانة هذا الأمويّ بالناس ، وأنّه يسومهم المذلّة والهوان ، ويوردهم حياض الخسف ، وسار على هذا الخطّ عبدالملك بن مروان ، الذي كان الحجّاج الطاغية السفّاك من سيّئاته ، فقد خاطب عبدالملك أبناء المهاجرين والأنصار في المدينة قائلاً: «ألا وإني لا أداوي أمر هذه الأمة إلّا بالسيف حتّى تستقيم قناتكم ، وإنّكم تحفظون أعمال المهاجرين الأولين ، ولا تعملون مثل عملهم ، وإنكم تأمروننا بتقوى الله ، وتنسون ذلك من أنفسكم ، والله لا يأمرني أحد بتقوى الله بعد مقامي هذا إلّا ضربت عنقه»[١].

أرأيتم هذا الاستهتار بحقّ الأُمّة والاعتداء على كرامتها ؟! وقد سار على خطّ معاوية الذي لم ير حرمة للمسلمين ولا كرامة لهم.

## شراؤه للأديان

ومن موبقات معاوية أنّه كان يشتري الأديان ، فقد وفد عليه جماعة من أشراف العرب ، فأعطى كلّ واحد منهم مائة ألف ، وأعلى الحتات عمّ الفرزدق سبعين ألفاً ، فقال له : فضحتني في بني تميم ، أمّا حسبي فصحيح ، أوَلست ذا سنّ ؟ أوَلست مطاعاً في عشيرتي ؟

- بلى

- ما بالك خسست بي دون القوم ، وأعطيت مَن كان عليك أكثر ممّن كان لك.

فقال معاوية بلا حياء : إنّي اشتريت من القوم دينهم ، ووكلتك إلى دينك.

- وأنا فاشتر منّي ديني.

فأمر له بإتمام الجائزة[٢].

---

(١) تاريخ دمشق : ٣٧ : ١٣٥. الكامل في التاريخ : ٤ : ٤١. تاريخ التمدّن الإسلامي : ٤ : ٨٣.

(٢) تاريخ الأمم والملوك : ٤ : ٤٦٩. الكامل في التاريخ : ٣ : ٥٣١.

لقد خسرت صفقة البائع والمشتري، فقد حوّل البائع مقدّساته الدينيّة إلى سلعة فباعها على ذئب جاهلي.

## هبات الأموال للمنحرفين عن الإمام عليّ عليه السلام

أغدق معاوية الأموال على المنحرفين عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، فقد وفد عليه يزيد بن منبه ـ وهو من أنصار عائشة في يوم الجمل ـ فوهبه ثلاثين ألفاً، وقال لخازن بيت المال: أعطه ثلاثين ألفاً أُخرى ليوم الجمل[١].

وهكذا كان لا يتحرّج في الإنفاق على القوى الباغية التي كانت معادية لوصيّ رسول الله صلى الله عليه وآله وباب مدينة علمه.

## التفريق بين خصومه

وشيء آخر من صفات معاوية التفريق بين خصومه، وإلقاء العداوة بينهم حتّى يشغلهم عنه.

يقول العقّاد: «إنّه ـ أي معاوية ـ كانت له حيلته التي كرّرها وأتقنها واستخدمها مع خصومه في الدولة من المسلمين وغير المسلمين، وكان قوام تلك الحيلة العمل الدائب على التفرقة والتخذيل بين خصومه بإلقاء الشبهات بينهم، وإثارة الإحن فيهم، ومنهم مَن كانوا من أهل بيته وذوي قرباه، وكان لا يطيق أن يرى رجلين ذوي خطر على وفاق، وكان التنافس الفطري بين ذوي الأخطار ممّا يعينه على الايقاع بهم»[٢].

لقد عمل معاوية على تصديع كلمة المسلمين، وفصم عرى الوحدة بينهم،

---

(١) العقد الفريد: ١: ٢٥٨.

(٢) العبقريّات الإسلاميّة: ٤: ٢٣٥.

وكان ذلك واضحاً في سياسته مع شيعة أهل البيت عليهم السلام.

## عزمه على إبادة الموالي

عزم معاوية على إبادة الموالي وقتلهم، فقد روى المؤرّخون أنّه دعا الأحنف بن قيس وسمرة بن جندب[١] وقال لهما: إنّي رأيت هذه الحمراء قد كثرت، وأراها قد قطعت على السلف، وكأنّي أنظر إلى وثبة منهم على العرب والسلطان، فقد رأيت أن أقتل شطراً منهم، وأدع شطراً لإقامة السوق، وعمارة الطريق.

وعذله الأحنف عن إراقة دماء هؤلاء المسلمين، وأخذ يلاطفه ويذكر له المحاذير التي تواجهه، فعدل عن ذلك[٢].

وقد خيّم الظلم والجور على الموالي في عهد معاوية وحكّام الأمويّين من بعده. يقول شاعر الموالي شاكياً ممّا ألمّ بهم من الجور:

أَبْلِغْ أُمَيَّةَ عَنِّي إِنْ عَرَضتَ لَها ... وَابنَ الزُّبيرِ وَأَبلِغْ ذَلِكَ العُرُبا
إِنَّ المَوالِيَ أَضحَتْ وَهيَ عاتِبَةٌ ... عَلَى الخَلِيفَةِ تَشكُو الجُوعَ وَالحَرَبا[٣]

وشكا أحد الخراسانيّين ما أصابهم من الجوع والبؤس قائلاً: يا أمير المؤمنين، عشرون ألفاً من الموالي يغزون بلا عطاء ولا رزق، ومثلهم قد أسلموا من أهل الذمّة يؤدّون الخراج[٤].

---

(١) في النصائح الكافية: «وقد قتل (سمرة) ثمانية آلاف من الناس».
وفيه أيضاً: «قتل سمرة سبعة وأربعين رجلاً كلّهم قد جمع القرآن». النصائح الكافيّة لمن يتولّى معاوية: ٥٣.

(٢) العقد الفريد: ٣: ٤١٣.

(٣) تاريخ الأُمم والملوك: ٧: ٣٩٣.

(٤) تاريخ الأُمم والملوك: ٥: ٥٩٥. الكامل في التاريخ: ٤: ١٥٨.

وقد عرضنا بصورة شاملة إلى ما عاناه الموالي من الاضطهاد والظلم في كتابنا (حياة الإمام الحسين بن عليّ عليه السلام).

# سياسته الماليّة

أمّا سياسة معاوية الماليّة، فكانت قائمة على نهبه أموال الناس، وسلب مقدّراتهم الاقتصاديّة، وقد أنفق أموال المسلمين على شراء الضمائر، ومحاربة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وهذه صور منها:

## منح خراج مصر لابن العاص

وهب معاوية خراج مصر إلى ابن العاص، وجعله طعمة له ما دام حيّاً[1]، لانضمامه إليه، والاستعانة بمكره وحيله على محاربة وصيّ رسول الله صلى الله عليه وآله وباب مدينة علمه، وقد عجز معاوية عن تسديد رواتب الموظّفين، فكتب له أن يسعفه بشيء من خراج مصر، وجاء في رسالته:

«أمّا بعد: فإنّ سؤّال أهل الحجاز وزوّار أهل العراق قد كثروا عليَّ، وليس عندي فضل من أُعطيات الجنود، فأعنّي بخراج مصر هذه السنة».

ولم يستجب له ابن العاص، وأنكر عليه ذلك، وأجابه بهذه الأبيات:

مُعاوِيَ إنْ تُدركْكَ نَفسٌ شَحِيحَةٌ ... فَما وَرَّثَتْنِي مِصرَ أُمِّي وَلَا أَبِي
وَما نِلتُها عَفواً وَلٰكِنْ شَرَطتُها ... وَقَد دارَتِ الحَربُ العَوانُ عَلىٰ قُطبِ
وَلَولَا دِفاعِي الأَشعَرِيَّ وَصَحبَهُ ... لَأَلفَيتَها تَرْغُو كَراغِيَةِ السَّقْبِ

---

(١) مروج الذهب: ٢: ٣٥٤.

ولما قرأ معاوية الأبيات تأثّر منه، ولم يسعفه ابن العاص بأي شيء من أموال الخراج أو غيره[١].

## مصادرة أموال الناس

وبعد ما أُصيب معاوية بالعجز عن تسديد رواتب الموظّفين عمد إلى مصادرة أموال الناس، وقد صادر أموال الحتات عمّ الفرزدق، فأنكر عليه الفرزدق وقال يهجوه:

أَبُوكَ وَعَمِّي يا مُعاوِيَ أَورَثا ... تُراثاً فَأَولَى بِالتُّراثِ أَقارِبُهْ
فَما بالُ مِيراثِ الحُتاتِ أَخَذْتَهُ ... وَمِيراثُ صَخْرٍ جامدٌ لَكَ ذائِبُهْ
فَلَوْ كانَ هٰذا الحُكْمُ فِي جاهِلِيَّةٍ ... عَلِمتَ مِنَ المَرءِ القَلِيلِ حَلَائِبُهْ
وَلَو كانَ هٰذَا الأَمْرُ فِي غَيرِ مُلْكِكُمْ ... لَأَودَيتَهُ أَوْ غَصَّ بِالماءِ شارِبُهْ
أَلَسْتُ أَعَزَّ النّاسِ قَوماً وَأُسرَةً ... وَأَمنَعهُم جاراً إِذا ضِيمَ جانِبُهْ
وَما وَلَدتْ بَعدَ النَّبيِّ وَآلِهِ ... كَمِثْلِي حَصانٌ فِي الرِّجالِ يُقارِبُهْ
وَبَيتِي إِلى جَنبِ الثُّرَيّا فِناؤُهُ ... وَمِن دُونِهِ البَدرُ المُضِيءُ كَواكِبُهْ
أَنا ابنُ الجِبالِ الشُّمِّ فِي عَدَدِ الحَصىٰ ... وَعِرقُ الثَّرىٰ عِرقِي فَمَن ذا يُحاسِبُهْ
وَكَمْ مِنْ أَبٍ لِي يا مُعاوِيَ لَم يَزَلْ ... أَغَرَّ يُباري الرِّيحَ ما ازْوَرَّ جانِبُهْ
نَمَتهُ فُرُوعُ المالِكينَ وَلَمْ يَكُنْ ... أَبُوكَ الَّذي مِنْ عَبدِ شَمسٍ يُقارِبُهْ[٢]

حكى مطلع هذه الأبيات أنّ الأموال التي خلّفها صخر جدّ معاوية قد انتقلت

---

(١) الأخبار الطوال: ٢٢٢.

(٢) ديوان الفرزدق: ١: ٦٤ ـ ٦٦. تاريخ الأُمم والملوك: ٤: ٤٦٩ و ٤٧٠. الكامل في التاريخ: ٣: ٢٣٢.

إلى ورثته في حين انّ أموال عمّ الفرزدق قد صادرها معاوية، ولو كان ذلك في الجاهليّة لكان معاوية أقصر باعاً من أن تمتدّ يده إليها، فإنّ الفرزدق ينتمي إلى أُسرة من أعزّ الأُسر وأمنعها.

## نهب ولاته لأموال الناس

أمّا ولاة معاوية فهم من الخونة واللصوص، وقد خاطب أبو الأسود الدؤلي حارثة حينما ولي على إحدى كور الأهواز بهذه الأبيات:

أَحارُ بنُ بَدرٍ قَد وَليتَ إِمارةً ... فَكُن جُرُذاً مِمَّن يَخُونُ وَيَسرِقُ
وَباهِ تَميماً بِالغِنَىٰ إِنَّ لِلغِنىٰ ... لِساناً بِهِ المَرءُ الهَيُوبَةُ يَنطِقُ
وَلَا تَحقِرَنْ يا حارُ شَيئاً أَصَبْتَهُ ... فَحَظُّكَ مِن مُلكِ العِراقَينِ سُرَّقُ[1]

لقد أصبحت الإمارة وغيرها من أجهزة الدولة في عصر معاوية من مصادر الثراء والمال.

ووصف عقبة بن هبيرة الأسدي ظلم ولاة معاوية وجورهم بهذه الأبيات:

مُعاويَ إِنَّنا بَشَرٌ فَأَسْجِحْ ... فَلَسنا بِالجِبالِ وَلَا الحَدِيدِ[2]
فَهَبنا أُمةً ذَهَبَتْ ضَياعاً ... يَزِيدُ أَمِيرُها وَأَبو يَزيدِ
أَكَلتُمْ أَرضَنا فَجَرَدْتُمُوها ... فَهَلْ مِن قائمٍ أَوْ مِنْ حَصِيدِ
أَتَطمَعُ فِي الخِلافةِ إِذْ هَلكْنا ... وَلَيسَ لَنا وَلَا لَكَ مِن خُلُودِ
ذَرُوا خَونَ الخِلَافَةِ وَاسْتَقِيمُوا ... وَتَأْمِيرَ الأَراذِلِ وَالعَبِيدِ

---

(١) ديوان أبي الأسود الدؤلي: ١٧٧. تاريخ مدينة دمشق: ١١: ٣٩١ و ٣٩٢. فتوح البلدان: ٣٧٢. معجم البلدان: ٣: ٢٤٢.

(٢) السجح: السهولة واللّين ـ لسان العرب: ٦: ١٧٤ ـ سَجَحَ.

وأَعْـطونا السَّـوِيَّةَ لَا تَـزُرْكُـمْ جُـنُودٌ مُـردِفاتٌ بِـالجُنُودِ[١]

حكت هذه الأبيات مدى الجور والظلم الذي عاناه عقبة وقومه من الولاة الذين هم من الأراذل والعبيد ـ على حدّ قوله ـ.

## ظلم الجباة

أمّا الجباة، فكانوا من أراذل المجتمع، ومن أكثرهم قسوة، وقد كتب عبدالله ابن همام السلولي أبياتاً من الشعر يشكو فيها ظلم الجباة وجورهم، وقد ألقاها في المسجد الجامع، وهذه هي الأبيات:

أَلَا أَبلِغْ مُـعاوِيَةَ بـنَ صَـخرٍ فَقد خَرِبَ السَّوادُ فَلَا سَوادا
أَرَى العُـمّالَ أَقسـاءً عَـلَينا بِعاجِلِ نَفعِهِمْ ظَلَمُوا العِبادا
فَهَل لَكَ أَن تَدارَكَ ما لَـدَينا وَتَدفَعَ عَنْ رَعِيَّتِكَ الفَسـادا
وَتَـعزِلَ تـابِعاً أَبَـداً هَـواهُ يُـخَرِّبُ مِـنْ بَـلَادَتِهِ البِـلَادا
إِذَا ما قُلْتُ أَقصِرْ عَنْ هَـواهُ تَمادىٰ فِي ضَلَالَتِهِ وَزادا[٢]

وقد حكى السلولي بشعره سوء الحالة الاقتصاديّة التي كانت بسوء سياسة الولاة الذين جهدوا على نهب أموال الناس وظلمهم.

## اصطفاء الذهب والفضّة

وأوعز معاوية إلى عامله زياد بن أبيه أن يصطفي الذهب والفضّة من الناس، فقام زياد بإجبار المواطنين على اصطفاء أموالهم وإرسالها إلى دمشق. وترك الفقر

---

(١) خزانة الأدب: ٢: ٢٦٠.

(٢) تاريخ مدينة دمشق: ٣٥: ٥١ و ٥٢. الإسلام والحضارة العربيّة: ٢: ١٤٩ و ١٥٠.

والبؤس قد خيّما على المواطنين[١].

## حجّة معاوية

أمّا حجّة معاوية في إسرافه في أموال المسلمين ونهبه لثرواتهم، فقد أعلن عنها بقوله حينما قدم صعصعة عليه ومعه رسالة من الإمام أمير المؤمنين له، وكان عنده وجوه الناس: «الأرض لله، وأنا خليفة الله، فما آخذ من مال الله فهو لي، وما تركته كان جائزاً لي»[٢].

فردّ صعصعة على مقولته:

تُمَنّيكَ نَفسُكَ ما لا يَكو نُ جَهلاً مُعاوِيَ لا تَأنَمِ[٣]

إنّ مال الله هو للمسلمين ليس له ولا لغيره من الحكّام، وإنّ الدولة مسؤولة عن إنفاقه في تطوير حياة المسلمين، وإنقاذهم من غائلة البؤس والفقر.

لقد اعتبر الإسلام الفقر كارثة اجتماعيّة مدمّرة، وعلى رئيس الدولة أن يزيل كابوس الفقر عن المسلمين وغيرهم من سكنة الوطن الإسلامي، وليس له أن يصطفي لنفسه وأبنائه وحاشيته أي شيء منها، كما صنع ذلك الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، فقد احتاط في أموال الدولة أشدّ ما يكون الاحتياط، وحمّل نفسه رهقاً، وقد رسم بذلك الخطّ للسياسة الماليّة في الإسلام.

هذه بعض الأمثلة عن سياسة معاوية الماليّة نهباً وخيانة لمقدّرات البلاد الإسلاميّة الاقتصاديّة.

---

(١) تاريخ مدينة دمشق: ٣٥: ٥١. أُسد الغابة: ٣: ٣٣٤.

(٢) الغدير: ٨: ٣٤٩ و: ١٠: ١٧٦.

(٣) مروج الذهب: ٢: ٧٩.

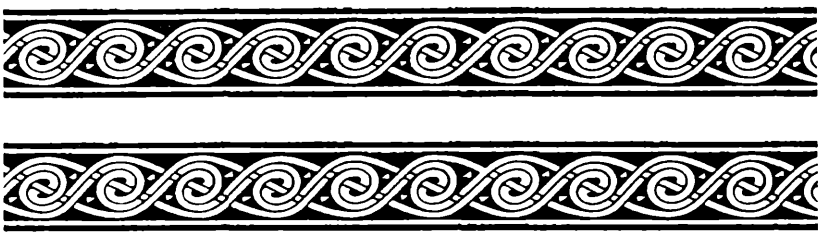

# مروقه عن الدين

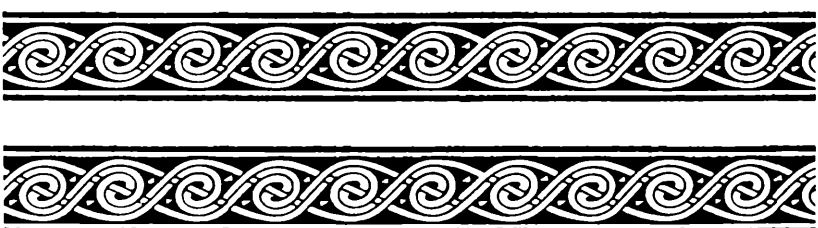

والشيء المؤكّد أنّ معاوية كان مارقاً من الدين ومعادياً له ، ومنتهكاً لحرماته ، وهذه أمثلة لذلك :

## الحقد على النبيّ ﷺ

ورث معاوية من أبيه وأُمّه الحقد السافر والعداء العارم للنبيّ ﷺ ، وكان من حقده ما رواه مطرف بن المغيرة ، قال : « وفدت مع أبي على معاوية ، فكان أبي يتحدّث معه ثمّ ينصرف عنه وهو معجب به ، وأقبل ذات ليلة وهو غضبان فأمسك عن العشاء ، فانتظرته ساعة ، وقد ظننت أنّه لشيء حدث فينا أو في عملنا ، فقلت له : مالي أراك مغتمّاً منذ الليلة ؟

فقال : يا بني ، جئتك من أكفر الناس وأخبثهم .

قلت : ما ذاك ؟

قال : خلوت بمعاوية فقلت له : إنّك قد بلغت مناك يا أمير المؤمنين ، فلو أظهرت عدلاً وبسطت خيراً فإنّك قد كَبُرت ، ولو نظرت إلى إخوتك من بني هاشم ، فوصلت أرحامهم ، فوالله ما عندهم اليوم شيء تخافه ، وإنّ ذلك ممّا يبقى لك ذكره وثوابه .

فثار معاوية واندفع يقول : هيهات !! هيهات أي ذكر أرجو بقاءه ، ملك أخو تيم فعدل ، وفعل ما فعل ، فوالله ما عدا أن هلك فهلك ذكره ، إلّا أن يقول قائل :

أبو بكر، ثمّ ملك أخو عدي فاجتهد وشمّر عشر سنين، فوالله ما عدا أن هلك فهلك ذكره، إلّا أن يقول قائل: عمر، ثمّ ملك أخونا عثمان فملك رجل لم يكن أحد في مثل نسبه، فعمل به ما عمل، فوالله ما عدا أن هلك فهلك ذكره، وإنّ أخا هاشم يصرخ به في كل يوم خمس مرّات: أشهد أنّ محمّداً رسول الله، فأي عمل يبقى بعد هذا لا أُمَّ لك إلّا دفناً دفناً[١].

حكت هذه البادرة مروقه من الدين، وبغضه للنبيّ ﷺ، وقد كفّره المغيرة، وفي المثل: «ويل لمن كفره نمرود».

ومن بغضه للنبيّ ﷺ ما رواه المؤرّخون أنّه سمع المؤذّن يقول: أشهد أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً رسول الله، فلم يملك صوابه، واندفع يقول بغيظ: لله أبوك يابن عبد الله، لقد كنت عالي الهمّة، ما رضيت لنفسك إلّا أن يقرن اسمك باسم ربّ العالمين[٢].

وأُترعت بهذه النزعة الإلحاديّة نفسيّة معظم ملوك بني أُميّة.

يقول الوليد في بعض خمريّاته:

أَدِرِ الكَأسَ يَمِيناً ... لاَ تَدِرها لِيَسارِ
اسْقِ هٰذا ثُمّ هٰذا ... صاحِبَ العُودِ النُّضارِ
مِن كُمَيتٍ عَتَّقوها ... مُنذُ دَهرٍ في جِرارِ
خَتَموها بِالأَفاوِيـ ... ـهِ وَكافُورٍ وَقارِ[٣]
فَلَقَدْ أَيقَنتُ أَنّي ... غَيرُ مَبعوثٍ لِنارِ

---

(١) الأخبار الموفقيات: ٥٧٧. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٥: ١٣٠.
(٢) بحار الأنوار: ٣٣: ٢٠٢. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٠: ١٠١.
(٣) **الأفاويه**: التوابل، أو ما يعالج به الطيب ـ أقرب الموارد: ٢: ٩٥٣ ـ فَوَهَ.

سَأَرُوضُ النّاسَ حَتّىٰ يَـركَبوا أَيـرَ الحِمارِ
وَذَرُوا مَـن يَـطلُبُ الـ جَنَّةَ يَسـعَىٰ لِـتَبارِ[١]

أرأيتم هذا الإلحاد والمروق من الإسلام، وقد سار على هذا الخطّ الكافر المجرم الحـجّاج، فكـان يـخاطب الله تـعالى أمـام الجـماهير قـائلاً: «أرسـولك أفـضل أم خليفتك؟» يعني أنّ عبد الملك أفضل من النبيّ ﷺ[٢].

وكان ينقم على الذين يزورون قبر النبيّ ﷺ ويقول: «تـبّاً لهـم، إنّـما يـطوفون بأعواد ورمّة بالية، هلّا طافوا بقصر أمير المؤمنين عبد الملك، ألا يعلمون أنّ خليفة المرء خير من رسوله»[٣].

وقد تغذّى بهذه الفكرة الإلحاديّة أتباعه الوهابيّون، فحرّموا زيارة قبر النبيّ ﷺ.

## تعطيل الحدود

وعطّل معاوية الحدود الإسلاميّة، ولم يحفل بإقامتها، فـقد جـيء له بسـارق فقال:

يَـميني أَمـيرَ المُـؤْمِنينَ أُعـيذُها بِـعَفوِكَ أَنْ تُـلقىٰ مَكـاناً يُشـينُها
يَدي كانَتِ الحَسناءَ لَوْ تَمَّ سَتْرُها وَلَا تَعدِمِ الحَسناءُ عَـيباً يُشـيبُها
فَلَا خَيرَ في الدُّنْيا وَكانَتْ حَبيبَةً إِذا مـا شِـمالي فـارَقَتْها يَـمينُها

وغزت هذه الأبيات قلب معاوية.

وانبرت أُمّ السارق قائلة: اجعلها في ذنوبك التي تتوب مـنها، فـخلّى سـبيله،

---

(١) الأغاني: ٧: ٤٠. رسالة الغفران: ١٤٥.
(٢) رسائل الجاحظ: ٢٩٧. العقد الفريد: ٥: ٥٢. النزاع والتخاصم للمقريزي: ٦٩.
(٣) العقد الفريد: ٥: ٥١. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٥: ٢٤٢.

فكان أوّل حدّ ترك في الإسلام[١].

وقد عطّلت الحدود في معظم أيّام حكم الأمويّين، وفي ذلك يقول الكميت شاعر الإسلام الأكبر:

وَعُطِّلتِ الأَحْكامُ حَتّىٰ كَأَنَّنا ... عَلىٰ مِلَّةٍ غَيْرِ الَّتِي نَتَنَحَّلُ
أَأَهْلُ كِتابٍ نَحْنُ فِيهِ وَأَنتُمُ ... عَلَى الحَقِّ نَقضِي بِالكِتابِ وَنَعدِلُ
كَأَنَّ كِتابَ اللهِ يُعْنَى بِأَمرِهِ ... وَبِالنَّهْيِ فِيهِ الكَودَنِيُّ المُرَكَّلُ[٢]
فَتِلكَ مُلُوكُ السُّوءِ قَد طالَ مُلكُهُمْ ... فَحَتّامَ حَتّامَ العَناءُ المُطَوَّلُ
وَما ضَرَبَ الأَمثالَ فِي الجَورِ قَبلَنا ... لِأَجْوَرَ مِن حُكّامِنا المُتمَثِّلُ[٣]

## إباحة الربا

من أفحش المحرّمات في الإسلام الربا، ولعن فيه المعطي والآخذ والوسيط والشاهد، ولكنّ معاوية أباحه، فقد باع سقاية من ذهب أو ورق بأكثر منها، فقال له أبو الدرداء[٤]: سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن مثل هذا، إلّا مثلاً بمثل.

---

(١) البداية والنهاية: ٨: ١٣٦.

(٢) **الكودني**: نسبة إلى الكودن وهو البرذون يشبّه به البليد ـ أقرب الموارد: ٣: ٣٥٩ ـ كدن.

(٣) القصائد الهاشميّات والقصائد العلويّات: ٦١ و ٦٣ و ٦٤.

(٤) **أبو الدرداء**:

اختلف في اسمه، فقيل: عامر وعويمر، واختلف في اسم أبيه، فقيل: عامر ومالك وعبدالله، ينتهي نسبه إلى كعب بن الخزرج الأنصاري، أسلم أبو الدرداء يوم بدر وشهد أُحداً.

قال ﷺ في حقّه: «**أبو الدَّرْداءِ حَكيمُ أُمَّتي**»، كان تاجراً قبل الإسلام، فلمّا أسلم ترك التجارة، ولّاه معاوية قضاء دمشق في خلافة عمر. توفّي لسنتين بقيتا من خلافة عثمان، وقيل: مات سنة ٣٢، وقيل: مات بعد صفّين. الإصابة: ٤: ٤٦. »

فانبرى معاوية معلناً عدم اعتنائه بتحريم النبيّ ﷺ له قائلاً: ما أرى بمثل هذا بأساً.

وامتلأ قلب أبي الدرداء غيظاً وقال: «من يعذرني من معاوية أنا أُخبره عن رسول الله ﷺ ويخبرني عن رأيه، لا أُساكنك بأرض أنت بها».

ثمّ ترك الشام وانصرف إلى يثرب، واستقال ممّا عهد إليه من أعمال[١].

## الأذان في صلاة العيد

ليس في صلاة العيد أذان، وإنّما هو في الصلاة اليوميّة دون نوافلها، وقد قال رسول الله ﷺ: «**لَيْسَ فِي الْعِيدَيْنِ أَذانٌ، وَلَا إِقامَةٌ**»[٢].

وسار على ذلك الخلفاء إلّا أنّ معاوية لم يحفل بذلك، فقد روى ابن أبي شبة أنّ أوّل من أحدث الأذان في صلاة العيدين معاوية[٣]. وهذه من البدع التي حرّمها الإسلام.

## الخطبة قبل صلاة العيد

من بدع معاوية أنّه أحدث الخطبة قبل صلاة العيد وهي بعد الصلاة لا قبلها، فقد صلّى النبيّ ﷺ صلاة عيد الفطر، وبعد الفراغ قام خطيباً، وفعل النبيّ ﷺ سنّة يجب اتّباعها، وصلّى من بعده الخلفاء على وفق صلاته[٤].

---

« وجاء في الكنى والأسماء: ٧٢: «أنّ أبا الدرداء روى عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «**إِنَّ أَثْقَلَ شَيْءٍ فِي مِيزانِ الْمُؤْمِنِ خُلُقٌ حَسَنٌ، وَإِنَّ اللهَ يُبْغِضُ الفاحِشَ الْبَذِيءَ**».

(١) النصائح الكافية: ٩٤.

(٢) كشف الغمّة: ١: ١٢٣.

(٣) سنن أبي داود: ١: ٧٩.

(٤) سنن أبي داود: ١: ١٧٨.

## أخذ أموال الناس

حرّم الإسلام أخذ أموال الناس بالباطل ، ولم يحفل بذلك معاوية ، فقد استصفى أموال الناس من دون عوض .

## تطيّبه في الإحرام

من المحرّمات على المحرم في الحجّ لبيت الله الحرام ترك الطيب ما دام محرماً ، فإذا حلّ من إحرامه جاز له استعماله ، ولكنّ معاوية خالف ذلك فتطيّب في إحرامه[١] عناداً منه في مخالفة الإسلام أو جهلاً بأحكامه .

## ترك التلبية في الإحرام

وترك معاوية التلبية الواجبة في الإحرام بغضاً لعليّ عليه السلام لأنّه كان يأتي بها[٢] .

## الجمع بين الأُختين

سأل ثلّة من الناس معاوية عن الجمع بين الأُختين إذا كانتا مملوكتين عند شخص ، فهل له أن يطأهنّ ، فقال : ليس بذلك بأس .

وأنكر عليه النعمان بن بشير فتواه ، وقال له : أرأيت لو كان عند الرجل أُخته مملوكته يجوز له أن يطأها ؟

فقال : أما والله لربّما وددتني أدرك ، وقال لهم : اجتنبوا ذلك ، فإنّه لا ينبغي لهم ذلك[٣] .

---

(١) النصائح الكافية : ١٠٠ .

(٢) سنن النسائي : ٥ : ٢٥٣ .

(٣) موسوعة الغدير : ١ : ١٩٩ ، نقلاً عن الدرّ المنثور : ٢ : ١٣٧ .

## أخذ الزكاة من الأُعطية

الزكاة في الإسلام تجب في موادّ خاصّة، وليس منها الأُعطية، ولكنّ معاوية لم يعن بذلك، فأخذ منها الزكاة[١]، وقد خالف بذلك إجماع المسلمين وذلك إمّا لجهله بأحكام الإسلام، أو تعمّداً على مخالفة السنّة، وهو أوْلى.

## استعمال أواني الذهب والفضّة

حرّم الإسلام استعمال أواني الذهب والفضّة، إلّا أنّ معاوية قد خالف ذلك وجعل يستعملها في مأكله ومشربه، ولمّا تلي عليه تحريم النبيّ ﷺ لهما قال: «لا أرى بأساً في ذلك»[٢].

## صلاة الجمعة يوم الأربعاء

وصلّى معاوية صلاة الجمعة يوم الأربعاء[٣]، وكان ذلك لجهله وعناده ومخالفته الصريحة لأحكام الإسلام.

## إتمام الصلاة في السفر

ومن مخالفات معاوية للسنّة أنّه أتمّ الصلاة في مكّة وهو مسافر، فإذا خرج من مكّة قصر في صلاته، فأنكر عليه مروان وعمرو بن عثمان، فلم يعن بهما وأصرّ على ذلك[٤].

---

(١) تاريخ اليعقوبي: ٢: ٢٣٢.

(٢) النصائح الكافية: ١٠١.

(٣) موسوعة الغدير: ١: ١٩٦.

(٤) موسوعة الغدير: ١٠: ١٩٠.

## ترك سنّة التكبير في الصلاة

من سنن الصلاة التكبير قبل الهوي إلى الركوع، ومعاوية لم يحفل بذلك، فقد ألغى وترك هذه السنّة، فكان إذا ركع لم يأتِ به[١].

## ترك البسملة

كان معاوية إذا صلّى لم يقرأ البسملة، وقد ردّ عليه الأنصار فقالوا له: سرقت صلاتك، أين بسم الله الرحمن الرحيم، فصلّى بهم ثانياً وذكر البسملة[٢].

## نقصان الديات

عمد معاوية إلى نقصان دية المقتول، فقد كانت ألف دينار فنقصها معاوية إلى النصف، قال ابن كثير: «قال الزهري: مضت السنّة أنّ دية المعاهد كدية المسلم، وكان معاوية أوّل من قصرها إلى النصف ويأخذ النصف الآخر»[٣].

## إلحاق زياد بنسبه

من موبقات معاوية إلحاق زياد بنسبه، وأنّه أخ له، وهو ابن عبيد الرومي، وقد خالف قول رسول الله ﷺ: «**الْوَلَدُ لِلْفِرَاشِ وَلِلْعَاهِرِ الْحَجَرُ**»[٤].

لقد ضرب معاوية كلام رسول الله ﷺ بعرض الجدار.

أمّا زياد فهو ابن سميّة، وكانت بغيّة من ذوات الرايات بالطائف، وتؤدّي ضريبة

---

(١) الغدير: ١٠: ٢٠٠.

(٢) الأُمّ: ١: ١٣٠.

(٣) البداية والنهاية: ٨: ١٣٩.

(٤) أنساب الأشراف: ٥: ٢٠٢ و ٢٠٣.

البغاء إلى الحارث بن كلدة ، ولم يأنف معاوية بإلحاقه بنسبه من أجل أغراضه الشخصيّة ، وقد ذكرنا بصورة شاملة استلحاق معاوية لزياد ، وعرضنا إلى الأعلام الذين أنكروا ذلك ، منهم السبطان الحسن والحسين عليهما السلام ، وذلك في كتابنا ( حياة الإمام الحسن بن عليّ عليه السلام ) .

## احتقاره للأنصار

احتقر معاوية الأنصار لأنّهم ناصروا النبيّ صلى الله عليه وآله ، ووقفوا إلى جانبه ، وذبّوا عنه أيّام غربة النبيّ صلى الله عليه وآله ، وهذه صور من احتقاره لهم :

١ ـ لمّا قدم معاوية المدينه لقيه أبو قتادة الأنصاري ، فقاله له معاوية : يا أبا قتادة ، تلقاني الناس كلّهم غيركم يا معشر الأنصار ، ما منعكم ؟

- لم يكن معنا دوابّ .

- فأين النواضح ؟

فأجابه أبو قتادة جواباً حاسماً كان كالصاعقة على معاوية قائلاً : عقدناها ـ أي النواضح ـ في طلبك ، وطلب أبيك يوم بدر .

ولم يستطع معاوية أن يردّ عليه هذا المنطق الذي حفل بالصدق ، وانبرى أبو قتادة قائلاً : إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لنا : أنّا سنرى بعده أثرة .

فقال معاوية : ما أمركم به عند ذلك ؟

- أمرنا بالصبر .

فقال معاوية : اصبروا حتّى تلقوه .

وبلغ حديث معاوية عبدالرحمن بن حسّان ، فقال :

أَلا أَبْلِغْ مُعاوِيَةَ بْنَ حَرْبٍ  أَميرَ الظّالِمينَ ثَنا كَلامي

وَإِنَّـا صـابِرونَ وَمُـنْظِروكُمْ إِلىٰ يَومِ التَّغابُنِ وَالْخِصامِ[١]

٢ ـ ومن صور احتقاره للأنصار أنّ أبا أيّوب التقى بمعاوية، فذكر له حاجة فجفاه ولم يعن به، فقال أبو أيّوب: إنّ رسول الله ﷺ أخبرنا أنّه سيصيبنا بعده أثرة.

فقال له معاوية: فاصبروا إذاً.

فغضب أبو أيّوب، وحلف أن لا يكلّمه أبداً[٢].

٣ ـ ومن احتقار معاوية للأنصار أنّ أبا بكرة حضر مجلس معاوية، فقال له: حدّثنا يا أبا بكرة؟

فقال له: إنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: الخلافة ثلاثون، ثمّ يكون بعد ذلك الملك.

فغضب معاوية وأمر بإخراجه مع ولده. قال عبدالرحمن بن أبي بكرة: وكنت مع أبي فأمر معاوية فوجي في أقفايا حتّى أُخرجنا[٣].

## لبسه للحرير

حرّم الإسلام على الرجال لبس الحرير إلّا في حال الحرب، ولكنّ معاوية جافى ذلك وعمد إلى لبسه[٤] غير معتنٍ بتحريم الإسلام له.

---

(١) الاستيعاب: ١: ٢٥٥. تاريخ ابن عساكر: ٧: ٢١. تاريخ الخلفاء: ١٣٤.

(٢) الخصائص الكبرى: ٢: ١٥.

(٣) جامع بيان العلم: ٢: ١٨٦.

(٤) تاريخ اليعقوبي: ٢: ٢٠٧.

## افتعال الأحاديث

وأخطر موبقات معاوية هو أنّه أقام لجاناً لوضع الأحاديث ونسبتها إلى النبيّ ﷺ، وقد أخلدت للمسلمين المحن وألقتهم في شرّ عظيم، فقد آمن بها شريحة من المسلمين واعتبروها جزء من حياتهم العقائديّة، وهي من المفتريات والموضوعات.

لقد كثرت الأحاديث الموضوعة لا في زمن معاوية فحسب، وإنّما في زمان الأمويّين والعبّاسيّين دعماً للحكم القائم، وتبريراً لما صدر منهم من ظلم وجور، وقد اضطرّ علماء المسلمين إلى تأليف عشرات الكتب في تعديل بعض الرواة، وجرح البعض الآخر منهم، وإلى ذكر مجموعة من الروايات الموضوعة.

وعلى أي حال، فقبل أن نذكر بعض الأحاديث الموضوعة في زمان معاوية نعرض إلى اللجنة التي أقامها معاوية، وأغدق عليها الأموال لوضع الأحاديث:

١ ـ أبو هريرة الدوسي شيخ المضيرة.

٢ ـ سمرة بن جندب[١].

٣ ـ كعب الأحبار اليهودي.

٤ ـ عمرو بن العاص.

هؤلاء بعض الوضّاعين الذين رووا من الأحاديث ما يتّفق مع رغبات معاوية وميوله.

---

(١) عن النبيّ ﷺ أنّه قال لعشرة أنفس فيهم سمرة بن جندب: «آخِرُكُمْ يَمُوتُ فِي النَّارِ»، فكان سمرة آخر العشرة موتاً ـ البداية والنهاية: ٦: ٢٣٢.

قيل: إنّ سمرة أصابه كزاز شديد، فكان لا يدفأ فأمر بقدر عظيمة فملئت ماءً وأوقد تحتها، واتخذ فوقها مجلساً، وكان يصعد إليه بخارها فيدفئه، فبينما هو كذلك خسفت به فحصل في النار، فذلك الذي قال له، والله العالم. إمتاع الأسماع: ٢: ٢٢٥.

## أصناف الأحاديث الموضوعة

أمّا الأحاديث الموضوعة فكانت أصنافاً متعدّدة ومختلفة ، منها :

## في فضل أبي بكر

ورويت جمهرة من الأحاديث في فضل أبي بكر ، كان منها :

١ ـ روي عن عبدالله بن عمر مرفوعاً : « أنّه لمّا ولد أبو بكر اطّلع الله تعالى على جنّة عدن فقال : وعزّتي وجلالي ، لا أُدخلك إلّا مَن أحبّ هذا المولود »[١] .

٢ ـ روى عبدالله بن عمر ، قال : « كنت عند النبيّ ﷺ وعنده أبوبكر الصديق عليه عباءة قد خلّها على صدره بخلال ، فنزل عليه جبرئيل فقال : ما لي أرى أبا بكر عليه عباءة قد خلّها على صدره بخلال ؟

قال : أنفق ماله عليَّ قبل الفتح .

قال : فأقرئه عن الله السلام ، وقل له؛ يقول لك ربّك : يا أبا بكر ،أراضٍ أنت عنّي في فقرك هذا أم ساخط ؟

قال : فالتفت النبيّ ﷺ إلى أبي بكر ، فقال : يا أبا بكر ، هذا جبرئيل يقرأك عن الله السلام ويقول لك : أراضٍ أنت عنّي في فقرك هذا أم ساخط ؟

قال : فبكى أبو بكر ، وقال : أعلى ربّي ساخط ، أنا راضٍ ، أنا عن ربّي راضٍ ، أنا عن ربّي راضٍ ، أنا عن ربّي راضٍ »[٢] .

وفي هذا الحديث المفتعل طعن في عظمة الله تعالى الذي يعلم ما انطوت عليه النفوس من أسرار ، فهو لا يعلم أنّ أبا بكر راض عنه يستفسر عنه ؟

---

(١) تاريخ بغداد : ١٣ : ٣٩ . وعلّق عليه : « إنّه باطل » .

(٢) تاريخ بغداد : ١٢ : ١٠٥ . تاريخ مدينة دمشق : ٣٠ : ٧١ .

٣ ـ روى أنس: «أنّ يهوديّاً أتى أبا بكر، فقال له: والذي بعث موسى وكلّمه تكليماً، إنّي لأُحبّك، فلم يرفع أبو بكر رأسه إليه تهاوناً به، فهبط جبرئيل على النبيّ ﷺ وقال له: إنّ العليّ الأعلى يقرأك السلام ويقول لك: قل لليهوديّ: إنّ الله قد أحاد عنك النار، فأسلم اليهودي»[١].

٤ ـ ومن المفتريات ما رووه عن النبيّ ﷺ: «أنّ الله تعالى اتّخذ لأبي بكر في أعلى عليّين قبّة بيضاء معلّقة بالقدرة تخترقها رياح الرحمة، للقبّة أربعة آلاف باب، كلّما اشتاق أبو بكر إلى الله انفتح منها باب، ينظر إلى الله عزّ وجلّ».

علّق الخطيب البغدادي على هذا الحديث بقوله: «مَن ركب هذا الحديث على مثل هذا الإسناد فما أبقى من إطراح الحشمة والجرأة على الكذب شيئاً، نعوذ بالله تعالى من الخذلان، ونسأله العصمة عن تزيين الشيطان، إنّه وليّ ذلك والقادر عليه»[٢].

٥ ـ من الموضوعات: «أنّ النبيّ ﷺ لمّا خرج من الغار أخذ أبو بكر بغرزه، فنظر النبيّ ﷺ إلى وجهه فقال: يا أبا بكر، ألا أُبشّرك؟

قال: بلى فداك أبي وأُمّي.

قال: إنّ الله تعالى يتجلّى يوم القيامه للخلائق عامّة، ويتجلّى لك خاصّة».

علّق الخطيب البغدادي على هذا الحديث بقوله: «لا أصل له عند ذوي المعرفة بالنقل فيما نعلمه، وقد وضعه محمّد بن عبد إسناداً ومتناً، وله أحاديث كثيرة تشابه ما ذكرناه، وكلّها تدلّ على سوء حاله، وسقوط رواياته»[٣].

---

(١) الغدير: ٣: ٣٠١.

(٢) تاريخ بغداد: ٥: ٤٤١.

(٣) تاريخ بغداد: ٢: ٣٨٨.

٦ ـ من الروايات الموضوعة ما رواه عبدالله بن عمر: «أنّ النبيّ ﷺ قال لبلال: يا بلال، أذّن في الناس أنّ الخليفة بعدي أبو بكر. يا بلال، نادِ في الناس أنّ الخليفة بعد أبي بكر عمر. يا بلال، نادِ في الناس أنّ الخليفة من بعد عمر عثمان. يا بلال، امضِ أبى الله إلّا ذلك ـ ثلاث مرّات[١].

٧ ـ من الروايات الموضوعة قول النبيّ ﷺ: «ما صبّ الله تعالى في صدري شيئاً وصببته في صدر أبي بكر»[٢].

٨ ـ من الموضوعات: «أنّ النبيّ ﷺ إذا اشتاق إلى الجنّة قبّل شيبة أبي بكر»[٣].

٩ ـ من الموضوعات: «أنّ النبيّ ﷺ قال: أنا وأبو بكر كفرسي رهان»[٤].

وهذا الحديث ساوى بين النبيّ سيّد الكائنات وبين أبي بكر الذي قضى معظم حياته في عبادة الأصنام قبل أن يسلم.

١٠ ـ من الأحاديث الموضوعة: «أنّ النبيّ ﷺ قال: لمّا اختار الله الأرواح اختار روح أبي بكر»[٥].

١١ ـ روى جابر بن عبدالله، قال: «كنّا عند النبيّ ﷺ فقال: يطلع عليكم رجل لم يخلق الله بعدي أحداً هو خير منه ولا أفضل، وله الشفاعة مثل شفاعة النبيّين، فما برحنا حتّى طلع أبو بكر الصدّيق، فقام النبيّ ﷺ فقبّله»[٦].

١٢ ـ عن معاذ: «أنّ النبيّ ﷺ قال: إذا كان يوم القيامة نصب لإبراهيم ولي منبر

---

(١) تاريخ بغداد: ٧: ٤٢٤.

(٢ ـ ٣) كشف الخفاء: ٢: ٤٢٠ وعدّه من الموضوعات.

(٤) كشف الخفاء: ٢: ٤١٩.

(٥) أسنى المطالب: ٦٠.

(٦) تاريخ بغداد: ٣: ١٢٣.

أمام العرش ، وينصب لأبي بكر كرسي فيجلس عليه فينادي منادٍ : يا لك من صدّيق بين خليل وحبيب » .

عدّه الذهبي من الأحاديث المنكرة الباطلة[١] .

١٣ ـ قال النبيّ ﷺ : « أبو بكر منّي بمنزلة هارون من موسى »[٢] .

١٤ ـ من الموضوعات ما روي عن أبي هريرة : « أنّ النبيّ ﷺ لمّا هاجر إلى المدينة طلب الزواج ، فأتاه جبرئيل بخرقة من الجنّة طولها ذرعان في عرض شبر ، فيها صورة لم يرَ مثلها لجمالها وحسنها ، وقال له : يا محمّد ، إنّ الله تعالى يقول لك : تزوّج على هذه الصورة .

فقال النبيّ ﷺ : أين لي مثل هذه الصورة ؟

فقال جبرئيل : إنّ الله تعالى يقول لك : تزوّج بنت أبي بكر الصدّيق .

فمضى رسول الله ﷺ إلى منزل أبي بكر ، وقال له : إنّ الله تعالى أمرني أن أُصاهرك ، وكان له ثلاث بنات ، فعرضهنّ على رسول الله ﷺ ، فقال : إنّ الله تعالى أمرني أن أتزوّج هذه الجارية ، يعني عائشة ، فتزوّجها »[٣] .

وحكى هذا الحديث وضعه بنفسه ، فلماذا جاء جبرئيل بخرقة طولها ذرعان في عرض شبر فيها صورة لم يرَ مثلها لحسنها وبديع جمالها ؟

وهل ذلك لإثارة رغبة النبيّ ﷺ في الزواج من عائشة التي لم تمتلك مثل هذا الجمال ؟

إنّ الكثير من هذه الأحاديث من الموضوعات التي لا أساس لها من الصحّة .

---

(١) الغدير : ٥ : ٣١٦ .

(٢) ميزان الاعتدال : ٢ : ٢٢٢ ، وعلّق عليه : هذا خبر كذب » .

(٣) تاريخ بغداد : ٢ : ١٩٤ ، نقلناها بتصرّف .

وبـ نطوي الحديث عن فضائل أبي بكر المزعومة.

## فضائل عمر بن الخطّاب

واحتوت الصحاح والسنن على مئات الأحاديث في فضل عمر، تارة وحده وأُخرى مع صاحبه أبي بكر، وهذا عرض لبعضها:

١ ـ روي عن النبيّ ﷺ: «إنّ أوّل من يعانقه الحقّ يوم القيامة، وأوّل من يصافحه الحقّ يوم القيامة عمر، وأوّل مَن يُؤخذ بيده فينطلق به إلى الجنّة عمر بن الخطّاب»[١].

٢ ـ من الروايات الموضوعة عن أبي هريرة: «أنّ النبيّ ﷺ قال: خلقني الله تعالى من نوره، وخلق أبا بكر من نوري، وخلق عمر من نور أبي بكر، وخلق عثمان من نور عمر، وعمر سراج أهل الجنّة»[٢].

٣ ـ روي عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «لو لم أُبعث لبعث عمر»[٣].

٤ ـ من الموضوعات ما نسب إلى النبيّ ﷺ أنّه قال: «أنا مع عمر، وعمر معي حيث حللت، مَن أحبّه فقد أحبّني، ومَن أبغضه فقد أبغضني»[٤].

٥ ـ روت عائشة، قالت: «كانت ليلتي من رسول الله ﷺ، فلمّا ضمّني وإيّاه الفراش نظرت إلى السماء فرأيت النجوم مشتبكة، فقلت: يا رسول الله، في هذه الدنيا رجل له حسنات بعدد نجوم السماء؟

---

(١) المستدرك على الصحيحين: ٣: ٨٤، وقال الذهبي: «موضوع، في إسناده كذّاب».

(٢) الغدير: ٥: ٣١٥، وعلّق عليه أبو نعيم بقوله «هذا باطل يخالف كتاب الله تعالى».

(٣) المصدر المتقدّم.

(٤) ميزان الاعتدال: ٢: ١٥٨، وعلّق على الرواية: «هذا كذب».

قال: نعم.

قلت: مَن ؟

قال: عمر، وإنّه لحسنة من حسنات أبيك»[١].

قال ابن الجوزي في أسنى المطالب[٢]: «كلّ حديث فيه أنّ عمر حسنة من حسنات أبي بكر فهو موضوع».

٦ـ من الأحاديث الموضوعة: ما روي عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «لمّا أُسري بي إلى السماء رأيت على العرش مكتوباً: لا إلٰه إلّا الله، محمّد رسول الله، أبو بكر الصدّيق، عمر الفاروق، عثمان ذو النورين يُقتل مظلوماً»[٣].

هذه بعض الأخبار المفتعلة في فضل بعض الصحابة، وجعلهم قبال العترة الطاهرة في الاهتمام.

## في فضل عثمان

وافتعلت عشرات الأحاديث في فضل عثمان بن عفّان شيخ الأمويّين، كان منها:

١ ـ روى عبدالله عمر: «أنّ رسول الله ﷺ قال: لمّا أُسري بي إلى السماء، فصرت إلى السماء الرابعة سقطت في حجري تفّاحة، فأخذتها بيدي فانفلقت، فخرجت منها حوراء تقهقه، فقلت لها: تكلّمي لمن أنت ؟

قالت: للمقتول عثمان بن عفّان[٤].

---

(١) ميزان الاعتدال: ٢: ١٥٨.

(٢) أسنى المطالب: ٢٧٨.

(٣) تاريخ بغداد: ١٠: ٢٦٤.

(٤) ميزان الاعتدال: ٣: ٥٧١.

وهذا الحديث من الخرافات التي تدلّ على مدى شيوع الافتعال في الأخبار تقرّباً لمعاوية، وأخذ هباته وعطاياه.

٢ ـ روى عبدالله بن عمر: «أنّ رسول الله ﷺ قال: إنّ الملائكة لتستحي من عثمان»[١].

لماذا تستحي الملائكة من عثمان لأنّه آثر بني أُميّة وآل أبي معيط بأموال المسلمين، ومنحهم الثراء العريض، وترك شبح الفقر جاثماً على فقراء المسلمين، أو أنّ حياء الملائكة من عثمان لأنّه نكّل بالمسلمين وعظمائهم، أمثال الصحابي العظيم أبي ذرّ الغفاري، وعمّار بن ياسر، وعبدالله بن مسعود، وغير ذلك من الأحداث الجسام التي اقترفها ممّا دعا خيار المسلمين إلى الإجهاز عليه.

٣ ـ ومن الروايات الموضوعة ما حدّث به شيخ في مسجد الكوفة عن النعمان بن بشير، قال: «كنّا عند عليّ بن أبي طالب، فذكروا عثمان، فقال عليّ: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ**﴾[٢] هم عثمان، وأنا من أصحاب عثمان»[٣]

والنعمان بن بشير منحرف عن عليّ عليه السلام، وهو من عملاء الأمويّين وولاتهم على الكوفة، وقد عرف ببغضه الشديد لأهل البيت وولائه لمعاوية.

٤ ـ ومن الروايات الموضوعة ما رواه مسلم وأحمد من طريق عقيل الأموي، إلى أن ينتهي السند إلى عائشة: «أنّ أبا بكر استأذن على رسول الله ﷺ وهو مضطجع على فراشه لابس مرط عائشة، فأذن لأبي بكر وهو كذلك، فقضى حاجته ثمّ انصرف. ثمّ استأذن عمر فأذن له وهو على تلك الحالة فقضى حاجته ثمّ انصرف.

---

(١) البداية والنهاية: ٧: ٢٢٧.

(٢) الأنبياء ٢١: ١٠١.

(٣) تاريخ بغداد: ١١: ١٦٩.

ثمّ استأذن عثمان ، فجلس فقال لعائشة : اجمعي عليك ثيابك ، فقضيت إليه حاجته ، ثمّ انصرف .

فقالت عائشة : يا رسول الله ، ما لي أراك لم تفزع لأبي بكر وعمر كما فزعت لعثمان ؟

قال رسول الله ﷺ : إنّ عثمان رجل حيي[١] وإنّي خشيت إن أذنت له على تلك الحالة أن لا يبلغ إليَّ في حاجته »[٢] .

وفي هذا الحديث طعن في شخصيّة الرسول ﷺ وإشادة بعثمان بن عفّان ، ولا يهتمّ الوضّاعون بذلك في سبيل أطماعهم الرخيصة ، وإفلاسهم من القيم والمبادئ الإسلاميّة .

٥ ـ من الأحاديث الموضوعة في فضل عثمان ما نسب إلى النبيّ ﷺ : « أنّه اعتنق عثمان وقال له : أنت وليّي في الدنيا والآخرة ـ أو أنّه قال له : هذا جليسي في الدنيا ووليّي في الآخرة ـ »[٣] .

٦ ـ ومن الأحاديث المفتريات على النبيّ ﷺ أنّه قال لعثمان بن عفّان : ليس من نبيّ إلّا وله رفيق من أُمّته معه في الجنّة ، وإنّ عثمان رفيقي ومعي في الجنّة[٤] .

٧ ـ من مفتريات الأحاديث أنّ النبيّ ﷺ ما صعد المنبر فنزل حتّى قال : عثمان في الجنّة »[٥] .

وكثير من هذه الأكاذيب وضعت لإعلاء شخصيّة عثمان ، وإسدال الستار على ما صدر منه من الأحداث الجسام ، وخلق شخصيّة رفيعة في الأُسرة الأمويّة التي

---

(١) أي كثير الحياء .

(٢) صحيح مسلم : ٧ : ١١٧ .

(٣ ـ ٥) الغدير : ٩ : ١٥٤ .

حاربت النبيّ ﷺ في جميع المواقف والمشاهد لتكون قبال الأُسرة النبويّة الذين هم دعاة الله تعالى في الأرض.

## أمر معاوية بالإحجام عن افتعال الحديث في فضل عثمان

وكثر الوضّاعون بافتعال الأحاديث في فضل عثمان، فكتب لهم: «إنّ الحديث قد كثر في عثمان، وفشا في كلّ مصر، وفي كلّ ناحية، فإذا جاءكم كتابي فادعوهم إلى الرواية في أبي بكر وعمر، فإنّ فضلهما وسوابقهما أحبّ إليَّ وأقرّ لعيني، وأدحض لحجّة أهل هذا البيت ـ يعني أهل بيت النبيّ ﷺ ـ وأشدّ عليهم من مناقب عثمان وفضله».

وقرأ القضاة والأُمراء كتابه على الناس، فبادر الوضّاعون إلى افتعال الأحاديث في مناقب أبي بكر وعمر، وأمر معاوية بتدوينها، وإنفاذ نسخ منها إلى جميع العمّال والولاة ليقرأوها على المنابر، ويتلوها في الجوامع، وأوعز إليهم أن ينفذوها إلى المعلّمين ليجعلوها من مناهج دروسهم، ويرغموا الأطفال على حفظها، وقد اهتمّت الحكومات المحلّيّة في ذلك اهتماماً بالغاً، فألزمت الناشئة وسائر الطبقات بحفظ تلك الأخبار المفتعلة حتّى حفظها الأولاد وحفظتها النساء والخدم والحشم[1].

## في فضل معاوية

وافتعلت أحاديث كثيرة في فضل معاوية، منها:

١ ـ أخرج الترمذي أنّ النبيّ ﷺ قال لمعاوية: اللّهمّ اجعله هادياً مهديّاً[2].

---

(١) كتاب سليم بن قيس: ٢٩. شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد: ١١: ٤٥.

(٢) سنن الترمذي: ٥: ٣٥٠.

٢ ـ قال رسول الله ﷺ : « معاوية بن أبي سفيان أحلم أُمّتي وأجودها »[١].

٣ ـ قال رسول الله ﷺ : « صاحب سرّي معاوية بن أبي سفيان »[٢].

٤ ـ ومن الروايات الموضوعة ما حدّث به شخص أنّه رأى رسول الله ﷺ في منامه وعنده أبو بكر وعمر وعثمان ومعاوية ، فقال عمر : يا رسول الله ، هذا ينتقصنا .

فقال الرجل : يا رسول الله ، إنّي لا أنتقص هؤلاء ، ولكن هذا ـ يعني معاوية ـ .

فقال له النبيّ ﷺ : ويلك أوَليس هو من أصحابي ؟ قالها ثلاثاً ، ثمّ أخذ رسول الله ﷺ حربة فناولها معاوية ، فقال : جابها في لبّته فضربه بها ، وانتهيت إلى منزلي ، فإذا ذلك الرجل قد أصابته الذبحة من الليل ومات ، وهو راشد الكندي »[٣].

بمثل هذه الأكاذيب افتعلت الأحاديث لإضفاء القداسة على هذا الذئب الذي ما آمن بالله تعالى طرفة عين .

٥ ـ حكى المقدسي أنّه كان بجامع واسط وإذا برجل قد اجتمع عليه الناس ، فدنا منه ، فإذا هو يروي حديثاً يسنده إلى النبيّ ﷺ أنّ الله يدني معاوية يوم القيامة فيجلسه إلى جنبه ويغلّفه بيده ثمّ يجلوه على الناس كالعروس ، فقال له المقدسي : بماذا ؟

قال : بمحاربته عليّاً .

فأجابه المقدسي : كذبت يا ضالّ !!

فقال : خذوا هذا الرافضي ، فتدافع الناس عليه للبطش به وأنقذه شخص كان

---

(١) تاريخ مدينة دمشق : ٥٩ : ٨٨ . البداية والنهاية : ٨ : ١٢١ . تطهير الجنان ( المطبوع على هامش الصواعق المحرقة ) : ٢٤ .

(٢) تطهير الجنان واللسان : ٢٦ .

(٣) البداية والنهاية : ٨ : ١٤٩ . الغدير : ١٠ : ١٣٨ .

يعرفه[١].

٦ ـ قال ﷺ: «إذا رأيتم معاوية يخطب على منبري فاقبلوه[٢]، فإنّه أمين هذه الأُمّة»[٣].

٧ ـ روى عبدالله بن عمر، عن النبيّ ﷺ: «أنّ معاوية يُبعث يوم القيامة وعليه رداء من نور الإيمان»[٤].

٨ ـ روى عبدالله بن عمر أنّ جعفر بن أبي طالب أهدى إلى النبيّ ﷺ سفرجلاً، فأعطى معاوية ثلاث سفرجلات، وقال: تلقاني بهنّ في الجنّة[٥].

٩ ـ ومن الروايات الموضوعة في فضل معاوية: «أنّ جبرئيل هبط على النبيّ ﷺ ومعه قلم من ذهب ابريز، فقال: إنّ العليّ الأعلى يقرأك السلام ويقول لك: حبيبي، قد أهديت هذا القلم من فوق عرشي إلى معاوية بن أبي سفيان، فأوصله إليه، ومره أن يكتب آية الكرسي بخطّه بهذا القلم، ويشكّله ويعجمه، ويعرضه عليك، فإنّي قد كتبت له من الثواب بعدد كلّ من قرأ آية الكرسي من ساعة يكتبها إلى يوم القيامة.

فقال رسول الله ﷺ: مَن يأتيني بأبي عبدالرحمن.

فقام أبو بكر الصدّيق ومضى حتّى أخذ بيده وجاءا جميعاً إلى النبيّ ﷺ، فسلّموا عليه، فردّ عليهم السلام، ثمّ قال لمعاوية: ادن منّي يا أبا عبدالرحمن، فدنا منه،

---

(١) المنتظم: ٦٠.

(٢) وضع هذا الحديث لمعارضة الحديث الصحيح المروي عن رسول الله ﷺ «**إِذَا رَأَيْتُمْ مُعاوِيَةَ يَخْطِبُ عَلَىٰ مِنْبَرِي فاضْرِبُوا عُنُقَهُ**». تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤١ ـ ٦٠): ٣١٢. تاريخ بغداد: ١٢: ١٨١. البداية والنهاية: ٨: ١٣٥.

(٣) تاريخ بغداد: ١: ٢٥٩.

(٤) عبدالله بن عمر، مقوّماته الدينيّة والسياسيّة: ٣٩.

(٥) موسوعة الغدير: ٥: ٥٢٦.

فدفع إليه القلم، ثمّ قال له: يا معاوية، هذا قلم أهداه إليك ربّك من فوق العرش لتكتب آية الكرسي بخطّك وتشكّله وتعجمه، وتعرضه علَيَّ، فاحمد الله واشكره على ما أعطاك، فإنّ الله تعالى قد كتب لك من الثواب مَن قرأ آية الكرسي ساعة تكتبها إلى يوم القيامة.

فأخذ القلم من يد النبيّ فوضعه فوق أُذُنه، فقال رسول الله ﷺ: اللّهمّ إنّك تعلم أنّي قد أوصلته إليه، قال ذلك ثلاث مرّات.

فجثا معاوية بين يدي النبيّ ﷺ ولم يزل يحمد الله تعالى على ما أعطاه الله تعالى من الكرامة ويشكره، حتّى أتى بطرس ومحبرة فأخذ القلم ولم يزل يخطّ به آية الكرسي أحسن ما يكون من الخطّ حتّى كتبها وشكّلها وعرضها على النبيّ ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: يا معاوية، إنّ الله تعالى قد كتب من الثواب بعدد كلّ مَن يقرأ آية الكرسي من كتبتها إلى يوم القيامة»[١].

١٠ ـ ومن مفتريات الأحاديث: «أنّ جماعة من بني هاشم وفدوا على النبيّ ﷺ فقالوا له: يا رسول الله، غدونا إليك لنذكر لك بعض أُمورنا، إنّ الله تعالى قد تفضّل بهذه الرسالة فشرّفك بها، وشرّفنا لشرفك، وهذا معاوية يكتب الوحي، فقد رأينا أن غيره من أهل بيتك أوْلى بذلك منه.

فقال: نعم، انظروا إلى رجل غيره، وكان الوحي ينزل في كلّ أربعة أيّام من عند الله تعالى إلى محمّد، فأقام جبرئيل أربعين يوماً لا ينزل، فلمّا كان يوم أربعين هيّأ جبرئيل صحيفة فيها مكتوب: يا محمّد، ليس لك أن تغيّر مَن اختاره الله تعالى لكتابة وحيه، فأقرّه، فإنّه أمين»[٢].

---

(١) ميزان الاعتدال: ١: ٢٥٧.

(٢) لسان الميزان: ٣: ٣١١، وعلّق عليه ابن حجر، وهذا ممّا يقطع ببطلانه، فوالله إنّي لأخشى أن يكون الذي افتراه مدخول الإيمان.

١١ ـ أوحى الله تعالى لنبيّه : « استكتب معاوية فإنّه أمين مأمون »[١].

١٢ ـ من الأحاديث الموضوعة أنّ النبيّ ﷺ قال : « الأُمناء سبعة : اللوح ، والقلم ، وإسرافيل ، وميكائيل ، وجبرئيل ، ومحمّد ، ومعاوية »[٢].

وعلّق عليه ابن كثير بقوله : « هذا أنكر من الأحاديث التي قبله ، وأضعف إسناداً »[٣].

١٣ ـ ما روي عن واثلة مرفوعاً عن النبيّ ﷺ : « إنّ الله تعالى ائتمن على وحيه جبرئيل وأنا ومعاوية ، وكاد أن يبعث معاوية نبيّاً من كثرة علمه وائتمانه على كلام ربّي يغفر الله تعالى لمعاوية ذنوبه ، ووفّاه حسابه ، وعلّمه كتابه ، وجعله هادياً مهديّاً ، وهدى به ».

وعلّق المحقّق الأميني على هذا الحديث بقوله : « أحسب أنّ رواة السوء أرادوا الحطّ من مقام النبوّة لا ترفيعاً لمقام معاوية ».

وأضاف يقول :

« مَن الذي أوجب له هذا المقام الشامخ أهو أصله الزاكي تلك الشجرة الملعونة في القرآن ، ولسان نبيّه أم فرعه الغاشم الظلوم أم دوامه على الكفر إلى ما قبل وفاة النبيّ ﷺ بأشهر قلائل ، أم محاربته خليفته المفترض طاعته عليه وقد بايعه أهل الحلّ والعقد ورضي به المسلمون ... »[٤].

١٤ ـ روي عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنّه كان جالساً بين يدي رسول الله ﷺ ، إذ جاء معاوية فأخذ رسول الله ﷺ القلم من يده فدفعه إلى معاوية ، فما وجدت

---

(١) لسان الميزان : ٣ : ٥٩ ، علّق عليه بقوله : « خبر باطل ».

(٢) ميزان الاعتدال : ١ : ٣٢١.

(٣) تاريخ ابن كثير : ٨ : ١٢٠.

(٤) الغدير : ٥ : ٣٠٨.

في نفسي إذ علمت أنّ الله تعالى أمره بذلك».

وعلّق عليه الخطيب البغدادي بقوله: «هذا الحديث كذب موضوع»[١].

١٥ ـ من الموضوعات: «أنّ النبيّ قال لمعاوية: أنّه يحشر وعليه حلّة من نور ظاهرها من الرحمة، وباطنها من الرضا، يفتخر بها في الجمع لكتابة الوحي»[٢].

وكثير من أمثال هذه الأحاديث افتعلت لرفع كيان هذا الذئب الذي ما آمن بالله ولا برسله.

## الإمام الباقر عليه السلام يشجب الأحاديث في فضل الصحابة

عرضت على الإمام الباقر عليه السلام بعض تلك الأخبار الموضوعة في فضل بعض الصحابة، فقد سأله أبان عنها وقال له: أصلحك الله، سمِّ لي من ذلك شيئاً؟

وعرض الإمام عليه السلام طائفة منها، وهي:

إنَّ سَيِّدَيْ كُهولِ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَبو بَكْرٍ وَعُمَرُ[٣].

إنَّ عُمَرَ مُحَدَّثٌ ـ بصيغة المفعول، أي تحدّثه الملائكة ـ.

إنَّ عُمَرَ يُلَقِّنُهُ الْمَلَكُ.

إنَّ السَّكينَةَ تَنْطِقُ عَلىٰ لِسانِ عُمَرَ.

---

(١) تاريخ بغداد: ١٣: ٢٧٣.

(٢) ذكره الذهبي، وقال: «هذا من أباطيل محمّد بن الحسن الكذّاب الدجّال». الغدير: ٥: ٣٦٤.

(٣) وضع المستأجرون هذا الحديث لمعارضة الخبر المتواتر الوارد عن النبيّ صلى الله عليه وآله في حقّ السبطين: «الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سَيِّدا شَبابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ»، وقد سئل الإمام الجواد عنه، فغنّده وقال: «وَاللهِ لَيْسَ في الْجَنَّةِ كُهولٌ بَلْ كُلُّهُمْ شَبابٌ مُرْدٌ».

إِنَّ الْمَلائِكَةَ لَتَسْتَحي مِنْ عُثْمانَ[١].

واسترسل عليه السلام في عرض الأخبار المفتعلة في فضل الصحابة، حتّى عدّ أكثر من مائة رواية[٢] يحسبها الناس أنّها حقّ.

وأضاف الإمام قائلاً: **وَاللهِ كُلُّها كَذِبٌ وَزورٌ**[٣].

ويقول المحدّث ابن عرفة المعروف بنفطويه[٤]: «إنّ أكثر الأحاديث الموضوعة في فضائل الصحابة افتعلت في أيّام بني أُميّة، تقرّباً إليهم بما يظنّون أنّهم يرغمون به أُنوف بني هاشم»[٥].

---

(١) وأمارة الوضع على هذا الحديث ظاهرة، فإنّ الملائكة لماذا تستحي من عثمان بن عفّان، فهل إنّه اجتاز عليها فرآها تعمل القبيح، وترتكب المنكر فاستحيت منه، أو أنّه فعل ذلك فاستحيت منه، إنّا لا نتصوّر وجهاً لهذا الاستحياء المزعوم.

(٢) وفي رواية: «حتّى عدّ أكثر من مائتي حديث».

(٣) كتاب سليم بن قيس: ٤٥.

(٤) **إبراهيم بن محمّد بن عرفة الأزدي:**
ولد سنة ٢٤٤هـ بواسط، وهو صاحب المؤلّفات الحسنة، لقّب بنفطويه لدمامته، وأدمته تشبيهاً له بالنفط، ومن شعره:

قَـلْبي أَرَقُّ عَـلَيكَ مِـنْ خَـدَّيْكا وَقُوايَ أَوْهىٰ مِنْ قُوىٰ جِـفْنَيْكا
لِمَ لَا تَـرِقُّ لِـمَنْ يُـعَذِّبُ نَـفْسَهُ ظُـلْماً وَيَـعْطفُهُ هَـواهُ عَـلَيْكا

توفّي في صفر ٣٢٣هـ. وفيات الأعيان: ١: ٣٠.

(٥) النصائح الكافية: ٧٤، وغيره.

## افتعال الحديث للحطّ من قيمة أهل البيت عليهم السلام

وأوعز معاوية إلى الذين يعيشون على موائده بافتعال الحديث للحطّ من قيمة أهل البيت، فقد روى ابن العاص لأهل الشام أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: «إنّ آل أبي طالب ليسوا بأولياء لي، إنّما وليّي الله وصالح المؤمنين»[١].

وأعطى الجلّاد سمرة بن جندب أربعمائة ألف لكي يخطب في أهل الشام ويذكر لهم أنّ الآية الكريمة ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الحَياةِ الدُّنْيا وَيُشْهِدُ اللهَ عَلَىٰ ما فِي قَلْبِهِ وَهوَ أَلَدُّ الخِصامِ * وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الأَرْضِ لِيُفسِدَ فِيها وَيُهلِكَ الحَرثَ وَالنَّسْلَ وَاللهُ لايُحِبُّ الفَسادَ﴾[٢] أنّها نزلت في الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، فروى لهم ذلك[٣].

قال ابن أبي الحديد: «وذكر شيخنا أبو جعفر الإسكافي أنّ معاوية وضع قوماً من الصحابة، وقوماً من التابعين على رواية أخبار قبيحة في عليّ عليه السلام تقتضي الطعن فيه، والبراءة منه، وجعل لهم على ذلك جعلاً يرغب في مثله، فاختلقوا ما أرضاه، منهم أبو هريرة، وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، ومن التابعين عروة بن الزبير»[٤].

## التوقّف فيما يروى عن النبيّ صلى الله عليه وآله

وتوقّف خيار الصحابة في بعض الأخبار التي تروى عن النبيّ صلى الله عليه وآله، وذلك لشيوع الوضع فيها، فقد نقل الرواة أنّ بشر العدوي جاء إلى ابن عبّاس وجعل يحدّثه

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٤: ٦٤.

(٢) البقرة ٢: ٢٠٤ و ٢٠٥.

(٣) حياة الإمام الحسن بن عليّ عليه السلام: ٢: ١٦٧.

(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٤: ٦٣.

ويقول: قال رسول الله ﷺ، وأعرض ابن عبّاس عنه، وقابله بالاستخفاف وقال له: كنّا إذا سمعنا رجلاً يقول: قال رسول الله ابتدرته أبصارنا، وأصغينا إليه بآذاننا، فلمّا ركب الناس الصعبة والذلول لم نأخذ من الناس إلّا ما نعرفه[١].

لقد شاعت الأخبار الموضوعة التي تصادم بعضها مع القيم الإسلاميّة، وهي من الخرافات التي تحمل طابع التأخّر والضلال.

## عدد الوضّاعين

أحصى المحقّق شيخنا الأميني ﷺ عدد الوضّاعين فكانوا سبعمائة[٢]، بل يزيدون على ذلك، وكانوا من أجهزة الحكم القائم في العصر الأموي والعبّاسي، وقد افتعلوا من الأحاديث ما يتّفق مع سياسة الحكم القائم وعمّاله، وقد قال الله تعالى فيهم: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَأُولٰئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾[٣].

## المنع من تدوين الحديث

والشيء المحقّق أنّ الذي حفّز معاوية بالايعاز للوضّاعين بافتعال الحديث هو عدم تدوينه بعد انتقال النبيّ ﷺ إلى حظيرة القدس، فقد عمد أبو بكر إلى جمع بعض الأحاديث فأحرقها، وجاء من بعده عمر، فاستشار الصحابة في تدوينها، فأشار عليه عامّتهم بذلك ولبث مدّة يفكّر في الأمر، ثمّ عدل عنه، وقال للصحابة: «إنّي كنت قد ذكرت لكم من كتاب السنن ما قد علمتم، ثمّ تذكرت، فإذا أُناس من أهل الكتاب قبلكم قد كتبوا مع كتاب الله كتباً فأكبّوا عليها، وتركوا كتاب الله،

---

(١) فجر الإسلام: ٢٥٨.

(٢) الغدير: ٥: ٢٠٩ ـ ٢٧٥.

(٣) النحل ١٦: ١٠٥.

وإنّي والله لا ألبس كتاب الله بشيء أبداً»[١].

ثمّ ترك ذلك وعدل عنه.

وهو تعليل لا يساعده الدليل، لأنّ حديث النبيّ ﷺ لا يشذّ عن كتاب الله تعالى ولا يخالفه، وليس تدوينه موجباً لهجر القرآن الكريم أو الإعراض عنه.

وأكبر الظنّ أنّهم إنّما أبوا تدوينه لأنّ فيه شطراً كبيراً في فضل عترة النبيّ ﷺ ولزوم مودّتهم، وبيان فضائلهم، ووجوب الرجوع إليهم، وليس من الممكن حذف ذلك من الحديث النبويّ.

إنّ ابتزاز القوم لمركز الخلافة، وإقصاء أهل البيت عليهم السلام عنها، ومعاملتهم معاملة عادية يتنافى مع تسجيل مآثرهم، وعظيم مكانتهم عند النبيّ ﷺ، فلذا أعرضوا عن تدوين أحاديثه، ولو أنّها دوّنت لصانت الأُمّة من الاختلاف وسلمت من الفتن والخطوب.

إنّ التأمّل في الأحداث التي رافقت وفاة النبيّ ﷺ توحي أنّ القوم قد دبّروا مخطّطهم بصرف الخلافة عن أهل البيت عليهم السلام، ويدعم ذلك أنّ النبيّ ﷺ لمّا دعا بالدواة والكتف ليكتب فيه ما يصون أُمّته من الزيغ والفتن عبر أجيالها الصاعدة قالوا: «حسبنا كتاب الله تعالى».

وقالوا: «إنّ النبيّ يهجر».

ودوّى في سماء المدينة شعارهم.

---

(١) تقييد العلم: ٤٩ بأسانيد متعدّدة. جامع بيان العلم وفضله: ١: ٧٧. السنّة قبل التدوين: ٣١٠. الطبقات الكبرى: ٣: ٢٠٦ القسم الأوّل. مجلّة الأضواء: ٥٠. تنوير الحوالك: ٤. معالم المدرستين: ٢: ٤١ و٤٤. جامع أحاديث الشيعة: ١: ٢. النصّ والاجتهاد: ١٦٢. الغدير: ٦: ٢٩٧.

« أبت قريش أن تجتمع النبوّة والخلافة في بيت واحد ».

وكأنّ قريشاً هى التي قلّدت النبيّ ﷺ النبوّة ، أوَليست هي التي جحدت رسالة الله وحاربت النبيّ ﷺ ، وعذّبت مَن آمن به ؟

وبعد ما هاجر النبيّ ﷺ إلى المدينة شنّت عليه الحروب لتصفيته وتصفية مَن آمن معه لإعادة الجاهليّة بأوثانها التي تؤمن بها .

لقد حفل تاريخ معاوية بالضربات القاسية والمدمّرة للإسلام والمسلمين ، وليس له أي دور يذكر في خدمة الإسلام سوى التحطيم لقيمه ومبادئه ، وإبادة القوى الواعية في الإسلام التي كانت مع الخطّ العلويّ .

ونعرض بإيجاز لبعض شؤونه في أيّام ولايته وحكومته :

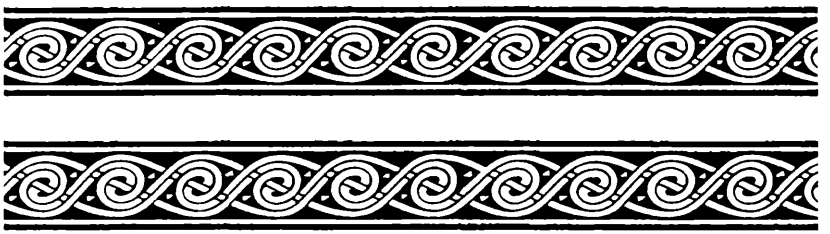

# معاوية في عهد عمر وعثمان

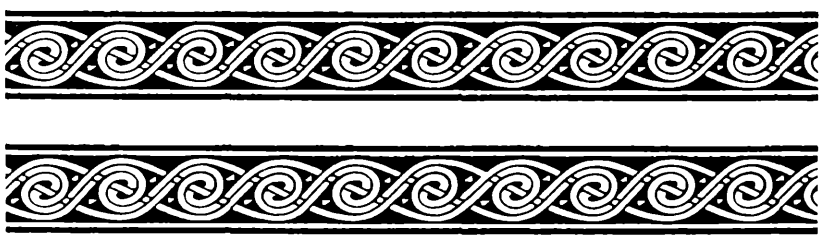

تولّى معاوية ولاية الشام بعد وفاة أخيه يزيد ، وقد قال أبو سفيان لعمر : مَن الذي تعهد إليه بعد يزيد ؟

فقال له : ولّيت أخاه معاوية ، فاستبشر أبو سفيان ، وقال له : وصلتك رحم يابن العمّ .

والشيء الذي يدعو إلى التأمّل كيف أسند عمر ولاية الشام إلى معاوية مع معرفته الكاملة له ولأبيه في معاداتهما للإسلام ، فهما من الأُسرة التي قاومت النبيّ صلى الله عليه وآله وناهضت دعوته ، ولم يسند هذا المنصب الخطير إلى أحد من الأوس والخزرج ، وهما قد أبلوا في الإسلام بلاءً حسناً ، وقد قال لهم أبو بكر في السقيفة : نحن الأُمراء وأنتم الوزراء ، إلّا أنّهم لم يتقلّد أحد منهم من مناصب الدولة ، وأكبر الظنّ إنّما حرموا منها لولائهم للإمام أمير المؤمنين عليه السلام .

ومهما يكن الأمر ، فقد أسند عمر لمعاوية ولاية الشام ، زاد في رقعة سلطانه حتّى صار من أقوى ولاته ، وظلّ معاوية طيلة ولايته يعمل في الشام عمل مَن يريد الملك والسلطان ، فاشترى الضمائر ، وأحاط نفسه وأُسرته بهالة من التقديس ، وذلك بما بثّه وعّاظ السلطة من الأخبار المفتعلة في حقّه وفي حق أُسرته ، وقد ألمحنا إلى بعضها .

كما صانع الوجوه ، وبذل لهم المزيد من المال ، وقلّدهم الكثير من الوظائف المهمّة في جهاز حكومته ليكونوا داعمين له فيما يواجهه من أحداث .

وعلى أي حال، فقد احتلّ معاوية عواطف عمر على شدّته، فتتوافر إليه الأنباء أنّه يشرب الخمر، ويلبس ما حرّم الله تعالى على الرجال من الحرير والديباج، ويشرب في أواني الذهب والفضّة، ويحلّل الربا الذي هو من أفحش المحرّمات، وأشدّها عقوبة في الإسلام، فيعتذر عنه ويقول: «إنّه فتى قريش».

ويقول مرّة أُخرى: «إنّه كسرى العرب».

ويقول ثالثة: «لا آمرك ولا أنهاك».

وكان يحاسب عمّاله في كلّ سنة سوى معاوية، فقد أعفاه حتّى أسرف في أموال المسلمين نهباً وادّخاراً.

وكان من ولائه له وشدّة إعجابه به أنّه هدّد به وبابن العاص أعضاء الشورى حينما اغتال أبو لؤلؤة الفارسي فقال لهم: يا أصحاب محمّد، تناصحوا، فإن لم تفعلوا غلبكم عليها عمرو بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان[١].

وعلّق شيخ الإماميّة الشيخ المفيد على كلام معاوية بقوله:

«وإنّما أراد عمر بهذا القول إغراء معاوية وعمرو بن العاص بطلب الخلافة، وإطماعهما فيها؛ لأنّ معاوية كان عامله وأميره على الشام وعمرو بن العاص عامله وأميره على مصر، وخاف أن يضعف عثمان وأن تصير الخلافة إلى عليّ عليه السلام، فألقى هذه الكلمة إلى النّاس لتنقل إليهما، وهما بمصر والشام، فيتغلّبا على هذين الإقليمين إن أفضت -أي الخلافة- إلى عليّ عليه السلام»[٢].

وشيء آخر بالغ الأهمّيّة في هذه الشورى أنّها أوجدت التنافس والتهالك على السلطة حسبما أدلى بذلك معاوية في حديثه مع أبي الحصين الذي أوفده زياد

---

(١) شرح نهج البلاغة: ٣: ١٩. بحار الأنوار: ٣١: ٥٤.

(٢) شرح نهج البلاغة: ٣: ٩٩.

لمقابلة معاوية ، فقد قال له معاوية : بلغني أنّ عندك ذهناً وعقلاً ، فأخبرني عن شيء أسألك عنه ؟

- سلني عمّا بدا لك .
- أخبرني ما الذي شتّتأمر المسلمين وملأهم ، وفرّق أهواءهم وخالف بينهم ؟
- نعم ، قتل الناس عثمان .
- ما صنعت شيئاً ؟
- مسير عليّ إليك وقتاله إيّاك .
- ما صنعت شيئاً ؟
- مسير طلحة والزبير وعائشة وقتال عليّ إيّاهم .
- ما صنعت شيئاً .
- ما عندي غير هذا .
- أنا أُخبرك إنّه لم يشتّت أمر المسلمين ، ولا فرّق أهواءهم إلّا الشورى التي جعلها عمر إلى ستّة أنفار ؛ وذلك أنّ الله تعالى بعث محمّداً ﷺ بالهدى ودين الحقّ ليظهره على الدين كلّه ولو كره المشركون ، فعمل بما أمره الله تعالى به ، ثمّ قبضه الله إليه ، وقدّم أبا بكر للصلاة[1] ، فرضوه لأمر دنياهم ، فعمل بسنّة رسول الله ﷺ ، وسار بسيرته حتّى قبضه الله تعالى .

واستخلف عمراً فعمل بمثل سيرته ، ثمّ جعلها شورى بين ستّة نفر ، فلم يكن رجل منهم إلّا رجاها لنفسه ، ورجاها له قومه ، وتطلّعت إلى ذلك نفسه ، ولو أنّ عمر استخلف عليهم كما استخلف أبو بكر ما كان في ذلك خلاف »[2] .

---

(١) لم يقدّم رسول الله ﷺ أبا بكر للصلاة وهو حديث مفتعل في أيّام الأمويّين والعبّاسيّين دعماً لسياستهم في قهر العلويّين .

(٢) العقد الفريد : ٣ : ٧٣ ـ ٧٤ .

لقد أشاعت الشورى بين بعض أعضائها الأطماع والأهواء السياسيّة ، فاندفعوا إلى خلق الحزبيّة والتكتّلات للوصول إلى كرسي الحكم والظفر بخيرات البلاد .

والأنكى من آفات الشورى ومضاعفاتها السيّئة أنّه سلّط على المسلمين معاوية الذئب الجاهلي ، ومكّنه من رقابهم ، فأمعن في ظلمهم ، فقتل خيارهم ، وخارب وصيّ رسول الله ﷺ ، وباب مدينة علمه ، واقترف من الظلم والفساد ما لا يوصف لمرارته وقسوته .

## حكومة عثمان

تسلّم عثمان بن عفّان[1] شيخ الأمويّين قيادة الأُمّة بترشيح ودعم من عمر بن الخطّاب ، الذي كان منصرفاً كلّ الانصراف عن الإمام عليّ أمير المؤمنين عليه السلام ، فإنّه حينما اغتاله أبو لؤلؤة الفارسي أخذ يتحسّر ويتألّم على بعض أصحابه الذين اختطفهم الموت ، كسالم مولى أبي حذيفة ، وأبي عبيدة بن الجرّاح ليقلّدهم الخلافة ، وتناسى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وعظيم جهاده ومواقفه الحاسمة في نصرة الإسلام ، كواقعة بدر والأحزاب وحنين وغيرها ، تناسى كلّ ذلك ، وفتل حبل الشورى لإقامة عثمان خليفة على المسلمين ، وفعلاً فقد تولّى قيادة الأُمّة .

---

(١) جاء في كتاب مثالب العرب والعجم لأبي المنذر هشام بن محمّد بن السائب الكلبي (المولود سنة ٩٦هـ ، والمتوفّى سنة ٢٠٤) ما نصّه : « وفي عفّان بن أبي العاص يقول عبدالرحمن بن حنبل يعيّر عثمان بن عفّان ، وكان عثمان يضرب بالدفّ :

زَعَمَ ابنُ عَفّانٍ وَلَيسَ بِهازِلٍ ... أَنَّ الفُراتَ وَما حَواهُ الْمَشرِقُ
خَرجٌ لَهُ مَنْ شاءَ أَعْطى فَضلَهُ ... ذَهَباً وَتِلكَ مَقالَةٌ لَا تَصدُقُ
أَنّى لِعَفّانٍ أَبيكَ سَبيكةً ... صَفراءَ وَالنَّهرُ العُبابُ الأَزْرَقُ
وَوَرِثتهُ دُفّاً لَهُ وَيَراعةً ... جَوْفاءَ كانَ بِنَفْخِها يَتَمَطَّقُ

وفي البيت الأخير تعيير لعثمان أعرضنا عن ذكره .

وفور فوزه بالحكم عمد إلى تسليم جهاز الدولة ومقدّراتها الاقتصاديّة إلى بني أُميّة وآل أبي معيط، وصار وزيره ومدير شؤون دولته مروان بن الحكم الملقّب بخيط الباطل، فكان هو المتصرّف والمدبّر لشؤون عثمان.

ونعرض بإيجاز لبعض شؤون سياسته التي أدّت إلى الإجهاز عليه:

## الفساد الإداري

وحينما استولى عثمان على الحكم عهد إلى الأمويّين بالاستيلاء على جميع أجهزة الدولة الاقتصاديّة، فأخذوا **يَخْضَمُونَ مالَ الله خِضْمَةَ الْإِبِلِ نِبْتَةَ الرَّبِيعِ** ـ على حدّ تعبير الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ـ وصاروا القوّة الرأسماليّة، فقد سيطروا على معظم النواحي الاقتصاديّة في البلاد، ومضافاً لذلك غطرستهم وأنانيّتهم وكبريائهم وجهلهم بالشؤون الإداريّة، وانغماسهم في شرب الخمر واللهو والمجون، وكلّ ما حرّم الله تعالى من إثم.

فقد صلّى الوليد والي عثمان في الكوفة صلاة الصبح وهو سكران ثمان ركعات، وقال لمن صلّى خلفه: أزيدكم، وكان معظم ولاته قد خلدوا إلى الفسق والفجور، ولم يؤثر عن أحد منهم أنّه ساس المسلمين سياسة رشيدة، فقد حفلت مصادر التاريخ بفسقهم، ونهبهم لأموال الخراج وغيره.

وقد زحفت القوى المؤمنة من الأقاليم الإسلاميّة يطالبونه بإقصائهم، وتوظيف مَن له حريجة في الدين عليهم، فيأبى ذلك بضغط من وزيره مروان، وقد عجّت البلاد بالشكوى منهم، إلّا أنّ عثمان كان يعيرهم أُذُناً صمّاء، ويوجّه اللوم عليهم لا على ولاته الأمويّين.

## هباته للأمويّين

وهب عثمان أموال الدولة لأقربائه وأرحامه، ومن الذين وهبهم الثراء العريض:

## ١ ـ أبو سفيان

وهو العدوّ والمبارز للإسلام ، فقد وهبه عثمان مائتي ألف من بيت المال[١].

وهل من العدل أن تمنح هذه الأموال إلى هذا المنافق الذي أُترعت نفسه بالبغض والعداء لرسول الله ﷺ.

## ٢ ـ الحارث بن الحكم

صهر عثمان من عائشة ، أعطاه ما يلي :

- ثلاثمائة ألف درهم[٢].
- إبل الصدقة التي وردت إلى المدينة[٣].
- أقطعه سوقاً في المدينة يعرف بتهروز بعد أن تصدّق به النبيّ ﷺ على جميع المسلمين[٤]، وهي أموال صدقة للمسلمين كيف ساغ له التصرّف فيها ؟!

## ٣ ـ عبدالله بن سعد

أخو عثمان من الرضاعة أعطاه جميع ما أفاء الله تعالى به من فتح أفريقيا بالمغرب من طرابس الغرب إلى طنجة ، ولم يشرك في ذلك أحداً من المسلمين[٥].

## ٤ ـ الحكم بن أبي العاص

وكان كافراً شديد العداء لرسول الله ﷺ ، وكان يستهزئ بالنبيّ ﷺ ، وقد لعنه

---

(١) و (٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ١ : ٦٧.

(٢) أنساب الأشراف ٥ : ٥٢.

(٤) أنساب الأشراف : ٥ : ٢٨.

(٥) واقعة الجمل : ١١. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ١ : ١٩٩.

النبيّ ولعن مَن يخرج من صلبه إلّا المؤمنين ، وقليل ما هم[١].

أمر النبيّ ﷺ الإمام أمير المؤمنين أن يقوده كما تقاد الشاة ، ويأتي به ، فجاء به الإمام وقد أمسكه من أُذنه فلعنه ثلاثاً ، ثمّ قال للإمام : أحله ناحية ، ثمّ دعا به ثانياً ، وقال : **إِنَّ هٰذا سَيُخالِفُ كِتابَ اللهِ تَعالىٰ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ ، وَسَتَخْرُجُ مِنْ صُلْبِهِ فِتَنٌ يَبْلُغُ دُخانُها السَّماءَ.**

فقال له قوم : هو أقلّ وأذلّ من أن يكون هذا منه .

فقال لهم : **بَلىٰ ، وَبَعْضُكُمْ يَوْمَئِذٍ شِيعَتُهُ**[٢].

وقد نفاه النبيّ ﷺ إلى الطائف ، وقال : **لا يُساكِنُني**[٣].

وظلّ منفيّاً في حياة النبيّ ، وبعد وفاته ﷺ بقي منفيّاً ، وقد توسّط عثمان في شأنه للشيخين فامتنعا من إجابته ، وآل الأمر إليه فجلبه إلى المدينة ، وكان عليه ثوب خلق وهو يسوق تيساً ، والناس ينظرون إلى رثّة ثيابه وسوء حاله ، فدخل دار عثمان وخرج وعليه جبّة خزّ وطيلسان[٤] ، وأوصله ثمانية آلاف ، وولّاه على صدقات قضاعة فبلغت ثلاثمائة ألف درهم فوهبها له[٥].

## ٥ ـ الوليد بن عقبة

الوليد أخو عثمان من أُمّه ، وكان فاسقاً فاجراً ، استقرض من خازن بيت المال عبدالله بن مسعود أموالاً طائلة ، فأقرضه من بيت المال ، وطلب عبدالله منه إعادتها ،

---

(١) حياة الإمام الحسن بن عليّ عليه السلام : ١ : ٢٧٥.

(٢) كنز العمّال : ٦ : ٣٩.

(٣) أنساب الأشراف : ٥ : ٢٧.

(٤) تاريخ اليعقوبي : ٢ : ٤١.

(٥) أنساب الأشراف : ٥ : ٣٠. العقد الفريد : ٤ : ١٠٣. المعارف : ١٩٤ ، وغيرها.

فكتب الوليد إلى عثمان بذلك، فرفع عثمان إلى ابن مسعود رسالة جاء فيها: إنّما أنت خازن لنا فلا تعرض للوليد فيما أخذ من بيت المال.

فطرح ابن مسعود المفاتيح وقال: كنت أظنّ أنّي خازن للمسلمين، فأمّا إذا كنت خازناً لكم فلا حاجة لي بذلك، وأقام بالكوفة بعدما استقال من منصبه[١].

## ٦ـ مروان بن الحكم

هو عزيز عثمان، ومستشاره[٢]، وهو الوزغ ابن الوزغ الذي لعنه رسول الله ﷺ بعد ولادته[٣].

نظر إليه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فقال له: «**وَيْلٌ لَكَ وَوَيْلٌ لِأُمَّةِ مُحَمَّدٍ مِنْكَ وَمِنْ بَنِيكَ إذا شابَ صُدْغَاكَ**»[٤].

وكان من رؤوس المنافقين[٥]، ووجه من وجوه الباطل وكلّم الحسنان عليهما السلام أباهما

---

(١) أنساب الأشراف: ٥: ٣٠.

(٢) ومن نصيحة أمير المؤمنين عليه السلام لعثمان بعد أن ثار الناس عليه: «**فَلَا تَكُونَنَّ لِمَرْوَانَ سَيِّقَةً يَسُوقُكَ حَيْثُ شاءَ بَعْدَ جَلَالِ السِّنِّ وَتَقَضِّي الْعُمُرِ**».
وقال عليه السلام: «**يا عُثْمَانُ، أَمَا رَضِيتَ مِنْ مَرْوانَ؛ وَلَا رَضِيَ مِنْكَ إِلَّا بِتَحَرُّفِكَ عَنْ دِينِكَ وَبِخَذْعِكَ عَنْ عَقْلِكَ؛ مِثْلَ جَمَلِ الظَّعِينَةِ يُقَادُ حَيْثُ يُسَارُ بِهِ! وَاللهِ مَا مَرْوانُ بِذِي رَأْيٍ فِي دِينِهِ وَلَا نَفْسِهِ، وَأَيْمُ اللهِ إِنِّي لَأَرَاهُ سَيُوبِرُكَ ثُمَّ لَا يُصْدِرُكَ، وَمَا أَنَا عَائِدٌ بَعْدَ مَقَامِي هٰذَا لِمُعَاتَبَتِكَ، أَذْهَبْتَ وَاللهِ شَرَفَكَ وَغُلِبْتَ عَلىٰ أَمْرِكَ!!**». تاريخ الأُمم والملوك: ٣: ١٩٧.

(٣) المستدرك على الصحيحين: ٤: ٤٧٩.

(٤) الاستيعاب: ١: ٢٦٤.

(٥) اغتال مروان معاوية بن يزيد بن معاوية، ولمّا عيّن الأمويّون الوليد بن أبي سفيان ملكاً اغتاله مروان أيضاً أثناء صلاته على معاوية بن يزيد. مختصر تاريخ دمشق لابن منظور: ١٣: ١٣٠. أخبار الدول للدمشقي: ١٣٢. «

في مبايعته له، فقال: **أَوَ لَمْ يُبايِعْني بَعْدَ قَتْلِ عُثْمانَ؟ لَا حاجَةَ لي فـي بَـيْعَتِهِ! إِنَّـها كَفٌّ يَهُودِيَّةٌ لَوْ بايَعَني بِكَفِّهِ لَغَدَرَ بِسُبَّتِهِ. أَما إِنَّ لَهُ إِمْرَةً كَـلَعْقَةِ الْكَـلْبِ أَنْـفَهُ، وَهُـوَ أَبُو الْأَكْبُشِ الْأَرْبَعَةِ، وَسَتَلْقَىٰ الْأُمَّةُ مِنْهُ وَمِنْ وَلَدِهِ يَوْماً أَحْمَرَ!**[1].

وأمّا عطايا عثمان لمروان:

منح عثمان لمروان ـ الذي كان فقيراً بائساً، وكان حلّاقاً يحلق بكفّ من دقيق ـ الأموال الطائلة كان منها:

١ ـ أعطاه خُمس غنائم أفريقيا، وقد بلغت خمسمائة ألف دينار، وقد هـجاه عبدالرحمن بن حنبل بأبيات منها:

دَعَـــوتَ اللَّـــعينَ فَـــأَدنَيتَهُ ... خِـلافاً لِسُـنَّةِ مَـنْ قَـدْ مَضىٰ

وَأَعطَيتَ مَروانَ خُـمسَ العِبا ... دِ ظُلماً لَهُمْ وَحَمَيتَ الحِمىٰ[2]

٢ ـ أعطاه ألفاً وخمسين أُوقية، لا نعلم أنّها من الذهب أو الفضة[3].

٣ ـ مائة ألف من بيت المال، فجاء زيد بن أرقم خازن بيت المال فألقى مفاتيح بيت المال بين يدي عثمان وبكى، فنهره عـثمان، وقـال له: أتـبكي أن وَصَـلْتُ رحمي؟

وصاح به عثمان: أَلْقِ المفاتيح يابن أرقم! فإنّا سنجد غيرك[4].

---

« وبذلك انتقلت السلطة من بيت معاوية إلى بيت مروان.

(١) شرح نهج البلاغة: ٦: ١٤٦.

(٢) تاريخ أبي الفداء: ١: ١٦٨.

وفي العقد المفصّل: ٩: ٨٩١: إنّ اسم الشاعر عبدالرحمن بن حسل.

(٣) السيرة الحلبيّة: ٢: ٨٧.

(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١: ٦٧.

٤ ـ أقطعه فدكاً [١]، وهذه الهبة لا يوجد لها مبرّر، فإنّها كانت لسيّدة نساء العالمين لأنّ رسول الله ﷺ قد أنحلها إيّاها، وقد صادرها أبو بكر وضمّها إلى بيت المال، فإنها تكون لجميع المسلمين يصرف واردها في شؤونهم.

هذه بعض الأموال التي منحها عثمان لأرحامه الذين كان معظمهم لا يفهمون القيم الإسلاميّة، ومضافاً لذلك أنّ هذه الأموال حسب القواعد الشرعيّة ملك للمسلمين وليس لوليّ الأمر أن يتصرّف بأيّ شيء منها لنفسه وأرحامه وإلى مَن يحبّه.

وعلى أي حال، فإنّ تصرّف عثمان بأموال المسلمين قد سبّب نقمة خيار الصحابة عليه، وهو من الأسباب التي أدّت إلى الإجهاز عليه.

## ولاته

أمّا الولاة في الإسلام فيجب أن يكونوا من ذوي القابليّات والمواهب، ويمتازون بالعدالة والحراجة في الدين، وليس لوليّ أمر المسلمين أن يعهد بأي منصب في الدولة لأحد محاباة وعاطفة، ومن المؤسف أنّ عثمان عمد إلى توظيف أُسرته، فجعلهم ولاة على الأقاليم والأمصار، وكانوا شاذّين في سلوكهم وبعيدين عن القيم الإسلاميّة، كما لم يكن لهم أي دراية في شؤون الحكم والإدارة، وهؤلاء بعضهم:

### ١ ـ الوليد بن عقبة

جعله والياً على الكوفة، وأقصى عنها سعد بن أبي وقّاص، وكان الوليد فاسقاً، وقد نصّ القرآن الكريم على فسقه بآيتين:

الأُولى: قوله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِناً كَمَن كَانَ فَاسِقاً لَا يَسْتَوُونَ﴾ [٢]، وسبب

---

(١) لطائف المعارف: ٨٤. تاريخ أبي الفداء: ١: ١٦٨.

(٢) السجدة ٣٢: ١٨.

نزول هذه الآية أنّه جرت مشادّة بين الإمام أمير المؤمنين وبين الوليد، فقال له الوليد: اسكت فإنّك صبيّ وأنا شيخ، والله إنّي أبسط منك لساناً، وأحدّ منك سناناً، وأشجع منك جناناً، واملأ منك حشواً في الكتيبة.

فردّ عليه الإمام بقوله: **إِنَّكَ فاسِقٌ**، فنزلت هذه الآية الكريمة[١].

ونظم حسّان بن ثابت ذلك بقوله:

أَنــزَلَ اللهُ وَالكِـتابُ عَـزيزٌ ... فـي عَـلِيٍّ وَفـي الوَلـيدِ قُـرانـا
فَـتَبَوّا الوَلـيدُ مِـنْ ذاكَ فِسْـقاً ... وَعَـــلِيٌّ مُـــبَوَّءٌ إِيْـــمانا
لَيسَ مَنْ كانَ مُؤْمِناً عَـرَفَ اللهَ ... كَـمَنْ كـانَ فـاسِقاً خَـوّانـا
فَـعَلِيٌّ يَـلقىٰ لَـدى اللهِ عِـزّاً ... وَوَلـيـدٌ يَـلقىٰ هُـناكَ هَـوانـا
سَوفَ يُجْزى الوَليدُ خِزْياً وَناراً ... وَعَلِيٌّ لَا شَكَّ يُجْزىٰ جِنانا[٢]

أمّا الآية الثانية: فقوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ** ﴾[٣].

نزلت الآية في الوليد حينما أخبر النبيّ ﷺ أنّ بني المصطلق منعوه الصدقة، فأراد النبيّ ﷺ أن يغزوهم، فنزلت الآية أنّ ما أخبر به الوليد كذب وافتراء.

وهذا الفاسق بنصّ القرآن قد استعمله عثمان والياً على الكوفة، فسار فيها سيرة ظالم فاسق لا يرجو لله وقاراً، فقد صلّى بالناس سكراناً صلاة الصبح أربع ركعات، وهو يقول في ركوعه وسجوده: اشرب واسقني، ثمّ قاء في المحراب، وقال للمصلّين خلفه: هل أزيدكم؟

---

(١) تفسير الطبري: ٢١: ٦٢.

(٢) تذكرة الخواص: ١١٥. الغدير: ٢: ٤٥.

(٣) الحجرات ٤٩: ٦.

فردّ عليه ابن مسعود: لا زادك الله تعالى خيراً، ولا مَن بعثك إلينا.

وأخذ إحدى نعليه فضرب بها وجه الوليد، وحصبه الناس، فهرب إلى القصر والحصباء تأخذه، وهو مترنّح[١].

وقال فيه الحطيئة شعراً كان منه:

تَكَلَّمَ في الصَّلاةِ وَزادَ فيها ... عَلانِيَةً وَجاهَرَ بِالنِّفاقِ
وَمَجَّ الخَمْرَ في سَنَنِ المُصَلّي ... وَنادىٰ وَالجَميعُ إلى افْتِراقِ
أَزيدُكُمُ عَلىٰ أَنْ تَحمَدوني ... فَما لَكُمُ وَما لي مِنْ خَلاقِ[٢]

وهذا الفاسق الذي تمادى في الإثم والاستهزاء بأحكام الدين من ولاة عثمان ومن المقرّبين إليه، وقد عرضنا بصورة مستوعبة إلى هذا الفاسق في كتابنا (حياة الإمام الحسن بن عليّ عليه السلام).

## ٢ ـ سعيد بن العاص

ووالٍ آخر من بني أُميّة أسند إليه عثمان ولاية الكوفة بعد أن أقصى عنها الوليد، وكان فيما يقوله الرواة شابّاً مترفاً[٣] قليل الأدب، فقد شهد عنده الصحابي العظيم هاشم المرقال في رؤيته لهلال عيد الفطر، فقال له بلا حياء: بعينك هذه العوراء رأيته؟

فأجابه هاشم: تعيّرني بعيني، وإنّما فقئت في سبيل الله، وكانت عينه أُصيبت يوم اليرموك.

وأصبح هاشم في داره مفطراً عملاً بقول رسول الله صلى الله عليه وآله: «**صُومُوا لِرُؤْيَتِهِ وَأَفْطِرُوا**

---

(١) السيرة الحلبيّة: ٢: ٣١٤.

(٢) الأغاني: ٤: ١٧٨. الاستيعاب: ٤: ١٥٥٥.

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد: ٥: ٢١. تاريخ مدينة دمشق: ٦: ١٣٥.

لِرُؤْيَتِهِ»، وفطر الناس لإفطاره، وبلغ ذلك سعيداً، فأرسل إليه وضربه، وحرق داره[١].

وسعيد هو الذي قال أمام الكوفيّين: إنّما السواد ـ يعني سواد الكوفة ـ بستان لقريش.

فقام إليه الأشتر وردّ عليه: أتجعل مراكز رماحنا، وما أفاء الله تعالى علينا بستاناً لك ولقومك، والله تعالى لو رامه أحد لقرع قرعاً يتصأصأ منه[٢].

وانضمّ إلى الأشتر فقهاء المصر وخيارهم فقالوا بمقالته، وغضب مدير شرطة سعيد فردّ عليهم ردّاً غليظاً، وقاموا إليه فضربوه ضرباً شديداً حتّى أُغمي عليه، وقاموا وهم يطلقون ألسنتهم بذمّه ونقده، ويذكرون مثالب عثمان وسيّئات قريش وجرائم الأمويّين، ورفع سعيد رسالة إلى عثمان ذكر فيها ما حدث بينه وبين القوم، فأمره عثمان بنفيهم من الكوفة إلى الشام، وكتب في نفس الوقت رسالة إلى معاوية يأمره بإصلاحهم، وأخرجهم سعيد من الكوفة بالعنف والشدّة والصرامة.

فلمّا انتهوا إلى الشام أنزلهم معاوية في كتيبة، وأجرى عليهم بعض الرزق، وجعل يناظرهم، إلّا أنّه لم ينجح، فقد أخذوا ينكرون عليه السياسة الأمويّة القائمة على الجور والظلم، وينتقدون عثمان أشدّ النقد وأقساه، وينكرون ما صرّح به سعيد من أنّ السواد بستان لقريش، وقريش عصابة من الخونة والظالمين ليست لهم أيّة مكرمة أو تفوّق على المجتمع الإسلامي.

ويئس معاوية من إقناعهم وخاف أن تشيع أفكارهم في أهل الشام فيفسدون عليه، فكتب إلى عثمان يستعفيه من بقائهم في الشام، فأعفاه وأمره بردّهم إلى الكوفة، فعادوا إليها وهم مصرّون على نقد عثمان ووالية سعيد ومعاوية.

---

(١) الطبقات الكبرى: ٥: ٣٢.

(٢) تاريخ الأُمم والملوك: ٣: ٣٦٥.

ورفع سعيد إلى عثمان رسالة يطلب فيها إبعاد القوم عن مصرهم، فأجابه عثمان، وأمر بنفيهم إلى حمص، فأخرجهم منها إلى حمص، وكان واليها عبدالرحمن بن خالد بن الوليد، فقابلهم بمنتهى القسوة والشدّة والصرامة، كما قابلهم بأعنف القول وأفحشه، وكان إذا ركب أمر بهم فساروا حوله مشاة ليظهر للمجتمع هوانهم وذلّتهم.

ورأوا من الذلّة والهوان والبطش والعذاب ما لا يطيقوه، فاضطرّوا إلى إظهار الطاعة، فأقالهم وكتب بأمرهم إلى عثمان يسترضيه في شأنهم، فأجابه إلى ذلك وردّهم إلى مصرهم.

وسافروا إلى المدينة يشكون ممّا لاقوه من سعيد إلى عثمان، وجاء سعيد من الكوفة فوجد القوم أمامه يشكونه إلى عثمان، ويسألونه عزله، وامتنع عثمان من إجابتهم، وأمر عامله سعيد بالرجوع إلى الكوفة.

وقفل القوم راجعين قبله، فاحتلّوا الكوفة، وأقسموا أن لا يدخلها سعيد ما حملوا سيوفهم، ثمّ خرجوا بقيادة الأشتر حتّى بلغوا منطقة تسمّى الجرعة، فانتظروا أميرهم ليرجعوه إلى يثرب، فأقبل فأجبروه على الرجوع ومنعوه من دخول مصرهم، وأجبروا عثمان على عزله، فاستجاب لهم على كره[1].

لقد لاقت هذه الجمهرة من المصلحين جميع صنوف الاضطهاد والتنكيل من عاملهم الذي لم تكن عنده أي خبرة سياسيّة ولا معرفة له بشؤون الحكم والإدارة.

## ٣ـ عبدالله بن عامر

والي عثمان على البصرة بعد أن كان عليها أبو موسى الأشعري، فعزله عنها وعيّن

---

(١) الأنساب: ٥: ٣٩. تاريخ الطبري: ٥: ٨٨. تاريخ أبي الفداء: ١: ١٦٨.

عليها ابن خاله عبدالله ، وكان عمره لا يتجاوز الأربع والعشرين سنة[١].

وقال أبو موسى للناس : « يأتيكم غلام خرّاج ولّاج ، كريم الجدّات والخالات والعمّات ، يجمع له الجندان »[٢].

لقد ولّى عثمان هذا الحدث أمر هذا المصر ولم تهذّبه الأيام ولم تصقله التجارب ، ولم تكن له أيّة دراية بأحكام الله تعالى ، وكان الواجب عليه أن يختار الصحابة الذين يفقهون الدين ليستفيد الناس من أخلاقهم ويكونوا دعاة إلى الله تعالى .

وعلى أي حال ، فقد سار هذا الشابّ أثناء ولايته سيرة ترف وبذخ ، فكان كما قال الأشعري ولّاجاً خرّاجاً ، وهو أوّل من لبس الخزّ في البصرة كما لبس جبّة دكناء فقال الناس : لبس الأمير جلد دبّ ، فغيّر لباسه ولبس جبّة حمراء[٣].

وقد أنكر عليه جماعة من أخيار البصرة كان منهم عامر بن عبدالله التميمي وغيره ، وقد رحل عامر إلى يثرب ليوعظ عثمان ويذكّره بمساوئ ولاته وعمّاله ، فلمّا التقى به قال له : إنّ ناساً من المسلمين اجتمعوا فنظروا في أعمالك ، فوجدوك قد ركبت أُموراً عظاماً ، فاتّق الله عزّ وجلّ وتب إليه ، وانزع عنها .

فاحتقره عثمان وقال لمن حوله : انظروا إلى هذا فإنّ الناس يزعمون أنّه قارئ ، ثمّ هو يجيء فيكلّمني في المحقّرات ، فوالله ما يدري أين الله ؟

وردّ عليه وأصرّ مستنكراً : أنا لا أدري أين الله ؟

- نعم .
- إنّي لأدري أنّ الله بالمرصاد .

---

(١) الاستيعاب (المطبوع على هامش الإصابة) : ٢ : ٢٥٣ .

(٢) الكامل في التاريخ : ٣ : ٣٨ .

(٣) أُسد الغابة : ٣ : ١٩٢ .

أرسل عثمان إلى مستشاريه وعمّاله ، فعرض عليهم الأمر فأشار عليه عبدالله بن عامر واليه على البصرة أن يرسلهم في المغازي وفي جبهات الحروب ليذلّوا ويحرّم عليهم عطاياهم حتّى يهلكهم الفقر[١].

واستجاب عثمان لرأيه ، وقفل عامر راجعاً إلى البصرة ، وقد عزم على التنكيل بالمعارضة ، فأوعز إلى عملائه أن يشهدوا عنده أنّ عامراً قد خالف الإسلام وشذّ عن تعاليمه ، فهو لا يأكل اللحم ولا يرى الزواج ، ولا يشهد الجمعة[٢] ، ورفع بذلك تقريراً إلى سيّده عثمان ، فأمره بنفيه إلى الشام على قتب ، فحمل عليه .

ولمّا انتهى إلى الشام أنزله معاوية الخضراء وهي إحدى قصوره ، وبعث إليه جارية لتتعرّف عليه ، فرأته يقوم في الليل مصلّياً وقارئاً للقرآن الكريم ، ويخرج في السحر فلا يعود إلّا بعد العتمة ، ولا يتناول شيئاً من طعام معاوية ، وكان يأتي بكسر من الخبز يابس ويجعله في الماء ثمّ يتناوله مع الماء ، فأخبرته الجارية بشأنه ، فكتب إليه معاوية بشأنه ، فأوعز إليه بصلته[٣].

وقد نقم المسلمون من عثمان لأنّه نفى رجلاً من خيار المسلمين ونكلّ به لأنّه نقد سياسة عمّاله ، وليس لعثمان أن ينفي رجلاً صالحاً من المسلمين ، لأنّ النفي لمن حارب الله تعالى ورسوله ، أمّا والي البصرة عبدالله بن عامر ، فإنّه لمّا سمع بقتل عثمان نهب ما في بيت المال ، وسار إلى مكّة فالتقى بعائشة وطلحة والزبير ، فانضمّ إليهم وأمدّهم بالأموال التي نهبها من بيت المال .

---

(١) تاريخ الأُمم والملوك : ٣ : ٣٧٤ . تاريخ ابن خلدون : ٢ : ٣٩ .

(٢) الفتنة الكبرى : ١ : ١١٦ .

(٣) الإصابة : ٣ : ٨٥ .

## ٥ ـ عبدالله بن سعد

أخو عثمان من الرضاعة، استعمله والياً على مصر، وجعل بيده أمر الخراج والصلاة، ووهبه خمس غنائم أفريقيا، ولم يكن خليقاً بالإمارة والصلة، فقد كان له تاريخ أسود، فقد ارتدّ بعد إسلامه وصار إلى قريش، يسخر بالنبيّ ﷺ ويقول: إنّي أصرفه حيث أُريد، وأهدر النبيّ ﷺ دمه يوم الفتح، وإن كان متعلّقاً بأستار الكعبة، ففرّ إلى عثمان واستجار به فغيّبه، ثمّ أتى به إلى النبيّ ﷺ يطلب منه العفو له، فصمت النبيّ ﷺ، ثمّ عفا عنه، وسئل عن صمته فقال: **ما صَمَتُّ إِلَّا لِيَقُومَ إِلَيْهِ بَعْضُكُمْ لِيَضْرِبَ عُنُقَهُ**.

فقال له رجل من الأنصار: هلّا أومأت إليَّ يا رسول الله ؟

فقال ﷺ: **إِنَّ النَّبِيَّ لَا يَنْبَغِي أَنْ تَكونَ لَهُ خائِنَةُ الْأَعْيُنِ**[1].

وكان هذا الوغد من أعدى الناس لرسول الله ﷺ، ومن أكثرهم حقداً عليه، فكيف جعله عثمان والياً على هذا القطر العظيم، وقد ساس المصريّين سياسة عنف وبطش، وضجروا منه وسئموا حكمه، فخفّ جمهور من المصريّين إلى عثمان يشكونه، فزجرهم عثمان.

وعلى أي حال، فهؤلاء الفسّاق الخونة قد سلّطهم عثمان على رقاب المسلمين فأمعنوا في ظلمهم والتنكيل بهم.

## ٦ ـ معاوية بن أبي سفيان

وهو من أكثر ولاته نفوذاً، ومن أعظمهم إمرة وسلطاناً، فقد منحه عمر جميع ألوان التأييد، فرفع شأنه، وأعلى قدره، فهو عنده فتى قريش وكسرى العرب،

---

(١) تفسير القرطبي: ٧: ٤٠. سنن أبي داود ٢: ٢٢٠. تفسير فتح القدير للشوكاني: ٢: ١٣٤.

لا يأمر ولا ينهاه ، وزاد في رقعة سلطانه ، وقد آثره عثمان على عمله ، وضمّ إليه فلسطين ،كما ضمّ إليه حمص ، وبذلك فقد أصبح من أعظم الولاة قوّة ، ومن أكثرهم نفوذاً ، وأصبح قطره من أهمّ الأقطار الإسلاميّة وأمنعها ، وقد مهّد له عثمان أن ينقل الخلافة الإسلاميّة إلى آل أبي سفيان ،كما يرى ذلك الدكتور طه حسين ، فقد قال :

« وليس من شكّ في أنّ عثمان هو الذي مهّد لمعاوية ما أُتيح له من نقل الخلافة ذات يوم إلى آل أبي سفيان ، وتثبيتها في بني أُميّة ، فعثمان هو الذي وسّع على معاوية في الولاية فضمّ إليه فلسطين وحمص ، وأنشأ له وحدة شامية بعيدة الأرجاء ، وجمع له قيادة الأجناد الأربعة ، فكانت جيوشه أقوى جيوش المسلمين ، ثمّ مدّ له في الولاية أثناء خلافته كلّها كما فعل عمر ، وأطلق يده في أُمور الشام أكثر ممّا أطلقها عمر ، فلمّا كانت الفتنة فإذا هو أبعد الأُمراء بالولاية عهداً وأقواهم جنداً وأملكهم لقلب رعيّته »[١].

وعلى أي حال ، فإنّ عثمان قد عبّد له الطريق لمناهضة الحكم من بعده إذا لم يكن منسجماً مع الأمويّين ، ولم يرد معاوية لعثمان هذا الجميل ، فقد استنجد به حينما أحاط به الثوّار ، وكان باستطاعته حمايته وإنقاذه من أيدي الثائرين عليه ، وسنوضّح ذلك في بحوث هذا الكتاب .

## القوى المعارضة

ونقم خيار المسلمين ومعظم الشعوب الإسلاميّة على سياسة عثمان وسوء إدارته ، فقد منح خيرات البلاد لأُسرته التي كانت في الجاهليّة من أفقر الأُسر ، فكان مروان بن الحكم حلاّقاً يحلق بكفّ من الطعام[٢].

---

(١) الفتنة الكبرى : ١ : ١٢٠.

(٢) مثالب العرب والعجم / هشام بن محمّد الكلبي : ٥٥.

وقد منحه عثمان السلطة فصار يتصرّف في شؤون الأُمّة، وكذلك منح خيرات البلاد لأُسرته التي كانت تعاني البؤس والفقر، كما ولّاهم معظم الأقطار الإسلاميّة.

وكان الناقمون عليه مختلفين في اتّجاههم بين اليمين واليسار، فطلحة والزبير وعائشة لم يكن مناهضتهم ونقمتهم من أجل الإصلاح الاجتماعي، وإنّما كان لأجل الوصول إلى الحكم وسلب السلطة منه.

أمّا الطائفة الأُخرى، فكانت تضمّ أعلام الإسلام أمثال الصحابي العظيم عمّار ابن ياسر الطيّب بن الطيّب، وأبي ذرّ، وعبدالله بن مسعود، وأمثالهم من الذين صدقوا ما عاهدوا الله تعالى عليه من إنكار المنكر ومقاومة الظلم والاستبداد، فقد رأوا أنّ عثمان قد أمات السنّة، وأحيى البدعة، ورأوا صادقاً يكذّب، وكاذباً يصدّق وأثرة بغير حقّ، كما كانوا يقولون، فطالبوا عثمان بتغيير سلوكه، وأن يسير بين المسلمين بالحقّ، فلم يعن بذلك، ولو أنّه استجاب لهم لجنّب المسلمين الكثير من الفتن والخطوب.

## التنكيل بالمعارضين

وجهد عثمان على التنكيل بالمعارضين لسياسته ومقابلتهم بمنتهى الصرامة والقسوة، فقد عمد عثمان إلى مقابلة عمّار بن ياسر بالعنف حينما أنكر عليه أمير المؤمنين عليه السلام وأيّده عمّار عندما استأثر بالسفط الذي في بيت المال الذي كان يضمّ الجواهر الثمينة التي لا تقدّر بثمن، فأوعز إلى شرطته بإلقاء القبض عليه وإدخاله في منزله، فضرب ضرباً مبرّحاً حتّى غشي عليه، وحمل إلى منزل أُمّ المؤمنين السيّدة أُمّ سلمة، ولم يفق من شدّة الضرب حتّى فاتته صلاة الظهرين والمغرب. فلمّا أفاق توضّأ وصلّى العشاء، وقال: «الحمد لله ليس هذا أوّل يوم أُوذينا فيه في الله»[1].

---

(١) شرح نهج البلاغة: ٣: ٤٩.

ونقم المسلمون على عثمان لاعتدائه على عمّار الذي هو في طليعة أصحاب رسول الله ﷺ، وغضبت السيّدة عائشة وأخرجت شعراً من شعر رسول الله ﷺ وثوباً من ثيابه ونعلاً من نعاله، وقالت: ما أسرع ما تركتم سنّة نبيّكم، وهذا شعره وثوبه ونعله لم يبل بعد، فغضب عثمان حتّى لا يدري ما يقول، ولا يعرف كيف يعتذر عن خطيئته[١].

وتصدّى عمّار إلى الإنكار على عثمان في كثير من المواقف التي خالف فيها عثمان سنّة رسول الله ﷺ.

كما نكّل عثمان أشدّ التنكيل وأقساه بالصحابي العظيم أبو ذرّ الثائر على الظلم والطغيان، فاعتقله تارة في الشام، وأُخرى في الربذة حتّى توفّي فيها جائعاً غريباً، وفي يد عثمان بيت المال وتحت قبضته يهبه بسخاء إلى الأمويّين وآل أبي معيط، وقد نقم عليه المسلمون أشدّ ما يكون الانتقام.

كما نكّل عثمان بالصحابي الجليل عبدالله بن مسعود لأنّه نقم عليه سيرته مع الوليد بن عقبة الذي ا ستقرض أموالاً من بيت المال، وكان تحت خزانة عبدالله، وطالب بها، فأبى أن يدفعها ورفع الوليد الأمر إلى عثمان، فأنكر على ابن مسعود ونكّل به أمرّ التنكيل وأقساه وحرمه من عطائه، وقد عاش بقيّة أيّامه فقيراً، ومرض فعاده عثمان فقال له: ما تشتكي؟

- ذنوبي؟
- ما تشتهي؟

رحمة ربّي.

- أدعو لك طبيباً؟

---

(١) أنساب الأشراف: ٦: ١٦١. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٣: ٤٩.

- الطبيب أمرضني.
- آمر لك بعطائك ؟
- منعتني عنه وأنا محتاج إليه ، وتعطينيه وأنا مستغني عنه !
- يكون لولدك.
- رزقهم على الله !
- استغفر لي يا أبا عبدالرحمن.
- اسأل الله أن يأخذ لي منك بحقّي..[١].

وخرج عثمان ولم يمنحه ابن مسعود الرضا ، وإنّما أبدى له الغضب ، ولمّا ثقل حاله أوصى أن لا يصلّي عليه عثمان ، وأن يصلّي عليه صاحبه عمّار بن ياسر ، ولمّا توفّي قامت الصفوة من أصحابه بتجهيزه ودفنه ، ولم يحضر عثمان جنازته ، وغضب على عمّار لأنّه لم يعلمه بوفاته ، فقال له : هو أوصى أن لا تصلّي عليه.

وقال الزبير:

لأُعْرِفَنَّكَ بَعدَ المَوتِ تَنْدُبُني وَفي حَياتِيَ ما زَوَّدتَني زادي[٢]

لقد نقم على عثمان خيار الصحابة ، وقد صبّ عليهم جام غضبه ، فنكّل بهم أفظع التنكيل وأقساه.

## الثورة على عثمان

وكانت الثورة على عثمان أمراً طبيعيّاً ، فقد تمادى عثمان في الاعتداء على أعلام الإسلام وخيار الصحابة ، مضافاً إلى سوء سياسته الإداريّة ، وإيثاره للأمويّين

---

(١) تاريخ المدينة: ٣: ١٠٥١.

(٢) أنساب الأشراف: ٦: ١٤٦.

بالوظائف المهمّة ، ومنحهم خيرات البلاد ، وقد رفع أعلام المهاجرين مذكّرة إلى الأمصار الإسلاميّة يستنجدون بهم لإرسال الجيوش للإطاحة بحكومة عثمان ، وقد استجابت الأقطار الإسلاميّة لهم ، وهذه بعض الوفود :

## ١ ـ الوفد المصري

أرسلت مصر وفداً ضمّ أربعمائة شخص بقيادة عبدالرحمن بن عديس البلوي وأبي عمرو عبدالله بن بديل الخزاعي .

## ٢ ـ الوفد الكوفي

وأوفدت الكوفة كوكبة من أبنائها بقيادة الزعيم مالك الأشتر وزيد بن صوحان العبدي وزياد بن النضر الحارثي .

## ٣ ـ الوفد البصري

أرسلت البصرة مائة رجل بقيادة حكيم بن جبلة العبدي ، ثمّ أوفدت ثانياً خمسين رجلاً .

ورحّبت الصحابة بهم ، وقابلتهم بمزيد من التكريم ، وعرضت عليهم إحداث عثمان ، وطالبتهم بإقصائه عن الحكم أو الوقيعة به[١] .

ورفعت هذه الوفود مذكّرة إلى عثمان يدعونه إلى التوبة والاستقامة في سلوكه ، واستجاب لطلبهم ، إلّا أنّه سرعان ما نقض ذلك بتأثير وزيره ومستشاره مروان ، وضيّقت الوفود الحصار عليه .

---

(١) أنساب الأشراف : ٦ : ١٧٤ . الطبقات الكبرى : ٣ : ٧١ . مروج الذهب : ٢ : ٣٤٣ . وذكرنا بصورة موسّعة هذه الأحداث في كتابنا ( حياة الإمام الحسين بن عليّ عليه السلام ) .

## استنجاده بمعاوية

استنجد عثمان بمعاوية ليحميه من الثوّار، وقد كتب له: «أمّا بعد، فإنّ أهل المدينة قد كفروا، وخلعوا الطاعة ونكثوا البيعة، فابعث إليَّ من قِبلك مقاتلة أهل الشام على صعب وذلول..»[١].

وحمل الكتاب مسور بن مخرمة، فقرأه معاوية وقال له مسور: يا معاوية، إنّ عثمان مقتول، فانظر فيما كتب به إليك.

وصارحه معاوية: يا مسور، إنّي مصرّح أنّ عثمان بدأ فعمل بما يحب الله ورسوله ويرضاه، ثمّ غيّر فغيّر الله عليه، أفيتهيّأ لي أن أردّ ما غيّر الله عزّ وجلّ..[٢]؟

ولم يستجب معاوية لإغاثته، وكان باستطاعته حمايته، إلّا أنّه كان يترقّب مصرعه ليتّخذ من دمه ورقة رابحة للظفر بالملك والسلطان، وقد تنكّر له لألطافه عليه وعلى الأمويّين.

يقول الدكتور محمّد طاهر درويش: «وإذا كان هناك وزر في قتل عثمان فوزره على معاوية ودمه في عنقه، ومسؤوليّته عن ذلك لا تدفع، فهو أوْلى الناس به، وأعظم الرجال شأناً في دولته، وقد دعاه فيمن دعا، يستشيره في هذا الأمر، وهو داهية الدهاة، فما نهض إليه برأيه، ولا دافع عنه بجنده، وكأنّه قد استطال ـ كما استطال غيره ـ حياته، فترك الأيام ترسم بيدها مصيره، وتحدّد نهايته، فإذا جاز لأحد أن يظنّ بعلي أو بطلحة والزبير تقصيراً في حقّ عثمان فمعاوية هو المقصّر، وإذا جاز أن يلام أحد غير عثمان فيما جرى فمعاوية هو الملوم»[٣].

---

(١) الكامل في التاريخ: ٥: ٦٧. تاريخ اليعقوبي: ٢: ١٥٠.

(٢) فتوح البلدان: ٢: ٢١٨.

(٣) الخطابة في صدر الإسلام: ٢: ٢٣.

ويؤكّد ما ذهب إليه الدكتور درويش أنّ عثمان لمّا أبطأ عن إجابته معاوية بعث رسالة إلى يزيد بن أسد وإلى أهل الشام يستحثّهم على القدوم لنصرته فنفروا لنصرته تحت قيادة يزيد بن أسد، إلّا أنّ معاوية أمرهم بالإقامة بذي خشب، وهو قريب من المدينة فأقام الجيش هناك حتّى قتل عثمان[١].

إنّ معاوية كان باستطاعته إنقاذ عثمان من أيدي الثوّار، إلّا أنّه لم يفعل أي شيء حتّى يطاح به فيتّخذ من ذلك وسيلة للمطالبة بدمه.

## الإجهاز على عثمان

وأحاط الثوّار بدار عثمان، وقد خرج إليهم مروان فبرز إليه عروة الليثي، فضربه على قفاه، فخرّ لوجهه وقام إليه عبيد بن رفاعة فأراد الإجهاز عليه، فعذلته فاطمة الثقفيّة، فتركه[٢]، وانهزم عنه بنو أُميّة وآل أبي معيط، فأجهز عليه جماعة من المسلمين، منهم محمّد بن أبي بكر، فقبض على لحيته وقال له: أخزاك الله يانعثل[٣].

فردّ عليه عثمان: لست بنعثل، ولكنّي عبدالله وأمير المؤمنين.

وردّ عليه محمّد: ما أغنى عنك معاوية وفلان وفلان..

وطلب عثمان من محمّد أن يتركه قائلاً: يابن أخي، دع عنك لحيتي، فما كان أبوك ليقبض على ما قبضت عليه..

وسخر منه محمّد قائلاً: ما أُريد بك أشدّ من قبضي على لحيتك..

وطعن جبينه بمشقص كان في يده وتناوله الثوّار بسيوفهم ومشاقصهم حتّى

---

(١) تاريخ الطبري: ٤: ١٠٠.

(٢) الطبقات الكبرى: ٥: ٣٧.

(٣) نعثل: هو طويل اللحية، وقيل: هو رجل من أهل الكتاب كان طويل اللحية، وكان يشبه عثمان، ولذلك سمّي به، جاء ذلك في حاشية لطائف المعارف: ٣٥.

تركوه جثّة هامدة، وحاولوا حزّ رأسه، إلّا أنّ زوجتيه ألقتا بنفسيهما عليه، فأمر ابن عديس بتركه لهما[١].

وقال الصفدي: «إنّ الثوّار ألقوه على المزبلة ثلاثة أيّام»[٢]، وذلك مبالغة في تحقيره، وتوسّط الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في مواراته فسمحوا له بذلك، فدفن في حشّ كوكب وهي مقبرة لليهود.

إنّ الثورة على عثمان ثورة اجتماعيّة لا تقلّ شأناً عن الثورات الإصلاحيّة، فقد كانت تهدف إلى الحدّ من سلطة الحاكمين وتمنعهم من الاستبداد بشؤون الناس.

وعلى أي حال، فإنّ حكومة عثمان قد تركت كثيراً من الفتن والمصاعب، فقد أشعلت نار الفتن بين المسلمين وألقتهم في شرّ عظيم، وقد كتبنا عن مضاعفاتها السيّئة في كتابنا (حياة الإمام الحسين بن عليّ عليه السلام) ولا نرى ضرورة لذكرها.

---

(١) الغدير: ٩: ٢٠٦. الطبقات الكبرى: ٣: ٧٣.

(٢) تمام المتون للصفدي: ٧٩.

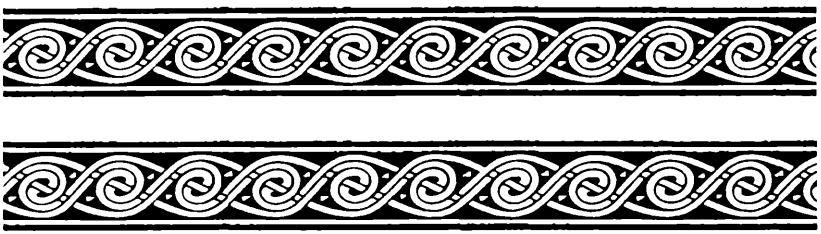

# حكومة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام

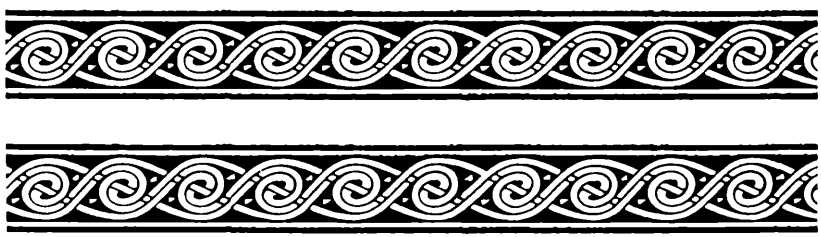

أجمع خيار الصحابة ومعهم القوّات المسلّحة على انتخاب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لقيادة الأُمّة، وحاكماً عامّاً لها، وامتنع الإمام من إجابتهم، وذلك لما تركته حكومة عثمان، وما قبلها من انهيار الأخلاق وشيوع الأطماع، وغير ذلك من الأزمات الاجتماعيّة التي من أشّدها اختلاس الأموال، واتّخاذ الحكم وسيلة للظفر بخيرات البلاد.

## قرارات بالغة الأهمّيّة

وفور تسلّم الإمام قيادة الدولة قام بتنفيد ما يلي:

## تأميم الأموال المختلسة

وراح الإمام يقيم معالم العدل وينشر القيم الإسلاميّة في البلاد، فأصدر أوامره الحاسمة بتأميم الأموال المختلسة التي نهبها الحكم المباد، وبادرت السلطة التنفيذيّة بوضع اليد على القطائع التي أقطعها عثمان لبني أُميّة وآل أبي معيط، والأموال التي استأثر بها عثمان لنفسه وأهله، وقد صودرت حتّى سيفه ودرعه، وأُضيفت إلى بيت المال، وكان هذا هو الحكم الذي يقام به العدل، ويقضى فيه على تلاعب الحكّام بأموال الدولة.

## فزع الأمويّين

وفزع الأمويّون من هذا الإجراء الحاسم بمصادرة الأموال المختلسة، وعاتب الوليد بن عقبة بني هاشم على تأميمهم لأموال الأمويّين. يقول:

بَني هاشِمٍ رُدّوا سِلاحَ ابْنِ أُخْتِكُمْ ... وَلَا تَنْهَبوهُ لَا تَحِلُّ مَناهِبُه

بَني هاشِمٍ كَيفَ الهَوادَةُ بَينَنا ... وَعِندَ عَلِيٍّ دِرعُهُ وَنَجائِبُه

بَني هاشِمٍ كَيفَ التَّوَدُّدُ مِنكُمُ ... وَبَزُّ ابْنِ أَروىٰ فيكُمُ وَحَرائِبُه

بَني هاشِمٍ إِلّا تَرُدّوا فَإِنَّنا ... سَواءٌ عَلَينا قاتِلاهُ وَسالِبُه

بَني هاشِمٍ إِنّا وَما كانَ مِنكُمُ ... كَصَدعِ الصَّفا لَا يَشعَبُ الصَّدعَ شاعِبُه

قَتَلتُمْ أَخي كَيما تَكونوا مَكانَهُ ... كَما غَدَرَتْ يَوماً بِكِسْرىٰ مَرازِبُه[1]

حكت هذه الأبيات مدى الأحقاد والضغائن التي أُترعت بها نفوس الأمويّين على السادة الهاشميّين الذين صادروا منهم الأموال التي نهبوها من المسلمين.

وقد ردّ عليه عبدالله بأبيات منها:

فَلا تَسأَلونا سَيفَكُمْ إِنَّ سَيْفَكُمْ ... أُضيعَ وَأَلقاهُ لَدى الرَّوعِ صاحِبُهْ

وَشَبَّهتَهُ كِسرىٰ وَقَدْ كانَ مِثْلُهُ ... شَبيهاً بِكِسرىٰ هَدْيُهُ وَضَرائِبُهْ[2]

وطعن هذا الشاعر بشخصيّة عثمان، واتّهمه بالخور، وأنّه ألقى سيفه لدى الروع حينما هجم عليه الثوّار ولم يدافع به عن نفسه، حتّى تناهبت جسمه سيوف الثوّار.

---

(١) الجمل للشيخ المفيد: ١: ٢٠٩.

(٢) الغدير: ٨: ٢٨٨. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١: ٢٧.

## إقصاء معاوية وسائر الولاة

بادر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إلى إقصاء معاوية عن ولاية الشام وسائر ولاة عثمان من الخونة واللصوص، وقد بادر المغيرة بن شعبة إلى الإمام وعرض عليه إبقاء معاوية في منصبه، ثمّ عزله بعد ذلك، فأبى الإمام لأنّ في بقائه ساعة تزكية له وإقراراً بعدالته وصلاحيّته للحكم، وهذا ما يأباه ضميره الذي لا يسلك أي طريق يبعده عن الله، إنّ حكومة الإمام هي حكومة النبيّ صلى الله عليه وآله التي تحرم الإلتقاء مع الظالمين والطغاة.

إنّ ما فعله الإمام في عزله لمعاوية كان منسجماً كلّ الانسجام مع القيم الإسلاميّة التي حرّمت التعاون مع الظالمين، وإن توقّف النصر السياسي على ذلك.

## فزع القرشيّين

فزعت القبائل القرشيّة وأصابها الذهول من حكومة الإمام عليه السلام رائد العدالة في الأرض، فإنّه سيصادر الأموال التي أغدقها عليهم عثمان بغير حقّ، وقد كتب ابن العاص رسالة إلى معاوية جاء فيها: «ما كنت صانعاً فاصنع إذا قشّرك ابن أبي طالب من كلّ مال تملكه، كما تقشّر عن العصا لحاها»[١].

وقد وصف ابن أبي الحديد مدى فزع قريش من حكم الإمام بقوله: «كأنّها حاله لو أفضت الخلافة إليه يوم وفاة ابن عمّه صلى الله عليه وآله من إظهار ما في النفوس، وهيجان ما في القلوب حتّى انّ الأخلاف من قريش، والأحداث والفتيان الذين لم يشهدوا وقائعه وفتكاته في أسلافهم وآبائهم فعلوا ما لو كانت الأسلاف أحياء لقصرت عن فعله وتقاعست عن بلوغ شاوه»[٢].

---

(١) الغدير: ٨: ٢٨٨.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١١: ١١٤.

اتقد نخب الحسد والعداء للإمام قلوب القرشيّين ، فجهدوا على إعلان العصيان والتمرّد على حكومة الإمام ، وهذا ما سنعرض له في البحوث الآتية .

## موقف الإمام عليه السلام من قريش

عانى الإمام عليه السلام من قريش جميع ألوان الاضطهاد والتعدّي ، وقد صوّر الإمام ما عاناه منهم بقوله : «**لَقَدْ أَخافَتْني قُرَيْش صَغيراً ، وَأَنْصَبَتْني كَبيراً ، حَتّىٰ قَبَضَ اللهُ تَعالىٰ رَسولَهُ صلى الله عليه وآله ، فَكانَتِ الطّامَّةُ الْكُبْرى ، وَاللهُ الْمُسْتَعانُ عَلىٰ ما يَصِفونَ**»[١] .

كان الإمام الخصم الأوّل لقريش ، فقد أذلّهم ، وحصد رؤوس أعلامهم بسيفه ، وقد أجمعوا على حربه .

وقد تحدّث بذلك في رسالته إلى أخيه عقيل قال : « **فَدَعْ عَنْكَ قُرَيْشاً وَتَرْكاضَهُمْ في الضَّلَالِ ، وَتَجْوالَهُمْ في الشِّقاقِ ، وَجِماحَهُمْ في التِّيهِ ، فَإِنَّهُمْ قَدْ أَجْمَعُوا عَلَىٰ حَرْبي كَإِجْماعِهِمْ عَلَىٰ حَرْبِ رَسُولِ اللهِ ـ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ـ قَبْلي ، فَجَزَتْ قُرَيْشاً عَنِّي الْجَوازِي ! فَقَدْ قَطَعُوا رَحِمي ، وَسَلَبُوني سُلْطانَ ابْنِ أُمِّي**»[٢] .

ولم يعن بهم الإمام ، فقد انطلق في مسيرته وإقامة أهدافه التي من أهمّها بسط العدل وإشاعة الحقّ بين الناس ، ووجّه ضرباته القاسية للظالمين من عتاة قريش .

يقول عليه السلام : «**مالِي وَلِقُرَيْشٍ ! وَاللهِ ! لَقَدْ قاتَلْتُهُمْ كافِرِينَ ، وَلَأُقاتِلَنَّهُمْ مَفْتُونِينَ ، ... وَاللهِ ! لَأَبْقُرَنَّ الْباطِلَ حَتَّىٰ أُخْرِجَ الْحَقَّ مِنْ خاصِرَتِهِ ! فَقُلْ لِقُريش فَلْتَضِجَّ ضَجِيجَها**»[٣] .

---

(١) شرح نهج البلاغة : ٤ : ١٠٨ .

(٢) شرح نهج البلاغة : ١٦ : ٤٠٩ .

(٣) شرح نهج البلاغة : ١ : ٢٣٣ .

لقد انطوت نفوس قريش على البغي لرائد الحقّ ومؤسّس حقوق الإنسان وصيّ رسول الله ﷺ وباب مدينة علمه الذي أراد أن يسوس الناس بسياسة قوامها العدل ويقضي على جميع ألوان التخلّف في المجتمع الإنساني ، وهذا عرض لتمرّدهم على الإمام :

## تمرّد عائشة

أمّا عائشة فكانت في طليعة الناقمين على عثمان ، والمؤجّجين للحرب عليه ، فكانت تُخرج قميص رسول الله ﷺ وتنشره بين المسلمين وتقول : هذا ثوب رسول الله ﷺ لم يبل وعثمان قد أبلى سنته ، وأفتت بكفر عثمان وقتله ، فقالت : اقتلوا نعثلاً فقد كفر .

ولمّا أشعلت نار الحرب على عثمان خرجت إلى مكّة وهي تترقّب الأحداث ، ولمّا قتل عثمان خرج من المدينة شخص من أخوالها يسمّى عبيد ، فلمّا بصرت به بادرت قائلة : مهيم[1] ؟

- قُتل عثمان .
- ثمّ صنعوا ماذا ؟
- اجتمعا على عليّ فجازت بهم الأُمور إلى خير مجاز .

وانهارت أعصابها ، وبلغ بها الحزن إلى قرار سحيق ، وهتفت ثانياً وهي حانقة مغيظة ، وبصرها يشير إلى السماء ثمّ ينخفض فيشير إلى الأرض قائلة : والله ليت هذه ـ أي السماء ـ انطبقت على هذه ـ يعني الأرض ـ إن تمّ الأمر لابن أبي طالب ، قتل عثمان مظلوماً ، والله لأطلبنّ بدمه .

فأجابها عبيد بسخرية : ولِمَ ، فوالله إنّ أوّل من حربه ـ يعني عثمان ـ لأنت وكنت

---

(١) يعني : ما وراءك؟

تقولين : اقتلوا نعثلاً فقد كفر .

وراحت عائشة تلفّق الأكاذيب قائلة : إنّهم استتابوه ثمّ قتلوه ، وقد قلت وقالوا ، وقولي الأخير خير من قولي الأوّل .

وراح ابن خالها يردّ عليها هذا التناقض الصريح في قولها بهذه الأبيات :

فَمِنكِ البَداءُ وَمِنكِ الغِيَرْ ... وَمِنكِ الرِّياحُ وَمِنكِ المَطَرْ
وَأَنتِ أَمَرْتِ بِقَتلِ الإِمامِ ... وَقُلتِ لنا إِنَّهُ قَدْ كَفَرْ
فَهَبنا[1] أَطَعناكِ في قَتْلِهِ ... وَقاتِلُهُ عِندَنا مَنْ أَمَرْ
وَلَم يَسقُطِ السَّقفُ مِنْ فَوقِنا ... وَلَمْ تَنْكَسِفْ شَمْسُنا والقَمَرْ
وَقَدْ بايَعَ النّاسُ ذا تُدْرَإٍ ... يُزيلُ الشَّبا ويُقيمُ الصَّعَرْ[2]
وَيَلبَسُ لِلحَرْبِ أَثْوابَها ... وَما مَنْ وَفى مِثلُ مَنْ قَدْ غَدَرْ

وأسخطها قوله ، وانصرفت عنه[3] .

يقول شوقي في هذا التناقض من عائشة :

أَثَأْرُ عُثمانَ الَّذي شَجاها ... أَمْ غُصَّةٌ لَمْ يُنتَزَعْ شَجاها
ذلِكَ فَتقٌ لَمْ يَكُنْ بِالبالِ ... كَيدُ النِّساءِ مُوهِنُ الجِبالِ

لقد تذرّعت عائشة بدم عثمان ، واتّخذته وسيلة لإعلان التمرّد على حكومة الإمام ، وقد أغرت به البسطاء والسذّج ، وزجّت بهم للحرب على وصيّ النبيّ ﷺ .

---

(١) وفي رواية : « ونحن » .

(٢) ذو تدرؤ : أي ذو عزيمة ومنعة .
الشبا : المكروه .
الصعر : ميل في الوجه أو في أحد الشقّين ، والمراد أنّه يقيم الشيء الملتوي .

(٣) تاريخ الأمم والملوك : ٣ : ٤٦٩ . الجمل : ١٢٠ .

## الخطاب السياسي لعائشة في مكّة

وأعلنت عائشة العصيان على حكومة الإمام في خطابها السياسي الذي ألقته في مكّة قائلة: «أيّها الناس، إنّ الغوغاء من أهل الأمصار، وأهل المياه، وعبيد أهل المدينة اجتمعوا إن عاب الغوغاء على هذا المقتول بالأمس الأرب[١]».

وأضافت قائلة: «فسفكوا الدم الحرام، واستحلّوا البلد الحرام، واستحلّوا الشهر الحرام، والله لإصبع من عثمان خير من طباق الأرض أمثالهم...»[٢].

وقد حفل خطابها بالمغالطات السياسيّة، فقد ألقت تبعة قتل عثمان على الغوغاء، وهي وأعلام الصحابة هم الذين سفكوا دم عثمان، وأخوها محمّد هو أوّل من أجهز عليه.

وعلى أي حال، فإنّ خطاب عائشة كان أوّل عصيان على حكومة الإمام عليه السلام.

يقول الأُستاذ عبدالفتّاح عبدالمقصود: «وتفرّق الناس بعد حديثها هذا شيعاً، وكان أوْلى بهم أن تتوحّد كلمتهم في هذه المحنة الحازبة التي أصابت الإسلام، ففيم تدعوهم اليوم أُمّ المؤمنين؟ وإلى أيّة غاية تريد أن تسير بهم! لحرب الغوغاء؟ للزحف على المدينة وفيها الأمير الشرعي للبلاد؟»[٣].

وعلى أي حال، فقد أحدثت عائشة الفتن بين المسلمين، وألقتهم في شرّ عظيم.

## خديعة معاوية للزبير

ولعب معاوية دوراً خطيراً في هذه الأحداث، فقام بإغراء الزبير، فكتب إليه:

---

(١) **الأرب**: الخداع والحيلة.

(٢) تاريخ الأُمم والملوك: ٣: ٤٦٨.

(٣) الإمام عليّ بن أبي طالب: ٢: ٢٦٧.

« لعبد الله الزبير أمير المؤمنين من معاوية بن أبي سفيان.

سلام عليك.

أما بعد: فإنّي قد بايعت لك أهل الشام، فأجابوا واستوسقوا كما يستوسق الحلب، فدونك الكوفة والبصرة لا يسبقك إليهما ابن أبي طالب، فإنّه لا شيء بعد هذين المصرين.

وقد بايعت لطلحة بن عبيدالله بعدك، فأظهرا الطلب بدم عثمان، وادعوا الناس إلى ذلك، وليكن منكما الجدّ والتشمير، أظفركما الله، وخذّل مناوئكما ».

ولمّا وصلت الرسالة إلى الزبير لم يملك إهابه من الفرح، وخفّ إلى طلحة فأخبره بذلك ولم يشكّا في إخلاصه لهما، وتحفّزا لإعلان الثورة على حكم الإمام عليه السلام[1].

وعلى أي حال، فقد أسرعا صوب الإمام فقالا له: هل تدري على ما بايعناك يا أمير المؤمنين؟

فرمقهما الإمام بطرفه وقال لهما: **نَعَمْ، عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَعَلى ما بايَعْتُمْ عَلَيْهِ أَبا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمانَ.**

- لا، ولكن بايعناك على أنّا شريكاك في الأمر.

إنّ بيعتهما للإمام عليه السلام كانت مشفوعة بالدوافع الماديّة، إنّهما يريدان السلطة والظفر بخيرات البلاد، وهذا المنطق بعيد كلّ البعد عن سيرة الإمام عليه السلام التي تحكي سيرة الأنبياء.

وردّ عليهما الإمام قائلاً: **لَا، وَلكِنَّكُما شَريكانِ في الْقَوْلِ وَالْإِسْتِقامَةِ وَالْعَوْنِ عَلَى الْعَجْزِ وَالْأَوْدِ**[2].

---

(١) شرح نهج البلاغة: ١: ٢٣١.

(٢) الإمامة والسياسة: ٥١. والأود: العوج.

ولمّا استبان لهما أنّ الإمام لا يولّيهما شيئاً أعلنا التمرّد ، فقال الزبير : هذا جزاؤنا من عليّ ، قمنا له في أمر عثمان حتّى أثبتنا عليه الذنب وسبّبنا له القتل وهو جالس في بيته ، وكفي الأمر ، فلمّا نال ما أراد جعل دوننا غيرنا .

وقال طلحة : ما اللوم إلّا أنّا كنّا ثلاثة من أهل الشورى كرهه أحدنا .

وانتهى حديثهما إلى الإمام ، فاستدعى عبدالله بن عبّاس فقال له : **بَلَغَكَ قَوْلُ الرَّجُلَيْنِ ؟**

- نعم ، أرى أنّهما أحبّا الولاية ، فولّ البصرة الزبير ، وولّ طلحة الكوفة .

وفنّد الإمام رأي ابن عبّاس قائلاً : **وَيْحَكَ ! إِنَّ الْعِراقَيْنِ بِهِما الرِّجالُ وَالْأَمْوالُ ، وَمَتىٰ تَمَلَّكا رِقابَ النّاسِ يَسْتَميلا السَّفيهَ بِالطَّمَعِ ، وَيَضْرِبا الضَّعيفَ بِالْبَلاءِ ، وَيَقْوَيا عَلَى الْقَوِيِّ بِالسُّلْطانِ ، وَلَوْ كُنْتُ مُسْتَعْمِلاً أَحَداً لِضُرِّهِ وَنَفْعِهِ لَاسْتَعْمَلْتُ مُعاوِيَةَ عَلَى الشّامِ ، وَلَوْلا ما ظَهَرَ لي مِنْ حِرْصِهِما عَلَى الْوِلايَةِ لَكانَ لي فيهِما رَأْيٌ »**[1] .

وقد حلّلنا أبعاد كلام الإمام مع ابن عبّاس في كتابنا ( حياة الإمام الحسن بن عليّ عليه السلام ) .

وعلى أي حال ، فلمّا استبان لطلحة والزبير ضياع أملهما انطلقا إلى الإمام طالبين منه السماح بالخروج من المدينة قائلين : ائذن لنا يا أمير المؤمنين بالخروج .

- **إلىٰ أَيْن ؟**

- نريد العمرة .

وعرف الإمام خفايا نفسيهما فقال لهما : **وَاللهِ ما الْعُمْرَةَ تُريدانِ !! بَلِ الْغَدْرَةَ وَنَكْثَ الْبَيْعَةِ !**[2]

---

(١) الإمامة والسياسة : ١ : ٥٢ .

(٢) الثقات : ٢ : ٢٧٧ .

وأقسما بالأيمان المغلّظة أنّهما لا يخلعان البيعة، وأنّهما يريدان العمرة، وهما يعلمان أنّ قسمهما كذب.

والتفت الإمام لهما وقال: **أَعِيدا الْبَيْعَةَ لي ثانِيَةً**[١].

ففعلا دون تردّد، ومضيا منهزمين إلى مكّة، والتحقا بعائشة ليكونا جناحين لها في العصيان على حكم الإمام.

## الزحف لاحتلال البصرة

وأجمعت القيادة العسكريّة التي تضمّ عائشة وطلحة والزبير على احتلال البصرة لأن بها أتباعاً لهم ليجعلوها قاعدة لهم للإطاحة بحكومة الإمام، ونادى المنادي في مكّة: أيّها الناس، إنّ أُمّ المؤمنين وطلحة والزبير شاخصون إلى البصرة، فمن كان يريد إعزاز الإسلام، وقتال المحلّين، والطلب بثأر عثمان، ولم يكن عنده مركب ولا جهاز فهذا جهازه، وهذه نفقته»[٢].

وزوّد الأمويّون الجند بالأموال والعتاد وأعان يعلى بن أُميّة والي عثمان على اليمن بأربعمائة ألف، وحمل سبعين رجلاً، وأُعطيت قيادة الجيش لعائشة، فاعتلت جملها المسمّى بعسكر، وقد احتفّ بها الأمويّون وسائر القوى المنحطّة التي بغت على الإسلام.

ولمّا انتهت عائشة بجيشها إلى ذي قار التقى بها سعيد بن العاص، فقال لها: أين تريدين يا أُمّ المؤمنين؟

- البصرة.
- وما تصنعين بها؟

---

(١) شرح نهج البلاغة: ١: ١٣٢.

(٢) تاريخ الأُمم والملوك: ٣: ٤٧٠.

- أطلب بدم عثمان.

فضحك ساخراً، وقال لها: هؤلاء قتلة عثمان يا أُمّ المؤمنين. وعنى بذلك طلحة والزبير وغيرهما.

وأزاحت عائشة بوجهها عنه، وانصرف إلى مروان فقال له: وأنت أيضاً تريد البصرة.

- نعم.
- ما تريد؟
- أطلب بدم عثمان.
- فهؤلاء قتلة عثمان معك -وأشار إلى طلحة والزبير-[1]؟

وانطلقوا جميعاً نحو البصرة مصمّمين على البغي والعدوان.

## ماء الحوأب

وانطلق جيش عائشة نحو البصرة، فلمّا اجتازت مكاناً يقال له الحوأب تلقّتها كلاب الحوأب بهرير وعواء، فقالت لمحمّد بن طلحة[2]: أي ماء هذا؟

---

(١) الإمامة والسياسة: ١: ٦٣.

(٢) **محمّد بن طلحة القرشي التيمي:**

ولد في حياة النبيّ صلى الله عليه وآله، وهو الذي سمّاه محمّداً، وكنّاه بأبي القاسم، قتل يوم الجمل، وكان هواه مع عليّ، ومرّ به الإمام بعد مقتله، فقال: «**هٰذا الَّذي قَتَلَهُ بِرُّهُ بِأَبِيهِ، أَمَرَهُ أَبوهُ أَنْ يَتَقَدَّمَ لِلْقِتالِ فَتَقَدَّمَ**»، ونثل درعه بين رجليه وقام عليها، وجعل كلّما مرّ عليه رجل قال له: نشدتك بحاميم، فشدّ عليه رجل فقتله وأنشد يقول:

وَأَشْعَثِ قَوّامٍ بِآياتِ رَبِّهِ ... قَليلِ الأَذى فيما تَرى العينُ مُسلِمِ
هَتَكْتُ لَهُ بِالرُّمْحِ جَيْبَ قَميصِهِ ... فَخَرَّ صَريعاً لِليَدَينِ وَلِلفَمِ
عَلىٰ غَيرِ شَيْءٍ غَيرِ أَنْ لَيسَ تابِعاً ... عَلِيّاً وَمَنْ لا يَتبَعِ الحَقَّ يَنْدَمِ «

- ماء الحوأب.

فذعرت، وقالت بندم وأسى: ما أراني إلّا راجعة!

- لِمَ يا أُمّ المؤمنين؟

- سمعت رسول الله يقول لنسائه: **كَأَنّي بِإِحْداكُنَّ قَدْ نَبَحَتْها كِلابُ الْحَوْأَبِ**[1]، **وَإِيّاكِ أَنْ تَكوني أَنْتِ يا حُمَيْراءُ.**

فقال لها محمّد: تقدّمي ـ يرحمك الله ـ ودعي هذا القول.

ولم تقنع عائشة، وأصرّت على الانسحاب، فعلم طلحة والزبير ذلك فبادرا نحوها وهما يلهثان لأنّ انسحابها عن ساحة الحرب يجرّ لهما الفشل والهزيمة، وتكلّما معها فأبت وأصرّت على موقفها، وجاءوا لها بشهود اشتروا ضمائرهم فشهدوا أنّ هذا الماء ليس ماء الحوأب، وهي أوّل شهادة زور تقام في الإسلام[2].

وقنعت عائشة بهذه الشهادة الكاذبة، وسارت معهم لمحاربة وصيّ رسول الله، وباب مدينة علمه، وشقّ كلمة المسلمين.

## في ربوع البصرة

وسارت قوّات عائشة تطوي البيداء، حتّى أشرفت على البصرة فأرسل واليها

---

« يُذَكِّرُني حاميمَ وَالرُّمحُ شاجِرٌ فَهَلّا تَلا حاميمَ قَبلَ التَّقَدُّمِ

يقال: قتله كعب بن مدلج، وقيل: معاوية بن شدّاد، وقيل غيرهما. الاستيعاب: ٣: ٣٤٩.

(١) روى ابن عبّاس عن رسول الله ﷺ أنّه قال يوماً لنسائه وهنّ جميعاً عنده: **أَيَّتُكُنَّ صاحِبَةُ الْجَمَلِ الأَدَبِّ، تَنْبَحُها كِلابُ الْحَوْأَبِ، يُقْتَلُ عَنْ يَمينِها وَشِمالِها قَتْلىٰ كَثيرَةٌ، كُلُّهُمْ في النّارِ، وَتَنْجو بَعْدَ ما كادَتْ.** شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد: ٩: ٣١١، وهذا الحديث من أعلام النبوّة ومن إخباره بالمغيّبات.

(٢) مروج الذهب: ٢: ٣٤٢. تاريخ اليعقوبي: ٢: ١٨١.

عثمان بن حنيف أبا الأسود الدؤلي لمقابلة عائشة يسألها عن قدومها إلى البصرة.

ولمّا التقى بها سألها قائلاً: ما أقدمك يا أُمّ المؤمنين ؟

- أطلب بدم عثمان.

- ليس في البصرة أحد من قتلة عثمان.

- صدقت، ولكنّهم مع عليّ بن أبي طالب بالمدينة، وجئت أستنهض أهل البصرة لقتاله. أنغضب لكم من سوط عثمان، ولا نغضب لعثمان من سيوفكم ؟!

فردّ عليها أبو الأسود بمنطقه الفيّاض وبالغ حجّته قائلاً: ما أنت من السوط والسيف ؟ إنّما أنت حبيسة رسول الله ﷺ، أمرك أن تقرّي في بيتك، وتتلي كتاب ربّك، وليس على النساء قتال، ولا لهنّ الطلب بالدماء، وانّ عليّاً لأوْلى منك وأمسّ رحماً.

ولم تذعن عائشة وترتدع عن موقفها أمام هذه الحجّة التي أدلى بها أبو الأسود وراحت مصرّة على موقفها قائلة: لست بمنصرفة حتّى أمضي لما أقدمت عليه، أفتظنّ يا أبا الأسود أنّ أحداً يقدم على قتالي ؟

فأجابها أبو الأسود بصراحة قائلاً: أما والله لتقاتلنّ قتالاً أهونه الشديد[1].

ثمّ تركها وانصرف صوب الزبير، فذكّره بمواقفه في السقيفة والشورى من ميوله للإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وانصاع لمقالته، إلّا أنّه طلب منه مواجهة طلحة، فمضى إليه مسرعاً وعرض عليه الأمر، فوجده مصرّاً على بغيه وتمرّده، ولم يجدِ معه النصح.

---

(١) شرح نهج البلاغة: ٦: ٢٢٦.

## احتلال البصرة

وجرت هدنة مؤقّتة بين السلطة المحلّيّة في البصرة وبين القيادة العسكريّة لجيش عائشة، إلّا أنّها لم تلتزم بها، فقد قامت باحتلال البصرة ونهب الأموال التي في الخزينة المركزيّة، واعتقال والي البصرة عثمان بن حنيف وإيداعه في السجن، وقد أتينا على ذكر الأحداث التي جرت في فترة احتلال البصرة في كتابنا (حياة الإمام الحسن بن عليّ عليه السلام).

## زحف الإمام للقضاء على تمرّد عائشة

وزحف الإمام بجيشه للقضاء على هذا الجيب المتمرّد، وقد انتهى إلى مكان يقع قريباً من البصرة أقام فيه الإمام وقد بادر إلى الصلاة، وقد أحاطت به الهموم فأخذ يبكي وهو يتضرّع إلى الله تعالى أن يحقن دماء المسلمين ويجنّبه ويلات الحرب، ويجمع كافّة المسلمين على الحقّ.

وأوفد الإمام رسل السلام إلى عائشة، وقد ضمّ الوفد عبدالله بن عبّاس، وزيد بن صوحان، فلمّا التقيا بها ذكّراها ما أمر الله تعالى به من القرار في بيتها، وحرمة دماء المسلمين، إلّا أنّها أعارت نصيحتهما أُذناً صمّاء، وأصرّت على البغي والعدوان.

## الحرب العامّة

ولمّا يئس الإمام أمير المؤمنين عليه السلام من السلم وحقن الدماء عبّأ جيشه تعبئة عامّة، وكذلك فعل جيش عائشة وقد حملوها على جملها عسكر، واستطاب جيشها الموت، وقدّموا لها المزيد من الضحايا.

واستمرّ القتال بين الفريقين يريد أصحاب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أن يحموا

وصيّ رسول الله ﷺ، ويريد أصحاب عائشة أن يحموا أُمّهم، وقد كثر القتلى بين الطرفين، ورأى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنّ الحرب لا تنتهي ما دام الجمل موجوداً، فنادى في أصحابه: **اعْقُروا الْجَمَلَ، فَإِنَّ في بَقائِهِ فَناءَ الْعَرَبِ**[١].

وحمل عليه الإمام الحسن عليه السلام فقطع يده اليمنى، فهوى إلى الأرض، وفرّ حماة الجمل، فقد تحطّم صنمهم الذي قدّموا له آلاف الضحايا، وأمر الإمام عليه السلام بحرقه وتذرية رماده في الهواء، فصنع به ذلك، فقال: **لَعَنَهُ اللهُ مِنْ دابَّةٍ، فَما أَشْبَهَهُ بِعِجْلِ بَنِي إِسْرائِيلَ**[٢].

وبذلك وضعت الحرب أوزارها، وحملت عائشة إلى بيت صفيّة بنت الحارث، ثمّ سرّحها تسريحاً جميلاً إلى المدينة لتقرّ في بيتها حسبما أمرها الله تعالى، ورحلت عائشة من البصرة وقد أشاعت في بيوتها الثكل والحزن والحِداد. وقد أعقبت حرب الجمل الفتن بين المسلمين، وأخّرت الإسلام من الانتشار في ربوع العالم.

يقول الفيلسوف ولز: «إنّ الإسلام كاد أن يفتح العالم أجمع لو بقي سائراً سيرته الأُولى، لو لم تنشب في وسطه من أوّل الأمر الحرب الداخليّة، فقد كان همّ عائشة أن تقهر عليّاً قبل كلّ شيء»[٣].

وقد عرضنا بصورة شاملة إلى متارك حرب الجمل في كتابنا (حياة الإمام الحسين ابن عليّ عليهما السلام).

## تمرّد معاوية

ولم ينته الإمام من حرب الجمل حتّى وافته محنة أشدّ بلاءً وأعظم خطراً،

---

(١) شرح نهج البلاغة: ١: ٢٥٢. بحار الأنوار: ٣٢: ١٨٢.

(٢) شرح نهج البلاغة: ١: ١٦٦.

(٣) شيخ المضيرة أبو هريرة: ١٧٣.

وهي تمرّد معاوية ، وإعلانه العصيان المسلّح على حكومة الإمام ، وقد فتحت عائشة أبواب التمرّد على الإمام ، ومهّدت له الطريق ، متّخذة دم عثمان الذي أفتت بكفره وقتله وسيلة للمطالبة بدمه وسلك معاوية هذا المسلك ، وسار على نهجه .

ونعرض إلى بعض الأحداث التي رافقت معاوية في حربه للإمام عليه السلام مستخدماً جميع الوسائل التي حرّمها الإسلام من الكذب والخداع والخروج على القيم الإسلاميّة ، وذلك لإنشاء دولة علمانيّة تحت سلطان الأمويّين ، وفيما يلي ذلك :

## استدعاء معاوية لابن العاص

رأى معاوية أنّه لا يستطيع مقاومة الإمام عليه السلام وحده من دون انضمام ابن العاص داهية العرب إليه في وضع المخطّطات التي تؤدّي إلى نجاح سياسته ، فبعث إليه طالباً منه حضوره .

ولمّا انتهى الطلب إليه عرف قصد معاوية في محاربة الإمام عليه السلام ، وأنفق ليله ساهراً يخيّر نفسه بين الالتحاق بمعاوية وبين رفض ذلك ، وأخيراً استجابت نفسه إلى الأطماع ، ومحاربة وصيّ رسول الله ، فارتحل إلى الشام .

ولمّا بلغها جعل يبكي رافعاً صوته قائلاً : « واعثماناه ، أنعى الحياء والدين »[1] .

وقد أظهر الطاعة والإخلاص لمعاوية قبل أن يلتقي به ، ولمّا مثل عنده عرض عليه معاوية الوسائل التي يسلكها للتغلّب على الإمام في حربه ، فقال له ابن العاص : أمّا عليّ ، فوالله لا تساوي العرب بينك وبينه في شيء من الأشياء ، وإنّ له في الحرب لحظّاً ما هو لأحد من قريش إلّا أن تظلمه .

وأيّد معاوية حديثه ، وقال له : صدقت ، ولكنّا نقاتله على ما في أيدينا ، ونلزمه قتلة عثمان !

---

(١) الكامل في التاريخ : ٣ : ١٢٩ .

إنّ معاوية إنّما أعلن تمرّده على حكومة الإمام ، لأنّه سوف ينتزع ما في أيديهم من الملك والثراء العريض .

واندفع ابن العاص يعرض وهن المطالبة بدم عثمان قائلاً: وا سوأتاه إنّ أحقّ الناس أن لا يذكر عثمان !

- ولِمَ ويحك ! ؟

- أمّا أنت فخذلته ومعك أهل الشام حتّى استغاث بيزيد بن أسد البجلي فسار إليه ، وأمّا أنا فتركته عياناً وهربت إلى فلسطين ![1]

وأعرض معاوية عن كلامه لأنّه لم يجد وسيلة يسلك بها سوى المطالبة بدم عثمان .

وراح معاوية يستجوبه قائلاً: أتحبّني يا عمرو ؟

- لماذا ؟ للآخرة ، فوالله ما معك آخرة ، أم الدنيا ، فوالله لا كان حتّى أكون شريكك فيها ! !

- أنت شريكي فيها .

- فاكتب لي مصر وكورها .

- لك ما تريد .

وكتب له ولاية مصر ، وكتب له في آخر الوثيقة : وعلى عمرو السمع والطاعة .

فقال له عمرو : إنّ السمع والطاعة لا ينقصان من الشرط شيئاً .

- نعم[2] .

وبذلك فقد شرى معاوية دين ابن العاص وذمّته ، وسمع ابن العاص ينشد

---

(١) تاريخ اليعقوبي : ٢ : ١٦٢ .

(٢) العقد الفريد : ٣ : ١١٣ .

هذه الأبيات:

مُعاوِيَ لَا أُعطيكَ ديني وَلَمْ أَنَلْ ... بِذلِكَ دُنْياً فَانظُرَنْ كَيفَ تَصنَعُ
فَإِنْ تُعطِني مِصْراً فَأَرْبِحْ بِصَفقَةٍ ... أَخَذتَ بِها شَيخاً يَضُرُّ وَيَنفَعُ[1]
وَما الدّينُ وَالدُّنْيا سَواءٌ وَإِنَّني ... لآخُذُ ما تُعطي وَرَأْسي مُقَنَّعُ
وَلكِنَّني أُعطيكَ هٰذا وَإِنَّني ... لَأَخْدَعُ نَفْسي وَالْمُخادِعُ يخدَعُ
أَأُعْطِيكَ أَمراً فيهِ لِلمُلكِ قُوَّةٌ ... وَأَبْقى لَهُ إِنْ زَلَّتِ النَّعلُ أَصْرَعُ
وَتَمنَعُني مِصْراً وَلَيسَتْ بِرَغْبَةٍ[2] ... وَان تَرى القَنوعَ يَوْماً لَمُولَعُ[3]

وهكذا ابتلي المسلمون بهؤلاء الخونة الذين أفسدوا عقائد المسلمين، وأخلدوا لهم المصاعب والفتن بأطماعهم وخيانتهم للإسلام.

## رسالة الإمام عليه السلام لابن العاص

ولمّا علم الإمام عليه السلام بالتحاق ابن العاص بمعاوية، وبيع دينه عليه كتب إليه هذه الرسالة، وهذا نصّها:

**فَإِنَّكَ قَدْ جَعَلْتَ دِينَكَ تَبَعاً لِدُنْيَا امْرِىءٍ ظاهِرٍ غَيُّهُ، مَهْتُوكٍ سِتْرُهُ، يَشِينُ الْكَرِيمَ بِمَجْلِسِهِ، وَيُسَفِّهُ الْحَلِيمَ بِخِلْطَتِهِ، فَاتَّبَعْتَ أَثَرَهُ، وَطَلَبْتَ فَضْلَهُ، اتِّبَاعَ الْكَلْبِ لِلضِّرْغامِ يَلُوذُ بِمَخالِبِهِ، وَيَنْتَظِرُ ما يُلْقَىٰ إِلَيْهِ مِنْ فَضْلِ**

---

(١) البيتان يوجدان في عيون الأخبار لابن قتيبة: ١: ١٨١.

(٢) **الرغبة** ـ بكسر المهملة وفتحها ـ: العطاء الكثير.

(٣) تاريخ اليعقوبي: ٢: ١٨٦.

وفي البيت الأخير اضطراب، ورواه ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة: ٢: ٦٦ بما يلي: «وَإِنّي بِذا المَمْنوعِ قِدْماً لَمُولَعُ».

فَرِيسَتِهِ ، فَأَذْهَبْتَ دُنْيَاكَ وَآخِرَتَكَ! وَلَوْ بِالْحَقِّ أَخَذْتَ أَدْرَكْتَ ما طَلَبْتَ. فَإِنْ يُمَكِّنِّي اللهُ مِنْكَ وَمِنِ ابْنِ أَبِي سُفْيانَ أَجْزِكُمَا بِما قَدَّمْتُما ، وَإِنْ تُعْجِزاني وَتَبْقَيا فَما أَمامَكُما شَرٌّ لَكُما.

وَالسَّلَامُ[١]

حكت رسالة الإمام عليه السلام لابن العاص شجبه وتنديده على ما قدم عليه من الانضمام لمعاوية ، وأنّه باع دينه بدنيا معاوية.

وعرض الإمام عليه السلام في كلام له زيف ما نسبه إليه ابن العاص من بعض الصفات التي لا تليق بشأنه ،كما ذكر بيعته لمعاوية وأنّها قائمة على الباطل. قال عليه السلام :

« عَجَباً لِابْنِ النَّابِغَةِ! يَزْعُمُ لِأَهْلِ الشَّامِ أَنَّ فِيَّ دُعابَةً ، وَأَنِّي امْرُؤٌ تِلْعابَةٌ أُعافِسُ وَأُمارِسُ! لَقَدْ قالَ باطِلاً ، وَنَطَقَ آثِماً.

أَما ـ وَشَرُّ الْقَوْلِ الْكَذِبُ ـ إِنَّهُ لَيَقُولُ فَيَكْذِبُ ، وَيَعِدُ فَيُخْلِفُ ، وَيُسْأَلُ فَيَبْخَلُ ، وَيَسْأَلُ فَيُلْحِفُ ، وَيَخُونُ الْعَهْدَ ، وَيَقْطَعُ الْإِلَّ؛ فَإِذا كانَ عِنْدَ الْحَرْبِ فَأَيُّ زاجِرٍ وَآمِرٍ هُوَ! ما لَمْ تَأْخُذِ السُّيُوفُ مَآخِذَهَا ، فَإِذا كَانَ ذٰلِكَ كَانَ أَكْبَرُ مَكِيدَتِهِ أَنْ يَمْنَحَ الْقِرْمَ سُبَّتَهُ ».

أَما وَاللهِ إِنِّي لَيَمْنَعُنِي مِنَ اللَّعِبِ ذِكْرُ الْمَوْتِ ، وَإِنَّهُ لَيَمْنَعُهُ مِنْ قَوْلِ الْحَقِّ نِسْيانُ الْآخِرَةِ ، إِنَّهُ لَمْ يُبايِعْ مُعاوِيَةَ حَتَّىٰ شَرَطَ أَنْ يُؤْتِيَهُ أَتِيَّةً ، وَيَرْضَخَ لَهُ عَلَىٰ تَرْكِ الدِّينِ رَضِيخَةً »[٢].

---

(١) شرح نهج البلاغة: ١٦: ١٦٠.

(٢) نهج البلاغة: ١: ١٤٠.

حتى هذا المقطع براءة الإمام عليه السلام ممّا اتّهمه به ابن العاص، وأنه اتّصف بعكسها، كما عرض إلى الصفات الشريرة التي هي من أبرز صفات ابن العاص.

## إيفاد جرير

وبادر الإمام عليه السلام فأوفد جرير بن عبدالله البجلي إلى معاوية يدعوه إلى بيعته، والدخول فيما دخل فيه المسلمون حقناً للدماء، وقد زوّده بهذه الرسالة:

«أَمَّا بَعْدُ.. فَإِنَّ بَيْعَتِي بِالْمَدِينَةِ لَزِمَتْكَ وَأَنْتَ بِالشَّامِ؛ لِأَنَّهُ بَايَعَنِي الْقَوْمُ الَّذِينَ بَايَعُوا أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمانَ عَلىٰ ما بُويِعُوا عَلَيْهِ، فَلَمْ يَكُنْ لِلشَّاهِدِ أَنْ يَخْتارَ، وَلَا لِلْغائِبِ أَنْ يَرُدَّ، وَإِنَّما الشُّورىٰ لِلْمُهاجِرِينَ وَالْأَنْصارِ، إِذَا اجْتَمَعُوا عَلىٰ رَجُلٍ فَسَمَّوْهُ إِماماً كانَ ذٰلِكَ لِلّٰهِ رِضاً، وَإِنْ خَرَجَ مِنْ أَمْرِهِمْ خارِجٌ بِطَعْنٍ أَوْ رَغْبَةً رَدُّوهُ إِلىٰ ما خَرَجَ مِنْهُ، فَإِنْ أَبىٰ قاتَلُوهُ عَلَى اتِّباعِ غَيْرِ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ وَوَلَّاهُ اللّٰهُ ما تَوَلَّى، وَيُصْلِيهِ جَهَنَّمَ وَساءَتْ مَصِيراً.

وَإِنَّ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ بايَعانِي ثُمَّ نَقَضا بَيْعَتِي، فَكانَ نَقْضُهُما كَرِدَّتِهِما، فَجاهَدْتُهُما عَلىٰ ذٰلِكَ حَتَّىٰ جاءَ الْحَقُّ، وَظَهَرَ أَمْرُ اللّٰهِ وَهُمْ كارِهُونَ.

فادْخُلْ فِيما دَخَلَ فِيهِ الْمُسْلِمُونَ، فَإِنَّ أَحَبَّ الْأُمُورِ إِلَيَّ فِيكَ الْعافِيَةُ، إِلَّا أَنْ تَتَعَرَّضَ لِلْبَلَاءِ، فَإِنْ تَعَرَّضْتَ لَهُ قاتَلْتُكَ وَاسْتَعَنْتُ بِاللّٰهِ عَلَيْكَ، وَقَدْ أَكْثَرْتَ فِي قَتَلَةِ عُثْمانَ، فادْخُلْ فِيما دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ، ثُمَّ حاكِمِ الْقَوْمَ إِلَيَّ أَحْمِلْكَ وَإِيَّاهُمْ عَلىٰ كِتابِ اللّٰهِ، فَأَمَّا تِلْكَ الَّتِي تُرِيدُها فَخُدْعَةُ الصَّبِيِّ عَنِ اللَّبَنِ.

وَلَعَمْرِي لَئِنْ نَظَرْتَ بِعَقْلِكَ دُونَ هَوَاكَ لَتَجِدَنِّي أَبْرَأَ قُرَيْشٍ مِنْ دَمِ

عُـثْمانَ. وَاعْـلَمْ أَنَّكَ مِـنَ الطُّـلَقاءِ[١] الّـذينَ لَا تَـحِلُّ لَـهُمُ الْـخِلافَةُ، وَلَا تُعْرَضُ فيهِمُ الشُّورىٰ، وَقَدْ أَرْسَلْتُ إِلَيْكَ جَرِيرَ بْنَ عَبْدِاللهِ الْبَجَلِيَّ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْإِيمانِ وَالْهِجْرَةِ، فَبايِعْ، وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ[٢].

حكت هذه الرسالة دعوة الإمام عليه السلام إلى الحقّ، وحرصه البالغ على جمع كلمة المسلمين ووحدتهم.

وطوى جرير البيداء حتّى انتهى إلى معاوية، وعرض عليه رسالة الإمام، وقال له: «أمّا بعد يا معاوية، فإنّه قد اجتمع لابن عمّك أهل الحرمين[٣]، وأهل المصرين[٤]، وأهل الحجاز، وأهل اليمن، وأهل العروض، وعمان، وأهل البحرين، واليمامة، فلم يبق إلّا أهل هذه الحصون التي أنت فيها، لو سال عليها سيل من أوديته غرّقها، وقد أتيتك أدعوك إلى ما يرشدك ويهديك إلى مبايعة الرجل»[٥].

وبقي معاوية مبهوراً لم يفه بشيء إلّا أنّه بقي يطاوله ويسرف في مطاولته، وجمع معاوية خلال تلك المدّة وجوه أهل الشام الذين أنعم عليهم، واشترى ذممهم، فجعل يستشيرهم في مناجزة الإمام عليه السلام، والمطالبة بدم عثمان، فأظهروا له الرغبة الملحّة في الطلب بدم عثمان، وإعلان التمرّد على حكومة الإمام عليه السلام.

وبعث الإمام عليه السلام له رسالة أُخرى يستحثّه على البيعة قبل وصول سفيره جرير

---

(١) **الطلقاء**: جمع طليق، وهو الأسير الذي أُطلق سراحه، ويراد بهم في المقام الأُسراء ﴿ الذين خلّى عنهم رسول الله صلى الله عليه وآله يوم فتح مكّة ولم يسترقّهم.

(٢) العقد الفريد: ٢: ٢٣٣. الإمامة والسياسة: ١: ٧١. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٣: ٧٥ و ٧٦. وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٣٤.

(٣) **الحرمان**: مكّة والمدينة.

(٤) **المِصران**: البصرة والكوفة.

(٥) وقعة صفّين: ٣٣.

إليه ، جاء فيها :

« مِنْ عَبْدِ اللهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَىٰ مُعاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيانَ :
أَمّا بَعْدُ ، فَقَدْ عَلِمْتَ إِعْذارِي فِيكُمْ ، وَإِعْرَاضِي عَنْكُمْ ، حَتَّىٰ كانَ ما لَا بُدَّ مِنْهُ وَلَا دَفْعَ لَهُ ؛ وَالْحَدِيثُ طَوِيلٌ ، وَالْكَلَامُ كَثِيرٌ ، وَقَدْ أَدْبَرَ ما أَدْبَرَ ، وَأَقْبَلَ ما أَقْبَلَ . فَبايِعْ مَنْ قِبَلَكَ ، وَأَقْبِلْ إِلَيَّ في وَفْدٍ مِنْ أَصْحابِكَ .
وَالسَّلَامُ »[1]

ودعا معاوية سفير الإمام عليه السلام ، وأرسل معه رسالة إلى الإمام جاء فيها :

« من معاوية بن صخر إلى عليّ بن أبي طالب :

أمّا بعد . . فلعَمْرِي لو بايعك القوم الذين بايعوك ، وأنت بريءٌ من دم عثمان ، لكنتَ كأبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم أجمعين ، ولكنّك أغْرَيْتَ بدم عثمان المهاجرين ، وخذّلت عنه الأنصار ، فأطاعك الجاهلُ ، وقَوِي بك الضعيفُ ، وقد أبى أهل الشام إلّا قِتالَكَ حتّى تدفع إليهم قَتَلَةَ عثمان ، فإن فعلت كانت شُورى بين المسلمين ، وإنّما كان الحجازيون هم الحكّام على الناس والحقُّ فيهم ، فلمّا فارقوه كان الحكّام على الناس أهل الشام .

ولعمري ما حُجَّتُك عليَّ كحجّتك على طلحة والزبير لأنّهما بايعاك ولم أُبايعك ، وما حجّتك على أهل الشام كحجّتك على أهل البصرة لأنّ أهل البصرة أطاعوك ، ولم يُطِعْك أهلُ الشام ، فأمّا شرفُك في الإسلام وقَرابتُك من رسول الله وموضعك من قريش فلستُ أدفعه . . . »[2] .

إنّ الخطّ السياسي الذي تبنّاه معاوية قائم على الكذب والغدر والخيانة ، وقد

---

(١) نهج البلاغة : ٣ : ١٤٩ .

(٢) الإمامة والسياسة : ١ : ٩١ .

تغلّب به ؛ لأنّ المجتمع في دنيا الأباطيل التي لا ظلّ فيها للحقّ .

## أهمّ الرسائل المتبادلة بين الإمام عليه السلام ومعاوية

تبودلت بين الإمام عليه السلام ومعاوية جمهرة من الرسائل ، كان من أهمّها رسالة معاوية التي ذكر فيها موقف الإمام من الشيخين اللذين دفعاه عن حقّه ، وقد استفزّه فيها ، وكان يأمل من الإمام أن ينال منهما ، فيتّخذ ذلك وسيلة للطعن بالإمام عليه السلام ويغري به الغوغاء من أهل الشام ، وبعض المغفّلين من أهل العراق ، الذين يعتقدون بإمامة الشيخين .

وقد صرّح بذلك أبو جعفر النقيب حينما سأله ابن أبي الحديد عن رسالة معاوية للإمام عليه السلام ، فأجابه بذلك .

## كتاب معاوية

أرسل معاوية إلى الإمام هذه الرسالة مع أبي أُمامة الباهلي ، وهذه بعض فصولها :

« من عبد الله معاوية بن أبي سفيان إلى عليّ بن أبي طالب .

أمّا بعد .. فإنّ الله تعالى جدّه اصطفى محمّداً عليه الصلاة والسلام لرسالته ، واختصّه بوحيه ، وتأدية شريعته ، فأنقذ به من العماية[1] وهدى به من الغواية ، ثمّ قبضه إليه رشيداً حميداً ، قد بلغ الشرع ، ومحق الشرك ، وأخمد نار الإفك ، فأحسن الله جزاءه ، وضاعف عليه نعمه وآلاءَه[2] .

ثمّ إنّ الله سبحانه اختصّ محمّداً عليه الصلاة والسلام بأصحاب أيّدوه ونصروه ،

---

(١) **العماية** : الغواية والإفك .

(٢) **الآلاء** : النعم .

وكانوا كما قال الله سبحانه لهم: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾[١] فكان أفضلهم مرتبة، وأعلاهم عند الله والمسلمين منزلة الخليفة الأوّل الذي جمع الكلمة، ولمّ الدعوة، وقاتل أهل الردّة، ثمّ الخليفة الثاني الذي فتح الفتوح، ومصّر الأمصار، ثمّ الخليفة الثالث المظلوم الذي نشر الملّة، وطبق الآفاق بالكلمة الحنيفيّة.

فلمّا استوثق الإسلام وضرب بجرانه[٢]، عدوت عليه، فبغيت له الغوائل، ونصبت له المكايد، وضربت له بَطْنَ الأَمْرِ وَظَهْرَه، ودسست عليه، وأغريت به، وقعدت حيث استنصرك عن نصره، وسألك أن تدركه قبل أن يمزق، فما أدركته، وما يوم المسلمين منك بواحد.

لقد حسدت أبا بكر والتويت عليه، ورمت إفساد أمره، وقعدت في بيتك، واستغويت عصابة من الناس حتّى تأخّروا عن بيعته، ثمّ كرهت خلافة عمر وحسدته، واستطلت مدّته، وسررت بقتله، وأظهرت الشماتة بمصابه، حتّى أنّك حاولت قتل ولده[٣] لأنّه قتل قاتل أبيه.

ثمّ لم تكن أشدّ منك حسداً لابن عمّك عثمان، نشرت مقابحه، وطويت محاسنه، وطعنت في فقهه، ثمّ في دينه، ثمّ في سيرته، ثمّ في عقله، وأغريت به السفهاء من أصحابك وشيعتك، حتّى قتلوه بمحضر منك، لا تدفع عنه بلسان ولا يد.

وما من هؤلاء ـ يعني الخلفاء ـ إلّا بغيت عليه، وتلكّأت في بيعته حتى حملت

---

(١) الفتح ٤٧: ٢٩.

(٢) **جران البعير**: مقدّم عنقه، والمراد أنّ الإسلام استقام وتمّت له الأُمور.

(٣) أشار معاوية إلى عبيدالله بن عمر الذي قتل الهرمزان وابنته لأنّه من أصحاب أبي لؤلؤة الذي اغتال عمر، وقد عفا عنه عثمان وأقطعه أرضاً في الكوفة، ورام الإمام أن يقتصّ منه فمنعه عثمان، وقد ذكرنا تفصيل ذلك في البحوث السابقة.

إليه قهراً تساق بحزائم الاقتسار[١] كما يساق الفحل المخشوش، ثمّ نهضت الآن تطلب الخلافة وقتلة عثمان خلصاؤك، وسجراؤك[٢] والمحدقون بك، وتلك من أماني النفوس، وضلالات الأهواء.

فدع اللجاج والعبث جانباً، وادفع إلينا قتلة عثمان، وأعد الأمر شورى بين المسلمين، ليتّفقوا على من هو لله رضا، فلا بيعة لك في أعناقنا، ولا طاعة لك علينا، ولا عتبى لك عندنا، وليس لك ولأصحابك عندي إلّا السيف.

والذي لا إله إلّا هو! لأطلبن قتلة عثمان أينما كانوا وحيث كانوا حتى أقتلهم أو تلحق روحي بالله، فأمّا ما تزال تمنّ به من سابقتك وجهادك فإنّي وجدت الله سبحانه يقول: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[٣] ولو نظرت في حال نفسك لوجدتها أشدّ الأنفس امتناناً على الله بعملها، وإذا كان الامتنان على السائل يبطل أجر الصدقة، فالامتنان على الله يبطل أجر الجهاد، ويجعله كصفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلداً لا يقدرون على شيء ممّا كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرين»[٤].

وحفلت هذه الرسالة بالأكاذيب والمغالطات السياسيّة التي هي من سيرة معاوية، فقد اتّهم الإمام بالحسد للذين سبقوه من الخلفاء، ومقام الإمام أسمى وأعلى شأناً أن يتّهم أو يحسد أحداً، فإنّه وصيّ رسول الله صلى الله عليه وآله، وباب مدينة علمه، ومَن كان منه بمنزلة هارون من موسى عليه السلام.

---

(١) الاقتسار: القهر.

(٢) السجراء: الأصفياء والأخلّاء.

(٣) الحجرات ٤٩: ١٧.

(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٣: ٤٤٨.

## جواب الإمام عليه السلام

وأجاب الإمام عليه السلام عن جميع النقاط التي ذكرها معاوية. قال عليه السلام:

«أَمَّا بَعْدُ.. فَقَدْ أَتَانِي كِتَابُكَ تَذْكُرُ فِيهِ اصْطِفَاءَ اللهِ تَعَالَىٰ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله لِدِينِهِ، وَتَأْيِيدَهُ إِيَّاهُ بِمَنْ أَيَّدَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَلَقَدْ خَبَأَ لَنَا الدَّهْرُ مِنْكَ عَجَباً، إِذْ طَفِقْتَ تُخْبِرُنَا بِبَلَاءِ اللهِ[1] عِنْدَنَا، وَنِعْمَتِهِ عَلَيْنَا فِي نَبِيِّنَا، فَكُنْتَ فِي ذٰلِكَ كَنَاقِلِ التَّمْرِ إِلَىٰ هَجَرَ، أَوْ دَاعِي مُسَدِّدِهِ إِلَى النِّضَالِ. وَزَعَمْتَ أَنَّ أَفْضَلَ النَّاسِ فِي الْإِسْلَامِ فُلَانٌ وَفُلَانٌ[2]، فَذَكَرْتَ أَمْراً إِنْ تَمَّ اعْتَزَلَكَ كُلُّهُ، وَإِنْ نَقَصَ لَمْ يَلْحَقْكَ ثَلْمُهُ، وَمَا أَنْتَ وَالْفَاضِلُ وَالْمَفْضُولُ، وَالسَّائِسُ وَالْمَسُوسُ، وَمَا لِلطُّلَقَاءِ وَأَبْنَاءِ الطُّلَقَاءِ وَالتَّمْيِيزُ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ، وَتَرْتِيبُ دَرَجَاتِهِمْ، وَتَعْرِيفُ طَبَقَاتِهِمْ؟!

هَيْهَاتَ لَقَدْ حَنَّ قِدْحُ[3] لَيْسَ مِنْهَا، وَطَفِقَ يَحْكُمُ فِيهَا مَنْ عَلَيْهِ الْحُكْمُ لَهَا! أَلَا تَرْبَعُ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ عَلَى ظَلْعِكَ، وَتَعْرِفُ قُصُورَ ذَرْعِكَ، وَتَتَأَخَّرُ حَيْثُ أَخَّرَكَ الْقَدَرُ! فَمَا عَلَيْكَ غَلَبَةُ الْمَغْلُوبِ، وَلَا لَكَ ظَفَرُ الظَّافِرِ، وَإِنَّكَ لَذَهَّابٌ فِي التِّيهِ[4]، رَوَّاغٌ عَنِ الْقَصْدِ، أَلَا تَرَىٰ ـ غَيْرَ مُخْبِرٍ لَكَ، وَلٰكِنْ بِنِعْمَةِ اللهِ أُحَدِّثُ ـ أَنَّ قَوْماً اسْتُشْهِدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ تَعَالَىٰ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَلِكُلٍّ فَضْلٌ حَتَّىٰ إِذَا اسْتُشْهِدَ شَهِيدُنَا قِيلَ سَيِّدُ

---

(١) البلاء: النعمة.

(٢) يعني بفلان وفلان أبا بكر وعمر.

(٣) حنّ: هو الصوت. القدح: أحد أقداح الميسر.

(٤) التيه: الضلال والكبر.

الشُّهَداءِ، وَخَصَّهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِسَبْعِينَ تَكْبِيرَةً عِنْدَ صَلَاتِهِ عَلَيْهِ[١]!

أَوَلَا تَرَىٰ أَنَّ قَوْماً قُطِّعَتْ أَيْدِيهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلِكُلٍّ فَضْلٌ حَتَّىٰ إِذَا فُعِلَ بِوَاحِدِنَا مَا فُعِلَ بِوَاحِدِهِمْ، قِيلَ الطَّيَّارُ فِي الْجَنَّةِ[٢] وَذُو الْجَنَاحَيْنِ! وَلَوْلَا مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ مِنْ تَزْكِيَةِ الْمَرْءِ نَفْسَهُ، لَذَكَرَ ذَاكِرٌ[٣] فَضَائِلَ جَمَّةً تَعْرِفُهَا قُلُوبُ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا تَمُجُّهَا آذَانُ السَّامِعِينَ.

فَدَعْ عَنْكَ مَنْ مَالَتْ بِهِ الرَّمِيَّةُ، فَإِنَّا صَنَائِعُ رَبِّنَا، وَالنَّاسُ بَعْدُ صَنَائِعُ لَنَا[٤] لَمْ يَمْنَعْنَا قَدِيمُ عِزِّنَا وَلَا عَادِيُّ طَوْلِنَا[٥] عَلَىٰ قَوْمِكَ أَنْ خَلَطْنَاكُمْ بِأَنْفُسِنَا؛ فَنَكَحْنَا وَأَنْكَحْنا، فِعْلَ الْأَكْفَاءِ، وَلَسْتُمْ هُنَاكَ! وَأَنَّىٰ يَكُونُ ذٰلِكَ كَذٰلِكَ[٦].

وَمِنَّا النَّبِيُّ وَمِنْكُمُ الْمُكَذِّبُ[٧]؟

وَمِنَّا أَسَدُ اللهِ[٨] وَمِنْكُمْ أَسَدُ الْأَحْلَافِ[٩]؟

---

(١) خصّ النبيّ ﷺ عمّه الشهيد حمزة بسبعين تكبيرة على جثمانه المقدّس.

(٢) هو الشهيد العظيم جعفر الطيّار.

(٣) يعني بذلك نفسه العظيمة التي هي مجمع الفضائل التي خلقها الله تعالى.

(٤) معنى هذه الكلمات أنّ الله تعالى اصطفى أهل البيت عليهم السلام بفضله فجعل النبوّة فيهم، ومنهم فاضت الهداية على الأُمم والشعوب.

(٥) **عادي طولنا**: أي قديم فضلنا.

(٦) **أنّى يكون ذلك كذلك**: أي كيف يكون شرفكم كشرفنا؟

(٧) المكذّب من بني أُميّة هو زعيم المنافقين ورأس الضلال أبو سفيان، وقيل: هو أبوجهل، وهو اشتباه فإنّه ليس من بني أُميّة وإنّما هو من بني مخزوم.

(٨) أسد الله هو الشهيد الخالد حمزة بن عبدالمطّلب عمّ رسول الله ﷺ.

(٩) **أسد الأحلاف**: هو عتبة بن ربيعة، ويعني به أنّه أسد الأجمة المعادية للإسلام.

وَمِنَّا سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ[١] وَمِنْكُمْ صِبْيَةُ النَّارِ[٢]،

وَمِنَّا خَيْرُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ[٣]، وَمِنْكُمْ حَمَّالَةُ الْحَطَبِ[٤]، فِي كَثِيرٍ مِمَّا لَنَا وَعَلَيْكُمْ!

فَإِسْلَامُنَا قَدْ سُمِعَ، وَجَاهِلِيَّتُكُمْ لَا تُدْفَعُ، وَكِتَابُ اللهِ يَجْمَعُ لَنَا مَا شَذَّ عَنَّا، وَهُوَ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ:

﴿ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللهِ ﴾[٥] وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[٦]، فَنَحْنُ مَرَّةً أَوْلَىٰ بِالْقَرَابَةِ، وَتَارَةً أَوْلَىٰ بِالطَّاعَةِ. وَلَمَّا احْتَجَّ الْمُهَاجِرُونَ عَلَى الْأَنْصَارِ يَوْمَ السَّقِيفَةِ بِرَسُولِ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ فَلَجُوا عَلَيْهِمْ، فَإِنْ يَكُنِ الْفَلَجُ بِهِ فَالْحَقُّ لَنَا دُونَكُمْ، وَإِنْ يَكُنْ بِغَيْرِهِ فَالْأَنْصَارُ عَلَىٰ دَعْوَاهُمْ.

وَزَعَمْتَ أَنِّي لِكُلِّ الْخُلَفَاءِ حَسَدْتُ، وَعَلَىٰ كُلِّهِمْ بَغَيْتُ، فَإِنْ يَكُنْ ذٰلِكَ كَذٰلِكَ فَلَيْسَتِ الْجِنَايَةُ عَلَيْكَ، فَيَكُونَ الْعُذْرُ إِلَيْكَ.

* وَتِلْكَ شَكَاةٌ ظَاهِرٌ عَنْكَ عَارُهَا *

---

(١) سيّدا شباب أهل الجنّة هما ريحانتا رسول الله الحسن والحسين عليهما السلام.

(٢) صبية النار: هم صبية بني أُميّة.

(٣) خير نساء العالمين: هي زهراء الرسول صلى الله عليه وآله.

(٤) حمّالة الحطب: هي أُمّ جميل عمّة معاوية لقّبت بحمّالة الحطب لأنّها كانت تضع الشوك في طريق النبيّ صلى الله عليه وآله.

(٥) الأنفال ٨: ٧٥.

(٦) آل عمران ٣: ٦٨.

وَقُلْتَ: إِنِّي كُنْتُ أُقَادُ كَمَا يُقَادُ الْجَمَلُ الْمَخْشُوشُ حَتَّىٰ أُبَايِعَ؛ وَلَعَمْرُ اللهِ! لَقَدْ أَرَدْتَ أَنْ تَذُمَّ فَمَدَحْتَ، وَأَنْ تَفْضَحَ فَافْتَضَحْتَ! وَمَا عَلَى الْمُسْلِمِ مِنْ غَضَاضَةٍ[1] فِي أَنْ يَكُونَ مَظْلُوماً مَا لَمْ يَكُنْ شَاكّاً فِي دِينِهِ، وَلَا مُرْتَاباً بِيَقِينِهِ! وَهٰذِهِ حُجَّتِي إِلَىٰ غَيْرِكَ قَصْدُهَا، وَلٰكِنِّي أَطْلَقْتُ لَكَ مِنْهَا بِقَدْرِ مَا سَنَحَ مِنْ ذِكْرِهَا.

ثُمَّ ذَكَرْتَ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِي وَأَمْرِ عُثْمانَ، فَلَكَ أَنْ تُجَابَ عَنْ هٰذِهِ لِرَحِمِكَ مِنْهُ، فَأَيُّنَا كَانَ أَعْدَىٰ لَهُ، وَأَهْدَىٰ إِلَىٰ مَقَاتِلِهِ! أَمَنْ بَذَلَ لَهُ نُصْرَتَهُ فَاسْتَقْعَدَهُ[2] وَاسْتَكَفَّهُ، أَمْ مَنِ اسْتَنْصَرَهُ فَتَرَاخَىٰ عَنْهُ[3] وَبَثَّ الْمَنُونَ إِلَيْهِ، حَتَّىٰ أَتَىٰ قَدَرُهُ عَلَيْهِ.

كَلَّا وَاللهِ ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الْمُعَوِّقِينَ[4] مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلاً﴾[5].

وَمَا كُنْتُ لِأَعْتَذِرَ مِنْ أَنِّي كُنْتُ أَنْقِمُ عَلَيْهِ أَحْدَاثاً؛ فَإِنْ كَانَ الذَّنْبُ إِلَيْهِ إِرْشَادِي وَهِدَايَتِي لَهُ؛ فَرُبَّ مَلُومٍ لَا ذَنْبَ لَهُ.

وَقَدْ يَسْتَفِيدُ الظَّنَّةَ الْمُتَنَصِّحُ

وَمَا أَرَدْتُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ، وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ.

---

(١) الغضاضة: النقص.

(٢) يشير الإمام إلى نصحه لعثمان في إقصاء بني أُميّة عنه إلّا أنّه لم يستجب له.

(٣) أشار الإمام إلى استنجاد عثمان بمعاوية إلّا أنّه خذله ولم يستجب له.

(٤) المعوقون: هم الذين لم ينصروه.

(٥) الأحزاب ٣٣: ١٨.

وَذَكَرْتَ أَنَّهُ لَيْسَ لِي وَلِأَصْحَابِي عِنْدَكَ إِلَّا السَّيْفُ ، فَلَقَدْ أَضْحَكْتَ بَعْدَ اسْتِعْبَارٍ! مَتَى أَلْفَيْتَ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَنِ الْأَعْداءِ نَاكِلِينَ ، وَبِالسَّيْفِ مُخَوَّفِينَ ؟!

«لَبِّثْ قَلِيلاً يَلْحَقِ الْهَيْجَا حَمَلْ»(١).

فَسَيَطْلُبُكَ مَنْ تَطْلُبُ ، وَيَقْرُبُ مِنْكَ مَا تَسْتَبْعِدُ ، وَأَنَا مُرْقِلٌ(٢) نَحْوَكَ فِي جَحْفَلٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ ، شَدِيدٍ زِحَامُهُمْ ، سَاطِعٍ قَتَامُهُمْ(٣) ، مُتَسَرْبِلِينَ سَرَابِيلَ الْمَوْتِ ؛ أَحَبُّ اللِّقَاءِ إِلَيْهِمْ لِقَاءُ رَبِّهِمْ ، وَقَدْ صَحِبَتْهُمْ ذُرِّيَّةٌ بَدْرِيَّةٌ ، وَسُيُوفٌ هَاشِمِيَّةٌ ، قَدْ عَرَفْتَ مَوَاقِعَ نِصَالِهَا فِي أَخِيكَ وَخَالِكَ وَجَدِّكَ وَأَهْلِكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ(٤).

فنّد الإمام عليه السلام أغاليط معاوية ، وجرّده من كلّ صفة شريفة ، وأنّه باغٍ على الأُمّة قد تسلّح بالنفاق والكذب والخداع .

وقد عرض المحقّق ابن أبي الحديد إلى شرح هذا الكتاب بصورة مفصّلة ودقيقة .

بعث معاوية رسالة إلى الإمام عليه السلام حينما تعرّض جيشه إلى الخطر طالباً منه أن يترك له الشام والياً عليها ، ويبادر إلى مبايعته .

فأجابه الإمام بهذه الرسالة :

« وَأَمَّا طَلَبُكَ إِلَيَّ الشَّامَ فَإِنِّي لَمْ أَكُنْ لِأُعْطِيَكَ الْيَوْمَ مَا مَنَعْتُكَ أَمْسِ.

---

(١) حمل : اسم رجل ، يضرب به المثل للتهديد بالحرب .

(٢) مرقل : أي مسرع .

(٣) القتام : الغبار .

(٤) صبح الأعشى : ١ : ٢٢٩ ـ ٢٣١ . نهاية الأدب : ٧ : ٢٣٣ ـ ٢٣٤ . نهج البلاغة : ٣ : ٣٥ ـ ٣٧ .

وَأَمّا قَوْلُكَ: إنَّ الْحَرْبَ قَدْ أَكَلَتِ الْعَرَبَ إلّا حُشَاشَاتِ أَنْفُسٍ بَقِيَتْ، أَلَا وَمَنْ أَكَلَهُ الْحَقُّ فَإِلَى الْجَنَّةِ، وَمَنْ أَكَلَهُ الْبَاطِلُ فَإِلَى النّارِ.

وَأَمّا اسْتِوَاؤُنَا فِي الْحَرْبِ وَالرِّجَالِ فَلَسْتَ بِأَمْضَى عَلَى الشَّكِّ مِنّي عَلَى الْيَقِينِ، وَلَيْسَ أَهْلُ الشّامِ بِأَحْرَصَ عَلَى الدُّنْيا مِنْ أَهْلِ الْعِراقِ عَلَى الْآخِرَةِ.

وَأَمّا قَوْلُكَ: إنّا بَنُو عَبْدِ مَنافٍ، فَكَذٰلِكَ نَحْنُ، وَلٰكِنْ لَيْسَ أُمَيَّةُ كَهاشِمٍ، وَلَا حَرْبٌ كَعَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَلَا أَبُو سُفْيانَ كَأَبي طالِبٍ، وَلَا الْمُهاجِرُ كَالطَّلِيقِ، وَلَا الصَّرِيحُ كَاللَّصِيقِ، وَلَا الْمُحِقُّ كَالْمُبْطِلِ، وَلَا الْمُؤْمِنُ كَالْمُدْغِلِ. وَلَبِئْسَ الْخَلْفُ خَلْفٌ يَتْبَعُ سَلَفاً هَوَى فِي نارِ جَهَنَّمَ.

وَفي أَيْدِينا بَعْدُ فَضْلُ النُّبُوَّةِ الَّتي أَذْلَلْنا بِها الْعَزِيزَ، وَنَعَشْنا بِها الذَّلِيلَ. وَلَمّا أَدْخَلَ اللهُ الْعَرَبَ في دِينِهِ أَفْواجاً، وَأَسْلَمَتْ لَهُ هٰذِهِ الْأُمَّةُ طَوْعاً وَكَرْهاً، كُنْتُمْ مِمَّنْ دَخَلَ في الدِّينِ إمّا رَغْبَةً وَإمّا رَهْبَةً، عَلَى حِينِ فازَ أَهْلُ السَّبْقِ بِسَبْقِهِمْ، وَذَهَبَ الْمُهاجِرُونَ الْأَوَّلُونَ بِفَضْلِهِمْ. فَلَا تَجْعَلَنَّ لِلشَّيْطانِ فِيكَ نَصِيباً، وَلَا عَلَى نَفْسِكَ سَبِيلاً.

وَالسَّلَامُ[1]

عرض الإمام عليه السلام في رسالته إلى استحالة بقاء معاوية والياً على الشام، لأنّ في ذلك إقراراً للظلم والطغيان الذي هو من أفحش المحرّمات في الإسلام.

كما عرض الإمام عليه السلام إلى التباين بين بني هاشم وبني أُميّة، فالسادة العلويّون

---

(١) نهج البلاغة: ٣: ١٦.

يمثّلون الشرف والكرامة، وما تمتاز به الإنسانيّة من الصفات، وبعكسهم الأمويّون الذين يحكون الانحطاط الفكري، وكلّ صفة منكرة تهوي بالإنسان إلى مستوى سحيق ما له من قرار.

ومن بين الرسائل المتبادلة بين الإمام عليه السلام ومعاوية ما أرسله معاوية إلى الإمام طالباً منه أن يمكّنه من قتلة عثمان ليقتصّ منهم.

فأجابه عليه السلام بهذه الرسالة:

«فَأَرادَ قَوْمُنَا قَتْلَ نَبِيِّنَا، وَاجْتِيَاحَ أَصْلِنَا[١]، وَهَمُّوا بِنَا الْهُمُومَ وَفَعَلُوا بِنَا الْأَفَاعِيلَ، وَمَنَعُونَا الْعَذْبَ[٢]، وَأَحْلَسُونَا[٣] الْخَوْفَ، وَاضْطَرُّونَا إِلَىٰ جَبَلٍ وَعْرٍ[٤]، وَأَوْقَدُوا لَنا نارَ الْحَرْبِ، فَعَزَمَ اللهُ لَنا عَلَى الذَّبِّ عَنْ حَوْزَتِهِ، وَالرَّمْيِ مِنْ وَرَاءِ حُرْمَتِهِ. مُؤْمِنُنا يَبْغي بِذٰلِكَ الْأَجْرَ، وَكافِرُنا يُحامي عَنِ الْأَصْلِ. وَمَنْ أَسْلَمَ مِنْ قُرَيْشٍ خِلْوٌ [خلق] مِمّا نَحْنُ فِيهِ بِحِلْفٍ يَمْنَعُهُ، أَوْ عَشِيرَةٍ تَقُومُ دُونَهُ، فَهُوَ مِنَ الْقَتْلِ بِمَكانِ أَمْنٍ.

وَكانَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ إِذا احْمَرَّ الْبَأْسُ [النّاس]، وَأَحْجَمَ النّاسُ، قَدَّمَ أَهْلَ بَيْتِهِ فَوَقَىٰ بِهِمْ أَصْحَابَهُ حَرَّ السُّيُوفِ وَالْأَسِنَّةِ، فَقُتِلَ عُبَيْدَةُ بْنُ الْحارِثِ يَوْمَ بَدْرٍ، وَقُتِلَ حَمْزَةُ يَوْمَ أُحُدٍ، وَقُتِلَ جَعْفَرٌ يَوْمَ مُؤْتَةَ. وَأَرادَ مَنْ لَوْ شِئْتُ ذَكَرْتُ اسْمَهُ مِثْلَ الَّذي أَرادُوا مِنَ الشَّهادَةِ، وَلٰكِنَّ آجالَهُمْ عُجِّلَتْ، وَمَنِيَّتَهُ أُجِّلَتْ. فَياعَجَباً لِلدَّهْرِ! إِذْ صِرْتُ يُقْرَنُ

---

(١) الاجتياح: الاستئصال.

(٢) العذب: الماء.

(٣) أحلسونا: ألزمونا.

(٤) الجبل الوعر: هو شِعب أبي طالب، وهو الذي سجن فيه النبيّ مع أُسرته.

بي مَنْ لَمْ يَسْعَ بِقَدَمي ، وَلَمْ تَكُنْ لَهُ كَسابِقَتي الَّتي لَا يُدْلي [يُدنى] أَحَدٌ بِمِثْلِها ، إِلَّا أَنْ يَدَّعِيَ مُدَّعٍ ما لَا أَعْرِفُهُ ، وَلَا أَظُنُّ اللهَ يَعْرِفُهُ . وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ عَلَىٰ كُلِّ حالٍ .

وَأَمّا ما سَأَلْتَ مِنْ دَفْعِ قَتَلَةِ عُثْمانَ إِلَيْكَ ، فَإِنّي نَظَرْتُ في هٰذَا الْأَمْرِ ، فَلَمْ أَرَهُ يَسَعُني دَفْعُهُمْ إِلَيْكَ وَلَا إِلَىٰ غَيْرِكَ .

وَلَعَمْرِي لَئِنْ لَمْ تَنْزِعْ عَنْ غَيِّكَ وَشِقاقِكَ لَتَعْرِفَنَّهُمْ عَنْ قَلِيلٍ يَطْلُبُونَكَ ، لَا يُكَلِّفُونَكَ طَلَبَهُمْ في بَرٍّ وَلَا بَحْرٍ ، وَلَا جَبَلٍ وَلَا سَهْلٍ ، إِلَّا أَنَّهُ طَلَبٌ يَسُوءُكَ وِجْدانُهُ ، وَزَوْرٌ لَا يَسُرُّكَ لُقْيانُهُ ، وَالسَّلَامُ لِأَهْلِهِ»[1] .

حكى الإمام عليه السلام في رسالته لمعاوية ما عاناه النبيّ صلى الله عليه وآله وأهل بيته من ضروب المحن والخطوب من قريش التي جهدت في التنكيل بهم ، وقد حاولوا قتل النبيّ صلى الله عليه وآله وتصفيته جسدياً ، إلّا أنّ الله تعالى حال بينهم وبين ذلك .

وعرض الإمام عليه السلام إلى بعض الأحداث الجسام التي جرت حتّى نصر الله تعالى نبيّه عليهم ، فدخل منهم من دخل في الإسلام كرها .

وعرض الإمام عليه السلام إلى امتناعه من تسليم قتلة عثمان لمعاوية وغيره ، فقد كان بعضهم من خيرة الصحابة ، وهم إنّما أقدموا على قتله لحجّة شرعيّة ، فقد تمادى عثمان في سياسته التي ابتعدت عن شريعة الله تعالى وسنّة نبيّه .

من رسائل الإمام لمعاوية الرسالة التالية ، وقد ذكر فيها أضاليله وخداعه لجيل من الناس ماجوا في الضلال ، ونكصوا على أعقابهم ، وقد نجا منهم كوكبة من

---

(١) نهج البلاغة : ٣ : ١٠ و ١١ . العقد الفريد : ٢ : ٢٣٤ . نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة : ٤ : ١٧٧ ـ ١٧٨ .

ذوي البصائر ففارقوه، وابتعدوا عنه، وهذا نصّها:

«وَقَدْ أَرْدَيْتَ جِيلاً مِنَ النّاسِ كَثِيراً، خَدَعْتَهُمْ بِغَيِّكَ، وَأَلْقَيْتَهُمْ فِي مَوْجِ بَحْرِكَ تَغْشَاهُمُ الظُّلُماتُ، وَتَتَلاطَمُ بِهِمُ الشُّبُهاتُ، فَجارُوا عَنْ وِجْهَتِهِمْ، وَنَكَصُوا عَلىٰ أَعْقابِهِمْ، وَتَوَلَّوْا عَلىٰ أَدْبارِهِمْ، وَعَوَّلُوا عَلىٰ أَحْسابِهِمْ، إِلَّا مَنْ فَاءَ مِنْ أَهْلِ الْبَصائِرِ، فَإِنَّهُمْ فارَقُوكَ بَعْدَ مَعْرِفَتِكَ، وَهَرَبُوا إِلَى اللهِ مِنْ مُوازَرَتِكَ، إِذْ حَمَلْتَهُمْ عَلَى الصَّعْبِ، وَعَدَلْتَ بِهِمْ عَنِ الْقَصْدِ.

فَاتَّقِ اللهَ يا مُعاوِيَةُ فِي نَفْسِكَ، وَجاذِبِ الشَّيْطانَ قِيادَكَ، فَإِنَّ الدُّنْيا مُنْقَطِعَةٌ عَنْكَ، وَالْآخِرَةُ قَرِيبَةٌ مِنْكَ.

وَالسَّلامُ»[1]

لقد كان معاوية دنيا من الأباطيل، فقد خدع أهل الشام، وزجّ بهم في محاربة أخي رسول الله ﷺ، وباب مدينة علمه، متّخذاً دم عثمان بن عفّان وسيلة لتمرّده على الحقّ.

من رسائل الإمام عليه السلام هذه الرسالة، وقد تحدّث فيها بإيجاز عن بعض صفات معاوية الشريرة، وختمها بالحديث عن عثمان الذي اتّخذه معاوية وسيلة للمطالبة بدمه، قال عليه السلام:

«فَسُبْحانَ اللهِ! ما أَشَدَّ لُزُومَكَ لِلْأَهْواءِ الْمُبْتَدَعَةِ، وَالْحَيْرَةِ الْمُتَّبَعَةِ، مَعَ تَضْيِيعِ الْحَقائِقِ وَاطِّراحِ الْوَثائِقِ، الَّتي هِيَ لِلّٰهِ طِلْبَةٌ، وَعَلَىٰ عِبادِهِ حُجَّةٌ.

---

(١) نهج البلاغة: ٣: ٦٤. نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة ٤: ٢٠٠ و ٢٠١.

فَأَمّا إِكْثَارُكَ الْحِجَاجَ عَلَىٰ عُثْمانَ وَقَتَلَتِهِ، فَإِنَّكَ إِنَّمَا نَصَرْتَ عُثْمانَ حَيْثُ كَانَ النَّصْرُ لَكَ، وَخَذَلْتَهُ حَيْثُ كَانَ النَّصْرُ لَهُ.

وَالسَّلَامُ[1]

حكت هذه الرسالة بعض صفات معاوية، وهي:

١ ـ لزومه للأهواء الضالّة المبتدعة.

٢ ـ تضييعه للحقائق ومحاربته لها.

٣ ـ طرحه للوثائق والنصوص الإسلاميّة التي هي حجّة عليه، كما حوت هذه الرسالة زيف ما يدّعيه من المطالبة بدم عثمان، فقد تبنّى ذلك لأنّ فيه ربحاً له وسنداً في إعلانه التمرّد على حكم الإمام، وأنّ معاوية خدعه في وقت محنته، وقد ألمحنا إلى ذلك في البحوث السابقة.

٤ ـ وهذه الرسالة جواب لما كتبه إليه في أنّه قتل طلحة والزبير، وشرّد بعائشة، وغير ذلك من التّهم، فكتب عليه السلام جواباً له، وهذا نصّه:

أَمّا بَعْدُ، فَإِنّا كُنّا نَحْنُ وَأَنْتُمْ عَلَىٰ مَا ذَكَرْتَ مِنَ الْأُلْفَةِ وَالْجَمَاعَةِ، فَفَرَّقَ بَيْنَنا وَبَيْنَكُمْ أَمْسِ أَنّا آمَنّا وَكَفَرْتُمْ، وَالْيَوْمَ أَنّا اسْتَقَمْنا وَفُتِنْتُمْ، وَما أَسْلَمَ مُسْلِمُكُمْ إِلّا كَرْهاً، وَبَعْدَ أَنْ كانَ أَنْفُ الْإِسْلَامِ كُلُّهُ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، حِزْباً.

وَذَكَرْتَ أَنِّي قَتَلْتُ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ، وَشَرَّدْتُ بِعائِشَةَ، وَنَزَلْتُ بَيْنَ الْمِصْرَيْنِ! وَذٰلِكَ أَمْرٌ غِبْتَ عَنْهُ فَلَا عَلَيْكَ، وَلَا الْعُذْرُ فِيهِ إِلَيْكَ.

وَذَكَرْتَ أَنَّكَ زائِرِي فِي الْمُهاجِرِينَ وَالْأَنْصارِ، وَقَدِ انْقَطَعَتِ الْهِجْرَةُ

---

(١) نهج البلاغة: ٣: ٦٩.

يَوْمَ أُسِرَ أَخُوكَ [أَبُوكَ]، فَإِنْ كَانَ فِيهِ عَجَلٌ فَاسْتَرْفِهْ، فَإِنِّي إِنْ أَزُرْكَ فَذٰلِكَ جَدِيرٌ أَنْ يَكُونَ اللهُ إِنَّما بَعَثَنِي إِلَيْكَ لِلنِّقْمَةِ مِنْكَ! وَإِنْ تَزُرْنِي فَكَما قالَ أَخُو بَنِي أَسَدٍ:

مُسْتَقْبِلِينَ رِياحَ الصَّيْفِ تَضْرِبُهُمْ بِحاصِبٍ بَيْنَ أَغْوَارٍ وَجُلْمُودِ

وَعِنْدِيَ السَّيْفُ الَّذِي أَعْضَضْتُهُ بِجَدِّكَ وَخالِكَ وَأَخِيكَ فِي مَقامٍ واحِدٍ. وَإِنَّكَ وَاللهِ ما عَلِمْتُ الْأَغْلَفُ الْقَلْبِ، الْمُقارِبُ الْعَقْلِ؛ وَالْأَوْلَىٰ أَنْ يُقالَ لَكَ إِنَّكَ رَقِيتَ سُلَّماً أَطْلَعَكَ مَطْلَعَ سُوءٍ عَلَيْكَ لَا لَكَ، لِأَنَّكَ نَشَدْتَ غَيْرَ ضالَّتِكَ، وَرَعَيْتَ غَيْرَ سائِمَتِكَ، وَطَلَبْتَ أَمْراً لَسْتَ مِنْ أَهْلِهِ وَلَا فِي مَعْدِنِهِ.

فَما أَبْعَدَ قَوْلَكَ مِنْ فِعْلِكَ!! وَقَرِيبٌ ما أَشْبَهْتَ مِنْ أَعْمامٍ وَأَخْوالٍ! حَمَلَتْهُمُ الشَّقاوَةُ، وَتَمَنِّي الْباطِلِ، عَلَى الْجُحُودِ بِمُحَمَّدٍ ـ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ـ فَصُرِعُوا مَصارِعَهُمْ حَيْثُ عَلِمْتَ، لَمْ يَدْفَعُوا عَظِيماً، وَلَمْ يَمْنَعُوا حَرِيماً، بِوَقْعِ سُيُوفٍ ما خَلَا مِنْها الْوَغَىٰ، وَلَمْ تُماشِها الْهُوَيْنا.

وَقَدْ أَكْثَرْتَ فِي قَتَلَةِ عُثْمانَ، فادْخُلْ فِيما دَخَلَ فِيهِ النّاسُ، ثُمَّ حاكِمِ الْقَوْمَ إِلَيَّ، أَحْمِلْكَ وَإِيّاهُمْ عَلَىٰ كِتابِ اللهِ تَعالَىٰ؛ وَأَمّا تِلْكَ الَّتِي تُرِيدُ فَإِنَّها خُدْعَةُ الصَّبِيِّ عَنِ اللَّبَنِ فِي أَوَّلِ الْفِصالِ.

وَالسَّلَامُ لِأَهْلِهِ[1]

---

(١) نهج البلاغة: ٣: ١٣٤ ـ ١٣٦.

وبهذا نطوي الحديث عن بعض الرسائل المتبادلة بين الإمام ومعاوية، وقد كشفت رسائله عن زيغ هذا الذئب الجاهلي.

## زحف معاوية لصفّين

وصمّم معاوية على حرب الإمام عليه السلام لأنه سيعزله عن ولاية الشام وسيصادر الأموال التي اختلسها من بيت المال ويرجعه إلى وضعه الأوّل أيّام النبيّ صلى الله عليه وآله مهان الجانب، منحطّ الكيان.

وقد أغرى معاوية الغوغاء من أهل الشام الذين تلوّنهم الدعاية كيفما شاءت، فاتّخذ قميص عثمان بن عفّان عميد الأمويّين ورقة رابحة فنشره على منبره، وأوعز إلى عملائه أن يندبونه، ويتّهموا الإمام بقتله، واستجاب له الشاميّون فجنّدهم وسار بهم إلى صفّين، وعسكر بهم في أحسن منزل وأقربه إلى حوض الفرات، قد احتلّه وعدّ هذا أوّل النصر ليمنع جيش الإمام عليه السلام من الماء.

وأقامت جيوشه تنظّم أمرها وتستعدّ للحرب.

## خروج الإمام عليه السلام لحربه

وزحفت كتائب جيش الإمام عليه السلام إلى حرب معاوية وهي على يقين أنّها تحارب القوى الباغية على الحكم الإسلامي والخارجة على إرادة المسلمين.

وسارت فرق جيش الإمام كأنّها السيل، وهي بين راكب وراجل، وفي طليعتهم الإمام والنخبة من صحابة النبيّ صلى الله عليه وآله، كعمّار بن ياسر وغيره من عظماء الصحابة الذين يتّبعون الإمام، ويكنّون له في نفوسهم أعظم المودّة والإخلاص.

ولزمت جيوش الإمام عليه السلام الفرات في زحفها السريع حتّى انتهت إلى صفّين.

## القتال على الماء

ولم يجد أصحاب الإمام عليه السلام مكاناً يستقون منه الماء إلّا وهو محاط بقوى مكثّفة من جيش معاوية، وهم يمنعونهم أشدّ المنع من الارتواء من الماء، وأوفد الإمام رسله إلى معاوية يطلبون منه أن يخلي بينهم وبين الماء، فامتنع من إجابتهم أشدّ ما يكون الامتناع.

وانبرى الأشعث بن قيس يطلب منه الإذن ليفتح باب الحرب ويقهر العدوّ على التخلّي عن الفرات، فأذن له، فحملت قوى الإمام عليه السلام على جيش معاوية، واحتدم بينهما القتال أشدّ ما يكون، حتّى احتلّ جيش الإمام عليه السلام الفرات، وانهزم جيش معاوية شرّ هزيمة، وأراد أصحاب الإمام عليه السلام أن يقابلوهم بالمثل فيمنعونهم من الماء كما منعوهم منه، فلم يسمح لهم الإمام عليه السلام بذلك.

إنّ الخبث واللؤم من عناصر الأمويّين، فقد منعوا الماء في صعيد كربلاء عن الإمام الحسين عليه السلام وعقائل الوحي وصبية أهل البيت حتّى أشرفوا على الهلاك من الظمأ.

## رسل السلام إلى معاوية

وأوفد الإمام إلى معاوية كوكبة من أصحابه في طليعتهم عديّ بن حاتم وغيره، فدعوه إلى حقن الدماء، وحذّروه من عقاب الله تعالى في شقّ كلمة المسلمين، فلم يستجب لهم معاوية، وحمّل الإمام عليه السلام المسؤولية في إراقة دم عثمان، وهو يطالب بدمه.

وقفلت رسل السلام راجعة إلى الإمام، وقد أخفقوا في سفارتهم، وأخبروه أنّه مصمّم على الحرب ولا رغبة له في الصلح.

## الحرب

وعبّأ معاوية جيشه على الحرب، وكذلك صنع الإمام عليه السلام، وقد أمر أن لا يبدأوهم بقتال ليكونوا هم البادئين به، كما عهد لهم أن لا يقتلوا مدبراً، ولا يجهزوا على جريح، ولا يمثّلوا بقتيل، ولا يهيّجوا امرأة كما فعل مثل ذلك في حرب الجمل، وهي تمثّل شرف القيادة العسكريّة في الإسلام.

وابتدأ جيش معاوية في الحرب، فجعلت فرق منهم تحمل على فرق في جيش الإمام عليه السلام فيتقاتل الفريقان نهاراً كاملاً أو طرفاً منه ثمّ يتحاجزان من دون أن تقع حرب عامّة بينهما، وقد رجا الإمام أن يثوب معاوية إلى الرشاد وحقن الدماء، إلّا أنّ معاوية لم يستجب لذلك، وأطلّ على الفريقين شهر المحرّم، وهو من الأشهر التي يحرم فيها القتال في الجاهليّة والإسلام، وسعت فرق من الفريقين إلى السلم، فالعراقيّون يدعون أهل الشام إلى جمع الكلمة وحقن الدماء ومبايعة وصيّ رسول الله صلى الله عليه وآله، والدخول فيما دخل فيه المسلمون.

والشاميّون يدعون العراقيّين إلى الطلب بدم عثمان، ورفض بيعة الإمام، وإعادة الأمر شورى بين المسلمين[1].

ولمّا انقضى شهر المحرّم مضى القوم على القتال، وقد تعجّل الفريقان على الحرب العامّة، فعبّأ الإمام عليه السلام جيشه تعبئة عامّة، وكذلك فعل معاوية، والتحم الجيشان التحاماً رهيباً، واقتتلوا أشدّ ما يكون القتال وأعنفه، وقد دخل في المعركة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، ومعه سبطا رسول الله صلى الله عليه وآله الحسن والحسين عليهما السلام، إلّا أنّ الإمام عليه السلام خاف عليهما وقال: **امْلِكُوا عنّي هٰذا الْغُلَامَ لَا يَهُدَّني، فَإِنَّني أَنْفَسُ بِهٰذَيْنِ ـ يَعْني الحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ عليهما السلام ـ عَلَى الْمَوْتِ لِئَلَّا يَنْقَطِعَ بِهِمَا نَسْلُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى**

---

(١) وقعة صفّين: ١٩٦.

اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ[١]، فحجبا عن ساحة المعركة.

## مصرع عمّار

وعمّار من ألمع أصحاب رسول الله ﷺ، ومن أكثرهم ولاء وملازمة للإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وكان في أيّام صفّين شيخاً في أواخر العقد التاسع من حياته، وكان على بصيرة من أمر دينه، وقد دخل في ساحة الحرب كأنّه في ريعان الشباب، وكان يحارب راية ابن العاص وهو يقول: والله إنّ هذه الراية قاتلتها ثلاث مرّات ـ يعني في الجاهليّة ـ وما هذه بأرشدهنّ[٢].

وكان يبعث الحماس والعزم والنشاط في جيش الإمام عليه السلام قائلاً لهم: والله لو ضربونا حتّى يبلغوا بنا سعفات هجر لعلمنا أنّا على الحقّ وهم على الباطل[٣].

ويقول الرواة: أنّه جلس مبكّراً في يوم من أيّام صفّين، وقد ازداد شوقاً إلى ملاقاة رسول الله ﷺ وأبويه ياسر وسميّة، فخفّ مسرعاً صوب الإمام وطلب منه الإذن في الدخول إلى ساحة المعركة لعلّه يرزق الشهادة، فلم يسمح له، فقد كان عمّار عضده وأخاه، ولم تطب نفسه بمفارقته، وظلّ عمّار يعاود الإمام عليه السلام مستأذناً منه، فلم يسمح له، وراح يلحّ عليه، فلم يجد الإمام عليه السلام بُدّاً من إجابته، وأجهش الإمام بالبكاء حزناً وموجدة عليه.

وانطلق عمّار إلى ساحة الحرب بنشاط قد استردّ قوته، وهو جذلان فرح بما يصير إليه من الشهادة رافعاً صوته قائلاً: اليوم ألقى الأحبّة محمّداً وحزبه.

وكان صاحب الراية التي انضمّ إليها القائد العظيم هاشم بن عتبة المرقال،

---

(١) نهج البلاغة: ٢: ١٨٦. بحار الأنوار: ٣٢: ٦٢.

(٢) وقعة صفّين: ٣٤٠.

(٣) حياة الإمام الحسين بن عليّ عليه السلام: ٢: ٦٢.

وكان من فرسان العرب وخيارهم وأحبّهم للإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، فاتّجه عمّار نحوه فجعل يدفعه إلى الحرب ويقول له تارة بعنف : تقدّم يا أعور ، وأُخرى يقول له برفق : احمل فداك أبي وأُمّي ، وهاشم يقول له بلطف : رحمك الله يا أبا اليقظان ، إنّك رجل تستخفّ الحرب ، وإنّي إنّما أزحف زحفاً لعلّي أحصل على ما أُريد .

وضجر هاشم وحمل وهو يرتجز :

قَـدْ أَكْـثَرُوا لَـومي وَمـا أَقَـلّا ... إِنِّي شَرَيْتُ النَّفْسَ لَـنْ أَعـتَلّا
أَعـوَرُ يَـبغي نَـفْسَهُ مَـحَلّاً ... لا بُـدّ أَنْ يَـفُلَّ أَوْ يُـفَلّا
قَـدْ عـالَجَ الحَياةَ حَتّى مَلّا ... أَشُلُّهُمْ بِذي الكُعوبِ شَلّا[1]

وحكى هذا الرجز تصميمه على الموت وسأمه من الحياة وعمّار يقاتل معه وهو يرتجز :

نَحْنُ ضَرَبْناكُمْ عَلىٰ تَـنْزِيلِهِ ... وَاليومَ نَضْرِبْكُمْ عَلىٰ تَأْوِيلِهِ
ضَرْباً يُزيلُ الهامَ عن مَـقيلِهِ ... وَيُذْهِلُ الخَليلَ عن خَـليلِهِ
أَوْ يَرجِعُ الحقُّ إلىٰ سَبيلِهِ[2]

حكى عمّار في رجزه أنّه قاتل مع رسول الله المشركين ، أمثال أبي سفيان دفاعاً عن كلمة التوحيد ، واليوم يقاتل مع أخي رسول الله صلى الله عليه وآله وباب مدينة علمه .

والتحم عمّار مع القوى الغادرة التحاماً رهيباً ، فحمل عليه رجس من أرجاس الشام يسمّى أبو الغادية فطعنه برمحه ، فهوى إلى الأرض ذلك العملاق العظيم يتخبّط بدمه ، وقد أضرّ به العطش ، فبادرت إليه سيّدة في جيش الإمام عليه السلام فسقته

---

(١) مروج الذهب : ٢ : ٣٨٢ . الكامل في التاريخ : ٣ : ١٥٩ .
(٢) الاستيعاب : ٣ : ١١٣٨ .

لبناً، فلمّا رآه تبسّم، وراح يقول بنبرات هادئة: قال لي رسول الله ﷺ: «**آخِرُ شَرابِكَ مِنَ الدُّنْيا ضِياحٌ مِنْ لَبَنٍ، وَتَقْتُلُكَ الْفِئَةُ الْباغِيَةُ...**»[1].

ولم يلبث قليلاً حتّى فاضت روحه الزكيّة، وقد انطوت بشهادته أروع صفحة مشرقة بالإيمان والجهاد والإخلاص للحقّ.

وكان الإمام عليه السلام برحاً لم يقرّ له قرار حينما برز عمّار إلى ساحة الجهاد، وهو يقول: **فَتِّشُوا لِي عَنِ ابْنِ سُمَيَّةَ....**

وانطلقت كوكبة من أصحاب الإمام عليه السلام تبحث عنه فوجدوه مضمّخاً بدم الشهادة، فانبروا مسرعين إلى الإمام عليه السلام فأخبروه بشهادته، والتاع الإمام، وسرت موجات من الألم العاصف في محيّاه، فقد فقدَ الأخ والناظر والعارف بحقّه، وسارع الإمام عليه السلام إليه حزيناً كئيباً وعيناه تفيضان دموعاً ومعه قادة الجيش وقد بلغ بهم الحزن أقصاه.

ولمّا انتهى الإمام عليه السلام إلى الجسد الطاهر ألقى بنفسه عليه وجعل يوسعه تقبيلاً ويقول بحرارة: **إِنَّ امْرَأً مِنَ الْمُسْلِمِينَ لَمْ يَعْظُمْ عَلَيْهِ قَتْلُ عَمّارٍ ـ وَيَدْخُلْ عَلَيْهِ بِقَتْلِهِ مُصِيبَةٌ مُوجِعَةٌ ـ لَغَيْرُ رَشِيدٍ.**

**رَحِمَ اللهُ عَمّاراً يَوْمَ أَسْلَمَ.**

**وَرَحِمَ اللهُ عَمّاراً يَوْمَ قُتِلَ.**

**وَرَحِمَ اللهُ عَمّاراً يَوْمَ يُبْعَثُ حَيّاً.**

**لَقَدْ رَأَيْتُ عَمّاراً مَا يَذْكُرُ مِنْ أَصْحابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَرْبَعَةٌ إِلَّا كانَ الرّابِعُ، وَلَا خَمْسَةٌ إِلَّا كانَ الْخامِسُ، وَمَا كانَ أَحَدٌ مِنْ أَصْحابِ مُحَمَّدٍ ﷺ يَشُكُّ فِي أَنَّ عَمّاراً**

---

(١) العقد الفريد: ٤: ٢٤٢. الكامل في التاريخ: ٣: ١٢٣.

قَدْ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ فِي غَيْرِ مَوْطِنٍ وَلَا اثْنَيْنِ ، فَهَنِيئاً لِعَمّارٍ الْجَنَّةُ[١].

وأخذ الإمام عليه السلام رأس عمّار فوضعه في حجره ودموعه تتناثر على خدّيه ، ثمّ قام وواراه في مقرّه الأخير ، وقد وارى الإيمان والإخلاص للحقّ . رحم الله عمّاراً فقد جاهد أعظم ما يكون الجهاد في سبيل الله ، وهو من الفئة القليلة التي تعرف قيمة الإمام عليه السلام .

ووقعت الفتنة في جيش معاوية حينما أُذيع قتل عمّار بن ياسر ، فقد شاع فيه قول رسول الله صلى الله عليه وآله : « **تَقْتُلُهُ الْفِئَةُ الْباغِيَةُ** » ، فقد اتّضح لهم أنّهم الفئة الباغية الضالّة عن الحقّ التي عناها النبيّ صلى الله عليه وآله ، ولكنّ معاوية بن أبي سفيان استطاع أن يزيل الخلاف فقال لهم : إنّ الذي أخرج عمّاراً إلى الحرب هو الذي قتله ، وأذعن الغوغاء لقوله .

وقد ردّ عليه الإمام عليه السلام ، فقال : إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله هو الذي قتل عمّه حمزة وجعفر الطيّار حسب قول معاوية لأنّه بعثهما إلى الحرب .

## هزيمة معاوية

ومني معاوية بهزيمة ساحقة ، فقد تفلّل جيشه ، وانهارت كتائبه . وهمّ معاوية بالفرار ، إلّا أنّه تذكر قول ابن الاطنابة :

أَبَتْ لِي هِمَّتي وَأَبَى بَلائي ... وَإِقْدامي عَلى البَطَلِ المُشيحِ
وَإِعْطائي عَلى المَكروهِ مالي ... وَأَخْذي الحَمْدَ بِالثَّمَنِ الرَّبيحِ
وقَولي كُلَّما جَشَأَت وَجاشَتْ ... مَكانَكِ تُحمَدِي أَوْ تَسْتَريحي

---

(١) الطبقات الكبرى : ٣ : ٢٦٢ .

فـردّه هـذا الشـعر إلى الصـبر والثبات كـما كـان يـتحدّث بـذلك أيّـام المـلك والسلطان[١].

## مكيدة ابن العاص

إنّ أبشع مهزلة في التاريخ البشري هي مكيدة ابن العاص في رفع المصاحف، وأكبر الظنّ أنّ هذه المكيدة لم تكن وليدة المصادفة، وانّما حيكت أُصولها ووضعت مخطّطاتها قبل هذا الوقت، فقد كان ابن العاص على اتّصال وثيق ببعض قادة الجيش العراقي، كان في طليعتهم الخائن المنافق الأشعث بن قيس الذي كان حاقداً على الإمام عليه السلام لأنه قضى على مصالحه، ولم يستجب لأي مطلب عرضه عليه.

وقد أُحيطت هذه المؤامرة بكثير من السرّيّة والكتمان للاطاحة بحكومة الإمام، وذهب إلى ذلك الدكتور طه حسين، قال: «فما استبعد أن يكون الأشعث بن قيس وهو ماكر أهل العراق وداهيتهم قد اتّصل بعمرو بن العاص ماكر أهل الشام وداهيتهم ودبّرا هذا الأمر بينهم تدبيراً، ودبّرا أن يقتتل القوم فإن ظهر أهل الشام فذاك، وإن خافوا الهزيمة أو أشرفوا عليها رفعوا المصاحف فأوقعوا الفرقة بين أصحاب عليّ، وجعلوا بأسهم بينهم شديداً»[٢].

وعلى أي حال، فقد انهزم جيش معاوية شرّ هزيمة، وتفلّلت جميع قواعده العسكريّة، وفزع معاوية إلى مستشاره ابن العاص يطلب منه الرأي، فأشار عليه برفع المصاحف. فأمر معاوية برفعها، فرفعت زهاء خمسمائة مصحف على أطراف الرماح، وتعالت أصوات الشاميّين بلهجة واحدة: هذا كتاب الله تعالى بيننا وبينكم من فاتحته إلى خاتمته مَن لثغور أهل الشام بعد أهل الشام؟

---

(١) أنساب الأشراف: ١: ٨٦. الفتوح: ٣: ١٨٨. وقعة صفّين: ٣٩٥. الفتوح: ٣: ١٨٨.

(٢) الفتنة الكبرى: ٢: ٨٩.

ومَن لثغور أهل العراق بعد أهل العراق ؟

ومَن لجهاد الروم ؟

ومَن للترك ؟

ومَن للكفّار ؟[١]

ووقع هذا النداء على الجيش العراقي كالصاعقة ، فقد مني بانقلاب مدمّر ، فقد تدافعت فِرق من الجيش كالموج صوب الإمام عليه السلام رافعين أصواتهم : لقد أعطاك معاوية الحقّ دعاك إلى كتاب الله تعالى ، فاقبل منه .

وأحاط الأسى والحزن بالإمام عليه السلام ، وراح ينصحهم أنّ رفع المصاحف نتيجة لفشلهم في العمليّات العسكريّة ، وأنّ رفعهم للمصاحف خداع ومكر ، ولكنّ ذلك لم يكن يجدي مع أُولئك الوحوش الذين جرّوا إلى العالم الإسلامي الخطوب والكوارث ، فقد أصرّوا على التمرّد والعناد ، وانحاز منهم اثنا عشر ألف مقاتل من أهل الجباه السود ، فخاطبوا الإمام باسمه الصريح قائلين له : يا عليّ ، أجب القوم إلى كتاب الله تعالى إذ دعيت له ، وإلّا قتلناك كما قتلنا ابن عفّان ، فوالله لنفعلنّها إن لم تجبهم .

ونصحهم الإمام وكلّمهم بلطف ، إلّا أنّ كلامه ذهب أدراج الرياح ، فراحوا في غيّهم يعمهون ويصرّون على إيقاف القتال ، وكان المنافق الأشعث بن قيس هو الذي يدفعهم إلى التمرّد رافعاً صوته بالرضا والقبول لدعوة أهل الشام .

ولم يرَ الإمام عليه السلام الممتحن بدّاً من إجابتهم ، فأصدر أوامره بإيقاف العمليّات العسكريّة ، وقد ذاب قلبه أسى وحزناً ، فقد انتهت حكومته ، وأحرز النصر معاوية بلا قتال .

---

(١) وقعة صفّين : ٤٧٨ .

لقد انتصر الظلم والجور والفساد، وأفلت دولة المظلومين والمستضعفين، وذهبت أتعاب الإمام عليه السلام وما عاناه جيشه من الدمار.

وأصرّ المتمرّدون على الإمام عليه السلام بسحب مالك الأشتر من ساحة الحرب، وكان قد أشرف على الفتح، ولم يبق بينه وبين النصر إلّا مقدار حلبة شاة ـ على حدّ تعبيره ـ فأرسل إليه الإمام عليه السلام بالقدوم إليه، فامتنع وقال لرسوله: قل لسيّدي ليست هذه الساعة التي ينبغي لك أن تزيلني فيها عن موقفي، إنّي قد رجوت الله عزّ اسمه أن يفتح لي فلا تعجلني[1].

وقفل الرسول راجعاً فأخبر الإمام بمقالة الأشتر، فارتفعت أصوات أُولئك الأوغاد الأنذال قائلين: والله ما نراك إلّا أمرته أن يقاتل.

وأكبر الظنّ أنّ هؤلاء المتمرّدين أرادوا إسقاط حكومة الإمام وتشكيل حكومة من جهتهم، ولم يندفعوا بدافع ديني أو عاطفي بالاستجابة لرفع المصاحف.

وعلى أي حال، قال الإمام المظلوم الممتحن لأُولئك الأوغاد: **أَرَأَيْتُموني سارَرْتُ رَسولي إِلَيْهِ، أَلَيْسَ إِنَّما كَلَّمْتُهُ عَلىٰ رُؤُوسِكُمْ عَلانِيَةً، وَأَنْتُمْ تَسْمَعون؟**[2]

وبلغ بهم التمرّد والغيّ أن ردّوا على الإمام عليه السلام قائلين: ابعث إليه فليأتيك وإلّا اعتزلناك.

ولم يجد الإمام عليه السلام بدّاً، فأصدر أوامره إلى الأشتر بالانسحاب الفوري من ساحة الحرب، واستجاب الأشتر على كره وألم بالانسحاب من الحرب، وعرف أنّ ذلك من مكيدة ابن العاص، وقال لرسول الإمام عليه السلام: أما والله لقد ظننت أنّها حين رفعت ستوقع اختلافاً وفرقة، إنّها مشورة ابن العاهرة.

---

(١) الكامل في التاريخ: ٣: ٣١٧.

(٢) شرح نهج البلاغة: ٢: ٢١٨.

ألا ترى إلى الفتح ؟

ألا ترى إلى ما يلقون ؟

ألا ترى إلى الذي يصنع الله تعالى لنا ؟

أينبغي أن ندع هذا وننصرف عنه .

وأحاط رسول الإمام عليه السلام علماً لمالك الأشتر قائلاً: أتحبّ أنّك إن ظفرت هاهنا ، وأنّ أمير المؤمنين عليه السلام بمكانه يفرج عنه ، ويسلّم إلى عدوّه ؟

وراح الأشتر يقول بإيمان وإخلاص للإمام: سبحان الله ! لا والله ما أُحبّ ذلك .

وحكى رسول الإمام للأشتر مقالة المتمرّدين أنّهم قالوا: لترسلن إلى الأشتر فليأتينّك أو لنقتلك بأسيافنا كما قتلنا ابن عفّان ، أو لنسلّمنك إلى عدوّك[1].

وقفل الأشتر راجعاً وهو محزون لا يبصر طريقه ، فقد ذهبت آماله في الفتح وإنقاذ الأُمّة من هذا المنافق الجاهلي .

والتقى الأشتر بالمتمرّدين فجعل يلومهم ، ويطلب منهم أن يخلوا بينه وبين عدوّهم ، فقد أشرف على الفتح ، لكنّهم لم يذعنوا له ، وأصرّوا على غيّهم وجهلهم ، وعرض عليهم أن يمهلوه عدوة فرس فقد أشرف على النصر ، فقالوا له : إذن ندخل معك في خطيئتك .

وانبرى الأشتر يقيم لهم الأدلّة الحاسمة على ضلالهم وفساد ما ذهبوا إليه قائلاً: « حدّثوني عنكم ـ وقد قتل أماثلكم وبقي أراذلكم ـ متى كنتم محقّين ، أحين كنتم تقتلون أهل الشام ، فأنتم الآن حين أمسكتم عن القتال مبطلون ، أم أنتم الآن في إمساككم عن القتال محقّون ؟ فقتلاكم إذن الذين لا تنكرون فضلهم وكانوا خيراً

---

(١) وقعة صفّين: ٤٩١.

منكم في النار»[١].

ولم يجد معهم ما أقامه من الأدلّة على فساد ما ذهبوا إليه، فقد أصرّوا على غيّهم وجهلهم، وطلب مالك من الإمام عليه السلام مناجزتهم، فأبى عليه السلام لأنّهم كانوا يمثّلون الأكثريّة الساحقة في جيشه.

وحذّرهم الإمام عليه السلام ومالك فلم يستجيبوا لهما، وأصرّوا على الجهل والعناد، فأعرض الإمام عنهم، وقد اتّخذوا إعراضه وسكوته رضاً منه بالتحكيم، فهتفوا قائلين: إنّ عليّاً أمير المؤمنين رضي الحكومة، ورضي بحكم القرآن.

لقد تمرّد جيشه عليه وراح يقول: **لَقَدْ كُنْتُ أَمْسِ أَمِيراً، فَأَصْبَحْتُ الْيَوْمَ مَأْمُوراً، وَكُنْتُ ناهِياً فَأَصْبَحْتُ الْيَوْمَ مَنْهِيّاً**[٢].

## التحكيم

ولم تقف محنة الإمام وبلاؤه في جيشه المتمرّد إلى هذا الحدّ، وإنّما تجاوز الأمر إلى أكثر من هذا شرّاً، فقد أصرّ المتمرّدون بقيادة المنافق الأشعث بن قيس على انتخاب الخبيث الدنس أبي موسى الأشعري الذي غذّى الجيش ببغض الإمام، وإنّما أصرّوا عليه لعلمهم بأنّه سيعزل الإمام عن الحكم.

وعذلهم الإمام عليه السلام عن انتخابه قائلاً: **إِنَّكُمْ قَدْ عَصَيْتُموني في أَوَّلِ الْأَمْرِ، فَلَا تَعْصوني الْآنَ، إِنّي لَا أَرىٰ أَنَّ أُوَلِّيَ أَبا مُوسىٰ!**

وأصرّوا على انتخابه، فعرّفهم الإمام واقع أبي موسى وأنّه عدوّه قائلاً: **إِنَّهُ لَيْسَ لي بِثِقَةٍ، قَدْ فارَقَني وَخَذَّلَ النّاسَ عَنّي، ثُمَّ هَرَبَ مِنّي حَتّىٰ آمَنْتُهُ بَعْدَ أَشْهُرٍ،**

---

(١) تاريخ دمشق: ٥٦: ٣٨٧.

(٢) نهج البلاغة لمحمّد عبده: ٢: ٣٢٣.

وَلكِنْ هٰذَا ابْنُ عَبّاسٍ نُوَلّيهِ ذٰلِكَ[١].

وامتنعوا من ترشيح ابن عبّاس، فأرشدهم إلى مالك، فرفضوه مصرّين على انتخاب الأشعري، ويحكي ذلك أنّهم كانوا مصرّين على عزل الإمام وانتخاب غيره لقيادة الحكم.

وعلى أي حال، فقد كتبوا وثيقة التحكيم، وجعلوا الممثّل لهم الأشعري، وجعل أهل الشام الممثّل لهم ابن العاص، ووقّتوا زمناً لاجتماع الحكمين، وذلك في شهر رمضان أو قبله أو بعده حسب رأي الحكمين.

## رجوع الإمام عليه السلام إلى الكوفة

وقفل الإمام الممتحن راجعاً من صفّين إلى الكوفة، وقد ألمّت به الكوارث والخطوب، يرى باطل معاوية قد تمّ، وأمره قد استحكم، ويرى تمزّق جميع كتائب جيشه، يأمره فلا يطيع، ويدعوه فلا يستجيب، وأخطر ما مني به جيش الإمام انبثاق فكرة الحروريّة التي كانت سوسة تنخر في جيشه، فقد أخذت تعمل بنشاط على إسقاط حكومة الإمام عليه السلام وتشكيل حكومة معادية له.

وعلى أي حال، فقد دخل الإمام الكوفة وقد ساد فيها الحزن على مَن قتل منها في صفّين، وقد شاع العتاب على ترك الحرب.

## اجتماع الحكمين

وانتهت المدّة التي عيّنها الفريقان للتحكيم، وقد استردّ معاوية قواه التي فقدها في صفّين، وقد بعث إلى الإمام يطلب منه الوفاء باجتماع الحكمين، وإنّما سارع إلى ذلك لعلمه بما مني به جيش الإمام عليه السلام من الاختلاف والفرقة والتمرّد، كما

---

(١) تاريخ الأُمم والملوك: ٦: ٢٨.

أنّه على يقين بأنّ نتيجة التحكيم سوف تكون من صالحه لأنّ المنتخب من العراقيّين هو أبو موسى الأشعري العدوّ الماكر للإمام عليه السلام.

وعلى أي حال، فقد أشخص الإمام عليه السلام للتحكيم الأشعري ومعه أربعمائة شخص من أصحابه، وجعل عليهم شريح بن هاني وعبدالله بن عبّاس، والتقى الحكمان المارقان في دومة الجندل[1] أو في أذرح[2].

ولم يفتح ابن العاص الحديث مع الأشعري ثلاثة أيّام، وأفرد له مكاناً خاصّاً،

---

(١) **دومة الجندل** ـ بفتح أوّله وضمّه، وقد أنكر ابن دريد الفتح وعدّه من أغلاط المحدثين ـ: وهو اسم مكان على سبع مراحل من دمشق، ومن مدينة الرسول، وقال أبو عبيد السكوني: دومة الجندل حصن وقرى بين الشام والمدينة قرب جبل طي، كانت به بنو كنانة من كلب، ويقال: إنّ بدومة الجندل كان التحكيم، فقد حدّث عبدالله بن عيسى حفيد أبي ليلى قال: مررت مع أبي موسى بدومة الجندل، فقال أبو موسى: حدّثني رسول الله أنّه **حَكَمَ في بَني إسْرائيلَ في هٰذَا الْمَوْضِعِ حَكَمانِ بِالْجَوْرِ، وَأَنَّهُ يَحْكُمُ في أُمَّتي في هٰذَا الْمَكانِ حَكَمانِ بِالْجَوْرِ.**

قال: فما ذهبت الأيّام حتّى حكم هو وعمرو بن العاص فيما حكما، وقد أكثر الشعراء في ذكر الاجتماع بأذرح إلّا قول الأعور الشني فإنّه ذكر دومة الجندل في قوله:

رَضِينا بِحُكمِ اللهِ في كُلِّ مَوطِنٍ ... وَعَمرٌو وَعَبدُاللهِ مُختَلِفانِ
فَلَيسَ بِهادي أُمَّةٍ مِنْ ضَلالَةٍ ... بِدُومَةَ شَيْخا فِتنَةٍ عَمِيانِ
بَكَتْ عَينُ مَنْ يَبكي ابْنَ عَفّانَ بَعدَما ... نَفا وَرَقَ الفُرقانِ كُلَّ مَكانِ
ثَوىٰ تارِكاً لِلحَقِّ مُتَّبِعَ الهَوىٰ ... وَأَوْرَثَ حُزْناً لاحِقاً بِطَعانِ
كِلا الفِتْنَتَينِ كانَ حَيّاً وَمَيِّتاً ... يَكادانِ لَولا القَتلُ يَشتَبِهانِ

وإن كان الوزن يستقيم لو جيء بمكان دومة أذرح. معجم البلدان: ٢: ٤٨٧.

واحتمل الدكتور طه حسين في كتابه (عليّ وبنوه): ١٠٧: أنّ الاجتماع كان في دومة الجندل أوّلاً، ثمّ في أذرح بعد ذلك.

(٢) **أذرح**: اسم بلد من نواح الشام.

وجعل يقدّم له أطائب الطعام والشراب حتّى استبطنه وأرشاه حتّى صار ألعوبة بيده، وأخذ يضفي عليه النعوت الحسنة والألقاب الكريمة، وكان فيما قال له: يا أبا موسى، إنّك شيخ أصحاب محمّد ﷺ، وذو فضلها، وذو سابقتها، وقد ترى ما وقعت فيه هذه الأُمّة من الفتنة العمياء التي لا بقاء معها، فهل لك أن تكون ميمون هذه الأُمّة فيحقن الله بك دماءها؟ فإنّه يقول في نفس واحدة: ﴿ **وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً** ﴾[1]، فكيف بمن أحيا هذا الخلق كلّه؟

ومتى كان هذا الصعلوك النذل شيخ أصحاب النبيّ ﷺ، ومن ذوي الفضائل والسوابق في الإسلام؟

وطفق الأشعري يسأل ابن العاص عن سبل الإصلاح وحقن الدماء، فأجاب الماكر الخبيث: تخلع أنت عليّ بن أبي طالب، وأخلع أنا معاوية بن أبي سفيان، ونختار لهذه الأُمّة رجلاً لم يحضر في شيء من الفتنة، ولم يغمس يده فيها.

وبادر الأشعري قائلاً: ومن يكون ذلك؟

وكان ابن العاص عارفاً بميوله نحو عبدالله بن عمر، فقال له: إنّه عبدالله بن عمر[2].

وسرّ الأُشعريّ بذلك وطلب منه العهود بما قاله، وحلف له بالله على الوفاء بذلك، فأيقن الأشعري بقوله، وأجابه بالرضا والقبول، وعيّنا وقتاً خاصّاً لإعلان ما اتّفقا عليه.

## إعلان الحكم

حلّ الوقت الذي اتّفقا عليه، فأقبلا إلى منصّة الخطابة لإعلان ذلك، فقال

---

(١) المائدة ٥: ٣٢.

(٢) جواهر المطالب: ٢: ٥٠.

ابن العاص للأشعريّ: قم فاخطب الناس.

- بل أنت قم فاخطبهم.

وراح ابن العاص يخادعه قائلاً: سبحان الله! أنا أتقدّم عليك وأنت شيخ أصحاب رسول الله، لا فعلت ذلك أبداً.

وطلب الخامل الخبيث من ابن العاص الأيمان بالوفاء بما قال، فلم يبق يميناً إلّا أقسم به على الوفاء، ولم تخف على ابن عبّاس هذه الخديعة، فأخذ يحذّره من مكيدته قائلاً: وَيْحك! والله! إنّي لأظنُّه قد خدعك، إن اتّفقتما على أمرٍ فقدّمه فليتكلّمْ قبلك، ثمّ تَكَلَّمْ أنتَ بعده، إنّ عَمْراً رجل غادر، ولا آمَنُ أن يكون قد أعطاك الرضا فيما بينك وبينه، فإذا قمت للناس خالفك[١].

ولم يعن الأشعريّ بابن عبّاس، واتّجه صوب منبر التحكيم، فحمد الله تعالى وأثنى عليه، وصلّى على النبيّ، ثمّ قال: أيّها الناس، إنّا قد نظرنا في أمرنا فرأينا أقرب ما يحْضرُنا من الأمنِ والصلاحِ، ولمِّ الشعثِ، وحقنِ الدماءِ، وجمعِ الألفة... خَلْعنا عليّاً ومعاوية! فقد خلعت عليّاً كما خلعت عمامتي هذه ـ وأهوى إلى عمامته فخلعها ـ واستخلفنا رجلاً صَحِبَ رسولَ الله ﷺ بنفسه، وصحب أبوه النبيّ فبرز في سابقته وهو عبدالله بن عمر[٢].

تعساً للزمان الذي يعزل الأشعري الإمام أمير المؤمنين عليه السلام حكيم هذه الأُمّة، ورائد حضارتها، الذي طوّق الدنيا بمواهبه وعبقريّاته، وجعل الأشعري قيادة الأُمّة بيد عبدالله بن عمر الذي لا يحسن طلاق زوجته ـ على حدّ تعبير أبيه ـ.

إنّ من مهازل الزمن أن يتحكّم الأشعري وابن العاص في شؤون الأُمّة، ويكون معاوية بن هند ندّاً للإمام.

---

(١) تاريخ الأُمم والملوك: ٤: ٥١.

(٢) الإمامة والسياسة: ١: ١٣٦ و ١٣٧.

ومن المؤكّد أنّ هذه النكبات التي وجّهت للإمام عليه السلام كانت من نتائج السقيفة والشورى.

وعلى أي حال، فقد انبرى الماكر ابن العاص إلى منصّة الخطابة، فقال: أيّها الناس، إنّ أبا موسى عبدالله بن قيس خلع عليّاً، وأخرجه من هذا الأمر الذي يطلب، وهو أعلم به، ألا وأنّي خلعتُ عليّاً معه، وأثبتُّ معاويةَ عليَّ وعليكم، وإنّ أبا موسى قد كتب في الصحيفة[١] أنّ عثمان قتل مظلوماً شهيداً، وأنّ لوليّه أن يطلب بدمه حيث كان، وقد صحب معاوية رسول الله صلى الله عليه وآله، وصحب أبوه النبيّ صلى الله عليه وآله.

وأضاف قائلاً: إنّ معاوية هو الخليفة علينا، وله طاعتنا وبيعتنا على الطلب بدم عثمان[٢].

فصاح الأشعريّ: يابن العاص، ما لك؟ عليك لعنة الله، ما أنت إلّا كمثل الكلب ﴿إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ﴾[٣].

فزجره ابن العاص وصاح به: لكنّك مثل الحمار يحمل أسفاراً[٤].

وصدق كلّ منهما في وصف صاحبه، وقد جرّ هذا التحكيم للأُمّة الويلات والكوارث، وأخلد لها الفتن والخطوب، فقد ماج العراقيّون في الفتنة، وأيقنوا بضلال ما أقدموا عليه، وانهزم الأشعري صوب مكّة يصحب معه العار والخزي ولمن رشحّه للتحكيم.

---

(١) يشير بالصحيفة إلى إقرار أبي موسى حول قتلة عثمان الذي سجّله عنده، وقد ذكر المسعودي تفصيل ذلك في مروج الذهب: ٢: ٢٧٧.

(٢) أنساب الأشراف: ٣: ١٢٣.

(٣) الأعراف ٧: ١٧٦.

(٤) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً﴾ الجمعة ٦٢: ٥.

رقد أكثر الشعراء في ذمّ الكوفيّين ، فمن ذلك ما قاله أيمن بن خريم الأسدي[١]:

لَـو كـانَ لِـلْقَوْمِ رَأْيٌ يُـعْصَمُونَ بِـهِ ... مِـنَ الضَّـلَالِ رَمَـوكُمْ بِـابنِ عَـبّاسِ
لِلّهِ دَرُّ أَبـــيـهِ أَيُّـــمَا رَجُـــلٍ ... ما مِثْلُهُ لِـفِصالِ الخَـطْبِ فـي النـاسِ
لكِـنْ رَمَـوكُمْ بِشَـيخٍ مِـنْ ذَوي يَـمَنٍ ... لَمْ يَدْرِ ما ضَرْبُ أَخـماسٍ لأَسـداسِ
إِنْ يَخْلُ عَمْرٌو بِـهِ يَـقْذِفْهُ فـي لُـجَجٍ ... يَـهْوِي بِـهِ النَّـجْمُ تَـيْساً بَـيْنَ أَتْـيَاسِ
أَبْـلِغْ لَـدَيكَ عَـلِيّاً غَـيرَ عـاتِبِهِ ... قَولَ امْرِئٍ لا يَـرىٰ بِـالْحَقِّ مِـنْ بـاسِ
مـا الأَشْـعَرِيُّ بِـمَأْمونٍ أَبـا حَسَـنٍ ... فَاعْلَمْ هُدِيتَ وَلَيسَ العَجْزُ كَـالرّاسِ
فَـاصْدِمْ بِـصاحِبِكَ الأَدْنىٰ زَعـيمَهُمُ ... إِنَّ ابنَ عَمِّكَ عَـبّاسٍ هُـوَ الآسـي[٢]

لقد أفلت دولة الحقّ ، وحقّق معاوية آماله وأمانيه ، فقد عاد أهل الشام يسلّمون عليه بإمام المؤمنين ، أمّا جيش الإمام عليه السلام فقد غرق في الضلال وماج في الفتن والفرقة والخلاف ، وكان ذلك وبال ما جنت عليهم أيديهم وجهلهم .

وعلى أي حال ، فإنّه حينما انتهى أمر التحكيم إلى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بلغ به الحزن أقصاه ، وخطب في أهل الكوفة خطاباً أعرب فيه عن أساه في مخالفة أوامره في مواصلة الحرب حينما أحرزت قطعات جيشه النصر الحاسم ، فقد خدعوا في رفع المصاحف ، وجرّوا للأمّة الكوارث والخطوب ، وقد جاء في خطابه :

**«أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ مَعْصِيَةَ النَّاصِحِ الشَّفِيقِ الْعَالِمِ الْمُجَرِّبِ تُورِثُ الْحَسْرَةَ ، وَتُعْقِبُ النَّدَامَةَ .**

---

(١) **أيمن بن خريم الأسدي :**
ـ بالراء المهملة ـ هو ابن شدّاد الأسدي ، أحد الشعراء ، وقد اختلف في صحبته للنبيّ صلى الله عليه وآله ، وقد روى عنه في شهادة الزور . تهذيب التهذيب : ١ : ٣٩٢ .

(٢) وقعة صفّين : ٥٠٢ .

وَقَدْ كُنْتُ أَمَرْتُكُمْ فِي هٰذِهِ الْحُكُومَةِ أَمْرِي ، وَنَخَلْتُ لَكُمْ مَخْزُونَ رَأْيِي ، لَوْ كَانَ يُطَاعُ لِقَصِيرٍ أَمْرٌ ! فَأَبَيْتُمْ عَلَيَّ إِبَاءَ الْمُخَالِفِينَ الْجُفَاةِ ، وَالْمُنَابِذِينَ الْعُصَاةِ ، حَتَّىٰ ارْتَابَ النَّاصِحُ بِنُصْحِهِ ، وَضَنَّ الزَّنْدُ بِقَدْحِهِ ، فَكُنْتُ أَنَا وَإِيَّاكُمْ كَمَا قَالَ أَخُو هَوَازِنَ :

أَمَرْتُكُمُ أَمْرِي بِمُنْعَرَجِ اللِّوَى
فَلَمْ تَسْتَبِينُوا الرُّشْدَ إِلَّا ضُحَىٰ الْغَدِ

أَلا إِنَّ الرَّجُلَيْنِ اللَّذَيْنِ اخْتَرْتُمُوهُما حَكَمَيْنِ قَدْ نَبَذا حُكْمَ الْكِتابِ وَراءَ ظُهُورِهِما ، وَارْتَأَيا الرَّأْيَ مِنْ قِبَلِ أَنْفُسِهِما ، فَأَماتا ما أَحْياهُ الْقُرْآنُ ، ثُمَّ اخْتَلَفا فِي حُكْمِهِما ، فَكِلاهُما لا يَرْشُدُ وَلا يُسَدَّدُ فَبَرِئَ اللهُ مِنْهُما وَرَسُولُهُ وَصالِحُ الْمُؤْمِنِينَ ، فَاسْتَعِدُّوا لِلْجِهادِ ، وَتَأَهَّبُوا لِلْمَسِيرِ ، وَأَصْبِحُوا فِي مُعَسْكَرِكُمْ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ إِنْ شاءَ اللهُ[1] .

وحكى هذا الخطاب حزنه العميق على مخالفة أوامره في تحكيم ابن العاص والأشعري ، حتّى آل الأمر إلى هذه النتائج المروّعة .

## معاوية مع ابن عمر

وورم أنف معاوية وامتلأت نفسه غيظاً على عبدالله بن عمر الذي رشّحه الأشعري لقيادة الأُمّة ، وراح يندّد به مخافة أن ينازعه في السلطة قائلاً : مَن كان يريد أن يتكلّم في هذا الأمر ـ يعني الخلافة ـ فليطلع إليَّ قرنه فنحن أحقّ بذلك منه ومن أبيه ـ يعني عمر ـ .

وأراد ابن عمر أن يردّ عليه بهذه الكلمات : أحقّ منك من ضربك عليه ـ أي على

---

(١) نهج البلاغة : ١ : ٨٥ . أنساب الأشراف : ٣ : ١٤٠ .

الإسلام ـ وأباك ، إلّا أنّه خاف من الفتنة فأمسك عن الكلام[١].

وقد تنكّر معاوية لألطاف عمر عليه وعلى أُسرته الذين أذلّهم الإسلام ، فجعل نفسه أوْلى بالخلافة من عمر ، وهو الذي مكّنه من رقاب المسلمين ، وجعله والياً في أهمّ قطر إسلامي ، ولم يمنحه للأوس والخزرج اللذين أبليا في الإسلام البلاء الحسن .

## معاوية والأشعريّ

شكر معاوية أبا موسى لخلعه الإمام عليه السلام عن الخلافة ، وكانت له منزلة مهمّة عنده ، وأغدق عليه الأموال ، وكانت لابنه أبي بردة مكانة متميّزة عنده ، فما أغلق دونه باباً ، وإن كانت له حاجة قضاها[٢].

وأوصى ولده يزيد ببرّه والإحسان إليه قائلاً: إن وليت فاستوص به ، فإنّ أباه كان أخاً لي وخليلاً[٣].

وعلى أي حال ، فإنّ معاوية قد جهد على محق الإسلام ، ومحاربة رموزه ، واتّخاذ أعدائه أخلّاء ورفاقاً له .

## تفلّل جيش الإمام عليه السلام

ولم يعد عند الإمام عليه السلام أيّة قوّة عسكريّة يستطيع بها أن يقاوم معاوية ، فقد منيت قوّاته بالتمرّد والاختلاف ، خصوصاً بعد قتال الإمام للمارقين الذين عاثوا في الأرض فساداً ، وقد أرسل معاوية عمارة بن عقبة إلى الكوفة ليتجسّس له عن حال جيش

---

(١) تاريخ مدينة دمشق: ٣١: ١٨٣. سير أعلام النبلاء: ٣: ٢٢٦.

(٢) سير أعلام النبلاء: ٣: ٣٩٧. الطبقات الكبرى لابن سعد: ٤: ١٢١.

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد: ٤: ١٢٣.

الإمام عليه السلام ، فكتب له خرج على عليّ أصحابه ونسّاكهم ، فسار إليهم فقتلهم ، ففسد عليه جنده وأهل مصره ، وتفرّقوا أشدّ الفرقة .

ولمّا قرأ معاوية رسالة عمارة امتلأ قلبه فرحاً ، والتفت إلى الوليد أخو عمارة ، فقال له : أترضى أن يكون أخوك لنا عيناً وغرق في الضحكّ ، فضحك الوليد ، وقال : لك حظّاً ونفعاً ، ونظم أبياتاً من الشعر في أخيه ، وهي :

إِنْ يَكُ ظَنِّي بِابْنِ أُمِّيَ صادِقاً ... عُمارةُ لَا يَطْلُبْ بِذَحْلٍ وَلَا وَتْرِ
مُقِيمٌ وَقَتّالُ ابْنِ عَفّانَ حَولَهُ ... يَمشِي بِها بَينَ الخَوَرنَقِ وَالجِسْرِ
وَتَمشِي رَخِيَّ البالِ مُنتَشِرَ القِوَى ... كَأَنَّكَ لَمْ تَشْعُرْ بِقَتلِ أَبي عَمْرِو[١]

وكلّ ما حاول الإمام عليه السلام وبذل من جهد لإصلاح جيشه والقضاء على تمرّدهم فلم يجد إلى ذلك سبيلاً ، ممّا زاد في تمرّدهم أنّ معاوية راسل جماعة من زعماء العراق كالأشعث بن قيس ، فمنّاهم بالأموال والهبات والمناصب إذا قاموا بعمليّات التخريب والفساد في جيش الإمام عليه السلام وشعبه ، وفعلاً فقد استجابوا له ، وقاموا في إشاعة الأراجيف وبثّ روح التفرقة والاختلاف في أوساط الجيش ، فخلعوا طاعة الإمام عليه السلام وعمدوا إلى عصيانه[٢] .

إنّ الأكثريّة الساحقة في جيش الإمام قد ساد فيها التمرّد ، ولم يعد للإمام أي سلطان عليهم في حين أنّ جيش معاوية كان على عكس جيش الإمام .

يقول الحجّاج بن خزيمة لمعاوية : إنّك تقوى بدون ما يقوى به عليّ ؛ لأنّ معك قوماً لا يقولون إذا سكتّ ، ويسكتون إذا نطقت ، ولا يسألون إذا أمرت ، ومع علي قوم يقولون إذا قال ، ويسألون إذا سكت[٣] .

---

(١) أنساب الأشراف : ٢ : ٣٨٤ .

(٢) أنساب الأشراف : ٣ : ١٥٦ .

(٣) الأخبار الطوال : ١٥٥ .

## احتلال مصر

ولمّا أيقن معاوية بفساد جيش الإمام قام باحتلال مصر التي هي قلب البلاد العربيّة، وجعلها طعمة لابن العاص الذي ساعده بمكره وحيلته.

وكان الوالي على مصر محمّد بن أبي بكر الذي هو من أعزّ الوجوه للإمام أمير المؤمنين عليه السلام، فهجم عليه جيش معاوية بقيادة ابن العاص فاحتلّ مصر وعمد إلى قتل محمّد وأحرقه بالنار، وكان الإمام قد وعده بأن يمدّه بالجيش والمال، وأخذ يدعو جيشه لنجدته فلم يستجيبوا له، وكرّر دعوته فاستجاب له عدد ضئيل على كره كأنّهم يساقون إلى الموت[1].

ولكنّه لم يلبث حتّى وافته الأنباء باحتلال مصر وقتل واليه وإحراقه، فخطب الإمام خطاباً مثيراً نعى فيه تخاذل جيشه وخور عزائمهم.

إنّ احتلال مصر قد قوّى شوكة معاوية وحفّزه إلى احتلال بقيّة المناطق الإسلاميّة بما فيها العراق، وإسقاط حكومة الإمام عليه السلام.

## قوى معاوية تحتلّ الحجاز واليمن

أرسل معاوية بسر بن أبي أرطاة قائداً لجيشه البالغ ثلاثة آلاف جندي فاحتلّ المدينة، وأخذ البيعة من أهلها لمعاوية.

ثمّ سار إلى اليمن فاحتلّها، وكان الوالي عليها عبيدالله بن العبّاس، فهرب إلى الكوفة، واستخلف عليها عبدالله الحارثي، فقتله بسر، وعمد إلى طفلين لعبيدالله فقتلهما، وفقدت أُمّهما وعيها وراحت تندبهما بذوب روحها بأبياتها المشهورة.

---

(١) أنساب الأشراف: ٣: ١٧٢ و ١٧٣.

ولمّا انتهت الأنباء إلى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام مزّق الأسى قلبه، وخطب في جيشه قائلاً:

أُنْبِئْتُ بُسْراً قَدِ اطَّلَعَ الْيَمَنَ[١] وَإِنّي ـ وَاللهِ ـ لَأَظُنُّ أنَّ هـؤُلَاءِ الْقَوْمَ سَيُدالونَ[٢] مِنْكُمْ بِاجْتِماعِهِمْ عَلىٰ باطِلِهِمْ، وَتَفَرُّقِكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ، وَبِمَعْصِيَتِكُمْ إِمامَكُمْ في الْحَقِّ وَطاعَتِهِمْ إِمامَهُمْ في الْباطِلِ، وَبِأَدائِهِمُ الْأَمانَةَ إِلَىٰ صاحِبِهِمْ وَخِيانَتِكُمْ، وَبِصَلَاحِهِمْ في بِلَادِهِمْ وَفَسادِكُمْ، فَلَوِ ائْتَمَنْتُ أَحَدَكُمْ عَلىٰ قَعْبٍ[٣] لَخَشِيْتُ أَن يَذْهَبَ بِعِلَاقَتِهِ[٤].

اللّٰهُمَّ إِنِّي قَدْ مَلِلْتُهُمْ وَمَلُّونِي، وَسَئِمْتُهُمْ وَسَئِمُونِي، فَأَبْدِلْنِي بِهِمْ خَيْراً مِنْهُمْ، وَأَبْدِلْهُمْ بِي شَرّاً مِنِّي. اللّٰهُمَّ مِثْ في قُلُوبِهِمْ كَما يُماثُ[٥] الْمِلحُ في الْماءِ، أَما وَاللهِ لَوَدَدْتُ أَنَّ لِي أَلْفَ فارِسٍ مِنْ بَنِي فِراسِ ابْنِ غُنْمٍ[٦]:

هُنالِكَ لَوْ دَعَوتَ أَتاكَ مِنهُمْ فَوارِسُ مِثْلُ أَرْمِيَةِ الحَمِيمِ[٧]

ثمّ نزل عن المنبر وهو غارق بالأسى والحزن، قد استولى اليأس منه على جيشه الذي أصبح رخوة خالياً من الشعور والإحساس.

---

(١) **اطّلع اليمن**: بلغها واحتلّتها قوّاته.

(٢) **سيدالون**: أي ستكون لهم الدولة بسبب اجتماع كلمتهم، واختلاف رأي العراقيّين.

(٣) **القعب** ـ بالفتح ـ: القدح الكبير ـ لسان العرب: ١١: ٢٣٥ ـ قعب.

(٤) **علاقته** ـ بكسر العين ـ: ما يعلق به القعب من ليف ونحوه.

(٥) **ماث الشيء**: أي ذاب في الماء ـ مجمع البحرين: ٢: ٢٦٥ ـ موث.

(٦) **بنو فراس**: قبيلة عربيّة مشهورة بالشجاعة والإقدام.

(٧) نهج البلاغة: ١: ٦٤ ـ ٦٦.

## الغارات على العراق

شكّل معاوية أربع فرق للغارة على أطراف العراق وداخله لإشاعة الرعب والخوف في نفوس العراقيّين، وإفهامهم بأنّ الإمام عليه السلام غير قادر على حمايتهم وبسط الأمن في ربوعهم، أمّا المناطق التي غار عليها جيشه فهي:

## عين التمر

أرسل معاوية جيشاً قوامه ألف فارس بقيادة النعمان بن بشير، وكان فيها مالك بن كعب، ومعه ألف جندي، وقد أذن لهم بإتيان أهاليهم في الكوفة، فغادروا عين التمر وبقي معه مائة جندي ولم يعلم بغزو جيش معاوية، ولمّا داهمه الجيش قاومهم مقاومة باسلة، وتوجّهت لمساعدته نجدة تبلغ خمسين رجلاً، فلمّا رآهم النعمان فزع وولّى هارباً.

ولمّا بلغت الأنباء الإمام أمير المؤمنين عليه السلام جزع جزعاً شديداً، فقد انتصرت الوثنيّة القرشيّة، وأفلت دولة المستضعفين والفقراء، وجمدت أحكام القرآن، وحضارة الإسلام، وخطب خطاباً مؤثّراً اشتقّ من نفسه المليئة بالكوارث والأحزان، جاء فيه:

**«عَجَباً لَكُمْ عَجَباً لَكُمْ يَا أَهلَ الْكُوفَةِ، كُلَّما أَطَلَّتْ عَلَيْكُمْ سَرِيَّةٌ وَأَتاكُمْ مَنْسِرٌ[1] مِنْ مَناسِرِ أَهْلِ الشّامِ أَغْلَقَ كُلُّ امْرِئٍ مِنْكُمْ بابَهُ، قَدِ انْجَحَرَ فِي بَيْتِهِ انْجِحارَ الضَّبِّ فِي جُحْرِهِ، وَالضَّبْعِ فِي وِجارِها، وَالذَّلِيلُ وَاللهِ مَنْ نَصَرْتُمُوهُ، وَمَنْ رَمىٰ بِكُمْ رَمَىٰ بِأَفْوَقِ ناصِلٍ[2]،**

---

(١) **المَنْسِر**: قطعة من الجيش تمرّ قدام الجيش الكثير ـ القاموس المحيط: ٦٢٠ ـ نسر.

(٢) **الفوق**: مشق رأس السهم حيث يقع الوتر، وإذا كان في الفُوق ميل أو انكسار فذلك

فَقُبْحاً لَكُمْ وَتَرَحاً، وَقَد نادَيْتُكُمْ، وَناجَيْتُكُمْ فَلَا أَحْرارٌ عِنْدَ النِّداءِ، وَلَا إِخْوانٌ عِنْدَ النَّجاءِ، قَدْ مُنِيتُ مِنْكُمْ بِصُمٍّ لَا يَسْمَعونَ، وَبُكْمٍ لَا يَعْقِلُونَ، وَكُمْهٍ لَا يُبْصِرُونَ»[١].

حكى هذا الخطاب ما مني به العراقيّون من الجبن أمام أهل الشام، وخوفهم البالغ إذا سمعوا بقافلة عسكريّة قد داهمتهم، فقد أصبحوا أعصاباً خالية من الشعور والإحساس، ولا أمل للإمام في نصرتهم ودفع الخطر القادم عليهم من معاوية.

## هيت

وجّه معاوية كتيبة عسكريّة بقيادة سفيان بن عوف إلى هيت، ومن بعدها إلى الأنبار والمدائن، وسار الجيش إلى هيت فلم يجد بها أحداً ثمّ انعطف نحو الأنبار فوجد بها قطعة من الجيش تتكوّن من مائتي رجل فالتحم معها، وقتل أشرس بن حسّان البكري مع ثلاثين رجل من أصحابه، ثمّ نهبوا ما في الأنبار من الأموال، وقفلوا راجعين إلى معاوية وهم في غاية السرور بما أحرزوه من النصر ونهب الأموال.

وقد تأثّر الإمام، وبلغ به الحزن أقصاه، وكتب رسالة قرئت على أهل الكوفة لأنّه لم يتمكّن من إلقاء الخطاب[٢].

## واقصة

وجّه معاوية الضحّاك بن قيس الفهري إلى واقصة[٣] للغارة عليها، وقد ضمّ

---

« السهم أفوق ـ لسان العرب: ١٠: ٣٥٣ ـ فَوَقَ.

الناصل: السهم المنكسر الفُوق الذي لا نصل فيه ـ لسان العرب: ١٤: ١٦٨ ـ نَصَلَ.

(١) أنساب الأشراف: ٣: ٢٠٧. تاريخ الأمم والملوك: ٤: ٣٨٥.

(٢) أنساب الأشراف: ٣: ٢٠١ و ٢٠٢. العقد الفريد: ٤: ٧٠.

(٣) واقصة: منزل بطريق مكة ـ معجم البلدان: ٥: ٤٠٧.

إليه ثلاثة آلاف مقاتل، وسار الضحّاك يطوي البيداء وجعل يقتل في الطريق كلّ من ظنّ أنّه من شيعة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، كما جعل ينهب أموال الناس، وسار حتّى انتهى إلى القطقطانة[١]، وقد أشاع القتل والدمار والخوف.

ثمّ سار حتّى انتهى إلى السماوة، ثمّ ولّى إلى الشام، أمّا السبب في هذه الغارات، فهو لإفهام الشعب العراقي أنّ حكومة الإمام عليه السلام عاجزة عن توفير الأمن والحماية لهم.

لقد انهار جيش الإمام عليه السلام انهياراً كاملاً، واستولى عليه الخوف، وكان باستطاعة معاوية احتلال العراق من دون أن يجد قوّة أمامه، وقد وصلت الغارات إلى حدود الكوفة عاصمة الإمام عليه السلام، ولم تتحرّك فرقة من الجيش لصدّ الاعتداء.

## دعاء الإمام عليه السلام على نفسه

وطافت بالإمام عليه السلام موجات مروّعة من الأسى والحزن على ما حلّ به من الأحداث الجسام التي جعل بعضها يتبع بعضاً، فقد رأى باطل معاوية قد استحكم، وأمره قد تمّ، ويرى الإمام أنّه في أرباض الكوفة قد فسد عليه جيشه، ومني بانقلاب مدمّر، وهو بمعزل عن جميع السلطات، وراح يدعو الله تعالى أن ينقله إلى جواره ويريحه من هذا المجتمع الضالّ، وقد روى البلاذري بسنده عن أبي صالح، قال: «شهدت عليّاً وقد وضع المصحف على رأسه وهو يقول: **اللّهُمَّ إِنِّي سَأَلْتُهُمْ مَا فِيهِ فَمَنَعُونِي ذلِكَ، اللّهُمَّ إِنِّي قَدْ مَلَلْتُهُمْ وَمَلُّونِي، وَأَبْغَضْتُهُمْ وَأَبْغَضُونِي، وَحَمَلُونِي عَلىٰ غَيْرِ خُلُقِي، وَعَلىٰ أَخْلَاقٍ لَمْ تَكُنْ تُعْرَفُ لِي، فَأَبْدِلْنِي خَيْراً لِي مِنْهُمْ، وَأَبْدِلْهُمْ بِي شَرّاً، وَمِثْ قُلُوبَهُمْ مَيْثَ الْمِلْحِ**[٢].

---

(١) **القُطْقُطانة**: موضع قرب الكوفة من جهة البرّية بالطفّ ـ معجم البلدان: ٤: ٤٢٤.

(٢) نهج البلاغة: ٦٧، خطبة ٢٥. أنساب الأشراف: ٣: ١٥٦. شرح نهج البلاغة لابن »

وأخذ الإمام عليه السلام يلحّ بالدعاء إلى الله تعالى لينقذه من هذا المجتمع الذي جرّعه الغصص والآلام، وقد استجاب الله تعالى دعاءه عليهم، فقد سلّط عليهم من بعده أرجاس البشريّة، فأمعنوا في ظلمهم وإذلالهم، فأخذوا البريء بالسقيم، والمقبل بالمدبر، وقتلوا على الظنّة والتهمة، فاستيقظوا بعد فقدهم للإمام، وأخذوا يندمون أشدّ الندم على ما اقترفوه من عصيانه وخذلانه.

## شهادة الإمام عليه السلام

واستجاب الله تعالى دعاء وليّه العظيم فنقله إلى حظيرة القدس مع أخيه وابن عمّه رسول الله صلى الله عليه وآله، وأراحه من ذلك المجتمع الضالّ، فقد اغتاله مجرم أثيم مشرك نجس، وهو عبدالرحمن بن ملجم عليه لعنة الله إلى يوم الدين، فقد علاه بسيفه وهو قائم يصلّي وفي شهر رمضان، وفي بيت من بيوت الله، فقدّ جبهته الشريفة التي طالما عفّرها بالسجود لله تعالى.

ولمّا أحسّ بلذع السيف انفرجت شفتاه عن ابتسامة، وراح صوته يدوّي في رحاب الجامع قائلاً: «**فُزْتُ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ**»[1].

أجل يا أمير المتّقين والموحّدين، أنت أوّل الفائزين، وأعظم الرابحين، فقد أخلصت لله تعالى في جهادك، وسايرت الحقّ منذ نعومة أظفارك، لم تداهن في دينك، ولم تؤثر رضا أحد على طاعة الله تعالى، ووقفت بعزم وشموخ أمام طغاة قريش، وأرغمت آنافهم التي أبت الخضوع لله تعالى، وأصرّت على السجود لأصنامها وأوثانها.

لقد فزت يا إمام الحقّ، وانتصرت قيمك، فأنت حديث الدهر مهما تطاولت لياليه أيّاماً وصرن لياليا، أمّا خصومك الحقراء فقد دفنهم التاريخ في مزبلة سحيقة

---

[1] أبي الحديد: ١: ٣٣٢ و ٣٣٣.

من مزابل الزمن تلاحقهم اللعنة والخسران.

سيّدي أبا الحسن، لقد جنت عليك وعلى الإنسانيّة أحداث السقيفة والشورى، التي جهدت على الحطّ من شأنك، وإعلاء شأن الأمويّين وجعلهم جبهة أمامك تستر مآثرك وفضائلك، وحرمت الأُمّة من قيمك وعلومك.

وحُمل الإمام عليه السلام من الجامع إلى بيته، فاستقبلته عائلته وأولاده بالصراخ والبكاء، فأمرهم الإمام عليه السلام بالخلود إلى الصبر والرضا بما كتب الله تعالى، والتفت إلى ولده الزكيّ الإمام الحسن عليه السلام قائلاً: **يا بُنَيَّ لَا تَبْكِ، فَأَنْتَ تُقْتَلُ بِالسُّمِّ، وَيُقْتَلُ أَخوكَ الْحُسَيْنُ بِالسَّيْفِ.**

وتحقّق ما أخبر به الإمام عليه السلام، فلم تمض الأيّام حتّى اغتال معاوية الإمام الحسن عليه السلام بالسمّ، أمّا الإمام الحسين عليه السلام فقد تناهبت جسمه السيوف والرماح، وتقطّعت أوصاله في صعيد كربلاء، وسبى الأمويّون عقائل الوحي ومخدّرات الرسالة بأوامر يزيد بن معاوية سيّد قريش، وأخذ الإمام العظيم يوصي أولاده بالقيم الإسلاميّة، وعهد إليهم أن لا يقتلوا غير قاتله، ولا يتّخذوا دمه ورقة لإثارة الفتنة وإراقة الدماء بين المسلمين كما فعل بنو أُميّة حينما قتل عميدهم عثمان بن عفّان.

وأخذ الإمام عليه السلام يعاني آلام الاحتضار، وهو يتلو آيات من الذكر الحكيم، وكان آخرها ما نطق به قوله تعالى: ﴿**لِمِثْلِ هٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ**﴾[1]

وأخذ الإمام يوصي أولاده بمكارم الأخلاق، ويضع بين أيديهم المثل الرفيعة، ويلقي عليهم الدروس القيّمة وقد وجّه عليه السلام نصائحه الرفيعة أوّلاً لولديه الحسن والحسين عليهما السلام، وثانياً لبقيّة أولاده ولعموم المسلمين، قائلاً: ﴿**لِمِثْلِ هٰذَا فَلْيَعْمَلِ**

---

(١) الصافّات ٣٧: ٦١.

﴿الْعَامِلُونَ﴾[١]، ثمّ فاضت نفسه الزكيّة تحفّها ملائكة الرحمان وأنبياء الله تعالى.

لقد مادت أركان العدالة، وانطمست معالم الدين، ومات أبو الفقراء، وصديق المحرومين، الذي جهد على إسعادهم وإنقاذهم من غائلة الفقر، وتوزيع خيرات الله تعالى عليهم.

وقام السبطان بتجهيز أبيهما فغسّلا الجسد الطاهر، وأدرجاه في أكفانه، وفي الهزيع الأخير من الليل حملوه إلى مقرّه الأخير في الغريّ، وقد واروا معه العدالة والقيم الإسلاميّة، وأصبحت البقعة المباركة التي دفن فيها أعظم مؤسّسة علميّة في الإسلام.

ولمّا أُذيع نبأ مقتله فرح معاوية، فقد تمّت بوارق آماله، وتمّ له الملك، واتّخذ يوم مقتله عيداً رسميّاً.

وعلى أي حال، فقد ترك الإمام عليه السلام في سيرته المثل الكريمة للإنسانيّة، وأبرز الواقع الإسلامي المشرق الهادف إلى إزالة الفوارق الاجتماعيّة، وإشاعة العدل والمساواة بين الناس على اختلاف قوميّاتهم ولغاتهم، وقد تحدّثنا في متارك حكومته في كتابنا (حياة الإمام الحسين بن عليّ عليه السلام).

---

(١) الصافّات ٣٧: ٦١.

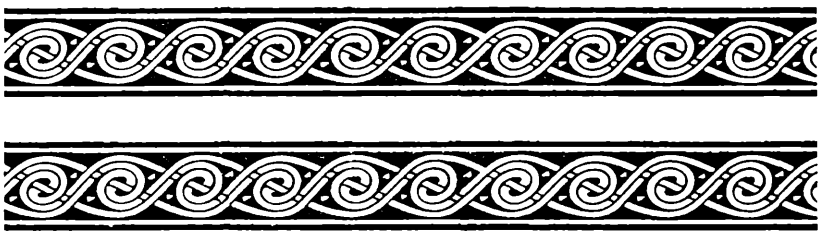

# خلافة الإمام الحسن بن عليّ عليه السلام

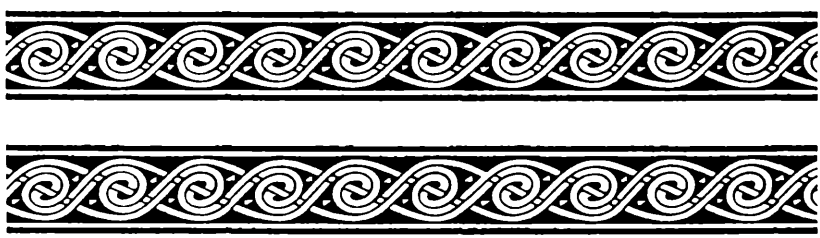

تسلّم الإمام الحسن الزكيّ عليه السلام بعد وفاة أبيه قيادة حكومة شكليّة ، فقد بايعته القوّات المسلّحة على كره ، وقد عصفت بها الفتن ومزّقتها الأحزاب والأطماع ، فقد كان معظم قادة الفرق مع معاوية يتسلّمون رشاواه وهباته وعطاياه ، في أيّام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وبعد وفاته ، وكان من أخطرهم على قطعات الجيش الخوارج ، فكانوا سوسة تنخر في خلايا الجيش ، وهم الذين سبّبوا الكوارث والخطوب للمسلمين .

وبعد ما تقلّد الإمام الحسن عليه السلام الخلافة تهيّأ لحرب عدوّ الله ورسوله معاوية بن أبي سفيان ، وقد أمر بعقد اجتماع لجميع قطعات الجيش ، فألقى عليهم خطاباً رائعاً ومؤثّراً ، دعاهم فيه إلى تلاحم القوى ووحدة الصفّ ، وحذّر فيه من الدعايات المضلّلة التي تبثّها أجهزة الحكم الأموي ، ثمّ ندبهم إلى الحرب .

فلمّا سمعوا ذلك انهارت قواهم وسادهم وجوم عميق ، ولم يستجب أحد منهم ، وانبرى الصحابي الجليل حجر بن عدي فأعلن دعمه الكامل للإمام عليه السلام ، ووجّه أعنف اللوم إلى الكوفيّين على موقفهم الانهزامي ، واستبان للإمام الحسن عليه السلام أنّ جيشه قد خلد إلى الراحة والسأم من الحرب ، قد خلع الطاعة وانساب في التمرّد والعصيان .

وعلى أي حال ، فقد نفر الإمام الحسن عليه السلام لحرب الطاغية ومعه أخلاط من الناس على حدّ تعبير الشيخ المفيد ، كان الكثيرون منهم من الخوارج الذين

يكنّون العداء والبغضاء لأهل البيت عليهم السلام، وكانت فرقة منهم من الشكّاكين وذوي الأطماع، وهذه القوى لم تؤمن برسالة أهل البيت، ولم تعرف مكانتهم المتميّزة في الإسلام.

وأسند الإمام عليه السلام قيادة جيشه إلى عبيدالله بن العبّاس الذي وتره معاوية بابنيه ليكون ذلك داعية لإخلاصه بالإضافة لقربه من الإمام عليه السلام، فهو ابن عمّ أبيه، وكان معه ثمانية آلاف جندي.

وحينما التقى جيشه بجيش معاوية مدّ إليه أسلاك مكره وخداعه، فمنّاه بمليون درهم دفع إليه نصفها والنصف الآخر عند الالتحاق به، وسال لعابه، فاستجاب له، ومال عن الحقّ، فالتحقّ بمعسكر الظلم والخيانة، ومعه ثمانية آلاف جندي، وتفلّلت جميع قواعد جيش الإمام بعد خيانة عبيدالله ابن العبّاس.

ولم تقتصر محنة الإمام عليه السلام وبلاؤه على خيانة عبيدالله بن العبّاس، وإنّما خان غيره من قادة جيش الإمام فالتحقوا بمعاوية، وتركوا الإمام الحسن عليه السلام سبط رسول الله صلى الله عليه وآله يصعّد آلامه وآهاته، وقد تجاوزت خيانة جيشه إلى ما هو أعظم من ذلك، فقد قامت عصابة منهم بأعمال بالغة الخطورة، كان منها:

## ١ ـ الاعتداء على الإمام الحسن عليه السلام

قام الرجس الخبيث الجرّاح بن سنان بالاعتداء على الإمام عليه السلام فطعنه في فخذه بمعول فهوى الإمام عليه السلام جريحاً، وحمل إلى المدائن لمعالجة جرحه.

## ٢ ـ الحكم عليه بالكفر

وحمل الجرّاح بن سنان على الإمام عليه السلام رافعاً عقيرته قائلاً: أشركت يا حسن كما أشرك أبوك، وكان هذا رأي الخوارج الكفرة الذين يشكّلون الأكثريّة الساحقة في جيش الإمام عليه السلام.

## ٣ـ نهب أمتعة الإمام عليه السلام

وعمد أرذال أهل الكوفة إلى نهب أمتعة الإمام وأجهزته حتّى نزعوا بساطاً كان يجلس عليه كما سلبوا منه رداءه.

## ٤ـ الخيانة العظمى

وأخطر خيانة قام بها بعض قادة جيش الإمام أنّهم كتبوا إلى معاوية يخبرونه بتسليم الإمام الحسن عليه السلام له أسيراً أو اغتياله متى رغب وشاء. وأقضّ ذلك مضجع الإمام لا خوفاً من القتل، وإنّما خشي تسليمه لمعاوية أسيراً، ومن المؤكّد أنّه لا يقتله، وإنّما يمنّ عليه فيطلق سراحه ويسجّل بذلك كرامة لبني أُميّة، كما حدّث الإمام بذلك بعد الصلح.

## حتميّة الصلح

وقف الإمام الحسن عليه السلام بعد هذه الأحداث الجسام التي أحاطت به متحيّراً، ورأى أنّه أمام أمرين لا بدّ أن يسلك أحدهما، وهما:

الأوّل: أن يفتح باب الحرب على معاوية، وهو على يقين لا يخامره شكّ أنّ الغلبة الحتميّة لا بدّ أن تكون لمعاوية، وهو أمّا أن يقتل هو وأصحابه وأهل بيته، ويخسر الإسلام أهمّ قادته الذين يمثّلون القيم الإسلاميّة من دون أن يستفيد المسلمون من هذه التضحية شيئاً، فإنّ معاوية بكذبه ومكره وخداعه يحمل مسؤوليّة تضحية الإمام عليه السلام عليه، ويلقي عليها ألف حجاب. هذا أوّلاً.

وثانياً: لو أنّ الإمام وقع أسيراً بيد معاوية لأذلّه وأطلق سراحه، ويكون ذلك سبّة على السادة العلويّين ومنقصة عليهم، وفخراً ومكرمة لأنذال الأمويّين.

وقد أدلى الإمام بذلك في حديثه الذي ألقاه على جيشه قائلاً:

**«وَاللهِ لَئِنْ أُسالِمَهُ وَأَنا عَزيزٌ أَحَبُّ مِنْ أَنْ يَقْتُلَني وَأَنا أَسيرٌ، أَوْ يَمُنَّ عَلَيَّ فَتَكونَ سُبَّةً عَلى بَني هاشِمٍ إِلى آخِرِ الدَّهْرِ، وَلِمُعاوِيَةَ لَا يَزالُ يَمُنُّ بِها وَعَقِبُهُ عَلَى الْحَيِّ مِنّا وَالْمَيِّتِ»**(١).

الثاني: أن يصالح معاوية فيحفظ للإسلام قادته، ويبرز واقع معاوية وخبث عنصره ولؤمه، وقد تحقّق ذلك بعد الصلح، فقد انكشف ذلك الكابوس المظلم، وعرف الناس على امتداد التاريخ جاهليّة معاوية وتجرّده من القيم الإنسانيّة.

لقد اختار الإمام عليه السلام الصلح على ما فيه من قذى في العين، وشجا في الحلق، ومن الجدير بالذكر أنّ الإمام عليه السلام جمع جيشه فعرض عليهم الحرب أو السلم، فتعالت الأصوات من كلّ جانب البقيّة البقيّة.

لقد كان الصلح واجباً شرعيّاً على الإمام عليه السلام، ومتعيّناً عليه لأنّه لم تكن عنده أيّة قوّة عسكريّة يناجز بها عدوّه الماكر الخبيث الذي لا يتحرّج من كلّ جريمة وإثم.

وقد شرط الإمام عليه السلام على معاوية شروطاً جرّدته من الخلافة الشرعيّة، ومن أهمّ تلك الشروط:

١ ـ أن لا يسمّيه أمير المؤمنين.

٢ ـ أن لا يقيم عنده الشهادة.

٣ ـ الأمن العامّ للمسلمين وللشيعة، ومن الواضح أنّه لو كان الحكم الذي يتمتّع به معاوية شرعيّاً لما شرط عليه ذلك، فقد أبرزته شروط الإمام بأنّه حاكم ظالم لا علاقة له بالإسلام.

---

(١) الاحتجاج: ٢: ١٠. بحار الأنوار: ٤٤: ٢٠، الحديث ٤.

## ندم معاوية

وندم معاوية في صلحه مع الإمام لأنّه قد تبيّن له خيانة الجيش العراقي، وأنّه على يقين أنّهم إمّا أن يغتالون الإمام أو يسلّموه أسيراً له، وقد أعلن ندمه في خطابه وأنّ ما أعطاه للإمام الحسن عليه السلام من الشروط فإنّها تحت قدميه لا يفي بشيء منها.

وبهذا ينتهي بنا الحديث عن خلافة الإمام الحسن عليه السلام، وقد بسطنا الموضوع وحلّلنا ضرورة الصلح في كتابنا (حياة الإمام الحسن بن عليّ عليهما السلام).

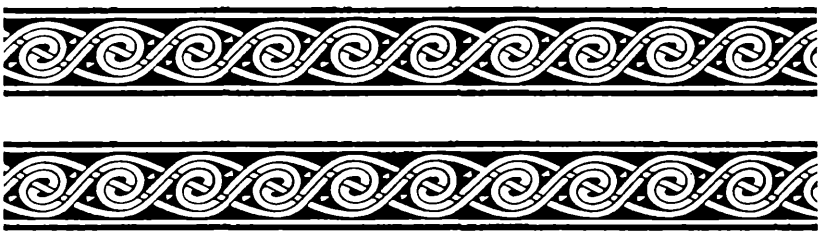

# حكومة معاوية

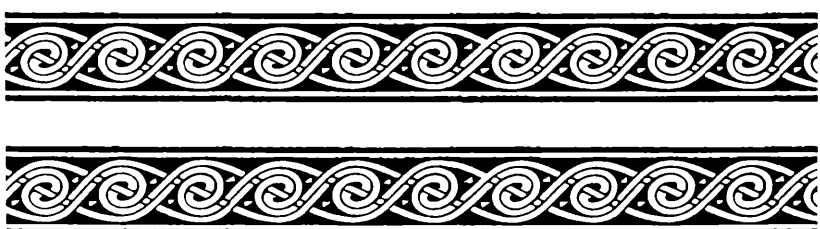

وتفجّرت حكومة معاوية بكلّ ما خالف كتاب الله تعالى وسنّة نبيّه ، فلم يبق لله تعالى حرمة إلّا انتهكها ، ولا سنّة إلّا غيّرها ، وأشاع الجور والظلم والفساد ، وقد عرضنا في البحوث الأُولى من هذا الكتاب إلى بعض جرائمه وموبقاته ، وهذا عرض آخر لبعضها في أيّام حكومته :

## سبّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام

وكان أسوء عمل قام به معاوية بعد الصلح إعلانه سبّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في خطب الجمعة والأعياد ، ومعاهد التربية والتعليم ، وجعله جزء من الحياة الإسلاميّة .

لقد بذل معاوية جميع طاقاته للنيل من الإمام ، والحطّ من شأنه ، لأنّ قيم الإمام عليه السلام تطارده وتلاحق الخونة وسرّاق أموال الشعوب في جميع الأعصار .

والشيء المؤكّد أنّ سبّ الإمام أمير المؤمنين وانتقاصه إنّما هو سبّ لرسول الله صلى الله عليه وآله ، وانتقاص له ، فقد تواترت الأخبار بذلك ، فقد أُثر عن النبيّ صلى الله عليه وآله ما يلي :

١ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «**مَنْ سَبَّ عَلِيّاً فَقَدْ سَبَّني ، وَمَنْ سَبَّني فَقَدْ سَبَّ اللهَ تَعالىٰ**»[1] .

---

(١) مستدرك الحاكم : ٢ : ١٢٢ . ذخائر العقبى : ٦٦ .

٢ ـ قال ﷺ: «**مَنْ آذىٰ عَلِيّاً فَقَدْ آذاني**»[١].

وتظافرت الأخبار عن النبيّ ﷺ في سموّ شخصيّة الإمام وعظيم شأنه، وهذه نماذج منها:

قال ﷺ في غدير خم: «**اللّٰهُمَّ والِ مَنْ والاهُ، وَعادِ مَنْ عاداهُ، وَانْصُرْ مَنْ نَصَرَهُ، وَاخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ**»[٢].

وقال ﷺ: «**يا عَلِيُّ أَنْتَ مِنّي بِمَنْزِلَةِ هارُونَ مِنْ مُوسىٰ، إِلّا أَنَّهُ لا نَبِيَّ بَعْدي**»[٣].

وهو نفس النبيّ ﷺ حسب ما دلّت عليه آية المباهلة، وغيرها من الأحاديث المتواترة، كما تظافرت بذلك الأخبار عن النبيّ ﷺ، إلّا أنّ معاوية ضربها عرض الجدار.

وعلى أي حال، فإنّ معاوية حينما رجع إلى دمشق بعد الصلح جمع الشاميّين، فألقى عليهم خطاباً جاء فيه: أيّها الناس، إنّ رسول الله ﷺ قال لي: إنّك ستلي الخلافة من بعدي، فاختر الأرض المقدّسة ـ يعني الشام ـ فإنّ فيها الأبدال، وقد اخترتكم، فالعنوا أبا تراب.

وأخذ الشاميّون في لعن الإمام عليه السلام وانتقاصه، ثمّ اتّخذ سبّ الإمام عليه السلام سنّة جارية في خطب الجمعة، وكان يقول في آخر خطبته: اللّهمّ إنّ أبا تراب ألحد في دينك، وصدّ عن سبيلك، فالعنه لعناً وبيلاً، وعذّبه عذاباً أليماً.

وكتب الطاغية الفاجر إلى جميع عمّاله وولاته بلعن أخي رسول الله وسيّد هذه الأُمّة، فانبرى الخطباء الذين يعيشون على موائد السلطة بلعن الإمام عليه السلام تقرّباً

---

(١) مسند أحمد بن حنبل: ٢: ٤٨٢. أُسد الغابة: ٤: ١١٢.

(٢) مسند أحمد بن حنبل: ١: ١١٩.

(٣) صحيح مسلم: ٧: ١٢٠.

لابن هند، وسار عمّاله على هذا الخطّ، ومن أبى منهم عزله، وقد عزل سعيد بن العاص عن إمارة المدينة لأنّه امتنع من سبّ الإمام عليه السلام، وجعل مكانه مروان بن الحكم، وقد بالغ هذا الوغد الخبيث في لعن الإمام وانتقاصه[١].

وسار الأمويّون على خطّ معاوية في سبّ الإمام عليه السلام، وكان خالد بن عبدالله القسري أحد ولاة الأمويّين يجاهر بلعن الإمام أمير المؤمنين والحسن والحسين عليهم السلام، ويقول: اللّهمّ العن عليّ بن أبي طالب بن عبدالمطّلب بن هاشم صهر رسول الله صلى الله عليه وآله على ابنته وأبا الحسن والحسين.

ثمّ يلتفت إلى الحاضرين ويقول لهم: هل كنيت[٢].

وذكر الحافظ السيوطي أنّه كان في أيّام بني أُميّة أكثر من سبعين ألف منبر يُلعن عليها الإمام عليّ بن أبي طالب، وفي ذلك قال أحمد حفظي الشافعي:

وَقَدْ حَكَى الشَّيخُ السَّيوطِيُّ أَنَّه ... قَدْ كانَ فيما يَجْعَلوهُ سُنَّه

سَبعونَ أَلفَ مِنْبرٍ وَعَشَرَة ... مِنْ فَوقِهِنَّ يَلعَنونَ حَيدَرَه

وَهذِهِ في جَنْبِها العَظائِمُ ... تَصغُرُ بَلْ تُوجَّهُ اللَّوائِمُ[٣]

لقد انتشر سبّ أخي رسول الله صلى الله عليه وآله في جميع الأقطار، ومن أنكر ذلك تعرّض لسخط السلطة وعقوبتها، حتّى جاء دور عمر بن عبدالعزيز، فمنع رسمياً سبّ الإمام عليه السلام في خطب الجمعة والأعياد، وجعل مكانه الآية: ﴿ **رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ** ﴾[٤].

---

(١) تطهير الجنان واللسان: ١٤٢.

(٢) و (٣) النصائح الكافية لمن يتولّى معاوية: ٧٩.

(٤) الحشر ٥٩: ١٠. وقيل جعل مكان هذه الآية آية أُخرى وهي قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ** ﴾

يـــابنَ عَـبدِالعَـزيزِ لَـوْ بَكَتِ العَـ ... يـــنُ فَـتىً مِـنْ أُمَـيّةٍ لَـبَكَيْتُكْ
غَـــيرَ أَنّـي أَقـولُ إِنَّكَ قَـدْ طِـبْـ ... ـتَ وَإِنْ لَمْ يَطِبْ وَلَـمْ يَـزْكُ بَـيْتُكْ
أَنتَ نَـــزَّهْتَنا عَـنِ السَّبِّ والقَـذْ ... فِ فَـلَو أَمْكَـنَ الجَـزاءُ جَـزَيْتُكْ
وَلَـــو أَنّـي رَأَيتُ قَـبرَكَ لَاسْـتَحْ ... يَـيْتُ مِـنْ أَنْ أُرىٰ وَمـا حَـيَّيْتُكْ
وقَـــليلٌ لَـــوْ أَنْ بَـزَلْتُ دِمـاءَ الـ ... ـبُدنِ صِرْفاً عَـلَى الذُّرىٰ وَسَـقَيْتُكْ
دَيْرَ سَمْعانَ فـيكَ مَـأْوىٰ أَبـي حَـفـ ... ـــصٍ فَـبِوُدّي لَـو أَنَّـني آوَيْـتُكْ
دَيْـــرَ سَـــمْعانَ لا أَغَـبَّكَ غَـيثٌ ... خَيرُ مَيْتٍ مِنْ آلِ مَـروانَ مَـيْتُكْ[1]

لقد قدّم السيّد الشريف الرضيّ آيات الشكر والثناء لعمر بن عبدالعزيز على هذه اليد البيضاء التي أسداها إلى العلويّين، فقد ألغى القذف والسبّ عن بطل الإسلام، الذي حطّم أُنوف القرشيّين وحصد رؤوسهم في سبيل الدعوة إلى الله وتطهير الأرض من الأصنام والأوثان.

## إنكار ابن عبّاس على السابّين للإمام عليه السلام

اجتاز ابن عبّاس على عصابة تسبّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، فقال لقائده: أدنني منهم، فأدناه فقال لهم: أيّكم السابّ الله؟

فانبروا قائلين: سبحان الله! مَن يسبّ الله تعالى فقد أشرك.

قال: أيُّكم السابّ رسول الله؟

قالوا: نعوذ بالله أن نسبّ رسول الله!

---

﴿ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ النحل ١٦: ٩٠.

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٤: ٦٠.

قال : أيّكم السابّ عليّ بن أبي طالب ؟

أمّا هذا فنعم .

وراح ابن عبّاس يدلي عليهم ما سمعه من رسول الله ﷺ في عليّ قائلاً : **مَنْ سَبَّني فَقَدْ سَبَّ اللهَ ، وَمَنْ سَبَّ عَلِيَّ بْنَ أَبي طالِبٍ فَقَدْ سَبَّني .**

فأطرقوا برؤوسهم لا يملكون حجّة وجواباً ، وتركهم قد استولى عليهم الوجوم .

والتفت ابن عبّاس إلى قائده فقال له : كيف رأيتهم ؟

فأجابه :

نَظَروا إِلَيْكَ بِأَعْيُنٍ مُحْمَرَّةٍ نَظَرَ التُّيوسِ إِلى شِفارِ الجازِرِ

فأنس ابن عبّاس وقال : زدني فداك أبي وأُمّي ؟

خُزْرُ العُيونِ مُنَكِّسي أَذْقانِهِمْ نَظَرَ الذَّليلِ إِلى العَزيزِ القاهِرِ

وراح ابن عبّاس يطلب منه المزيد ، فقال له : ما عندي مزيد ، ولكن عندي :

أَحياؤُهُمْ خِزْيٌ عَلىٰ أَمواتِهِمْ وَالمَيِّتونَ فَضيحةٌ لِلغابِرِ[1]

لقد غذّى معاوية المجتمع ببغض أمير المؤمنين ، وهو الذي قام الدين بجهاده وجهوده ، ولكن قد انكشف زيفه وباءت جهوده بالفشل والخسران ، فها هو الإمام الرمز المقدّس للإسلام وللإنسانيّة بمثله ومكوّناته النفسيّة ، وعدوّه الألدّ عاد شعاراً للرذيلة ومثالاً أسوداً للآثام والمنكرات .

وجرت محادثة بين ابن عبّاس ومعاوية أعرب فيها معاوية عن عدائه العارم للإمام وحجبه لمآثره وفضائله ، وقد جرت هذه المحادثة بعد عام الصلح حينما حجّ معاوية بيت الله الحرام ، فاجتاز على جماعة فيهم ابن عبّاس ، فقاموا له تكريماً

---

(١) مروج الذهب : ٢ : ٢٩٩ . الرياض النضرة : ٢ : ١٦٦ . أمالي الصدوق : ١٥٧ ، الحديث ١٥١ .

سوى ابن عبّاس ، فبادر معاوية قائلاً: ما منعك من القيام كما قام أصحابك إلّا لموجدة علَيَّ بقتالي إيّاكم يوم صفّين ؟

يابن عبّاس ، إنّ ابن عمّي عثمان قُتل مظلوماً .

فأجابه ابن عبّاس ببالغ الحجّة : فعمر بن الخطّاب قد قُتل مظلوماً ، فسلّم الأمر إلى ولده ، وهذا ابنه ، وأشار إلى عبدالله بن عمر .

وأجابه معاوية : إنّ عمر قتله مشرك .

وردّ عليه ابن عبّاس : فمن قتل عثمان ؟

فقال معاوية : قتله المسلمون .

فأجاب ابن عبّاس بمنطقه الفيّاض : فذلك أدحض لحجّتك ، إن كان المسلمون قتلوه وخذلوه فليس إلّا بحقّ !

واندفع معاوية بغضب وغيظ مهدّداً لابن عبّاس قائلاً: فإنّا كتبنا إلى الآفاق ننهى عن ذكر مناقب عليّ وأهل بيته ، فكفّ لسانك يابن عبّاس .

- أتنهانا عن قراءة القرآن ؟
- لا .
- أتنهانا عن تأويله ؟
- نعم .
- فنقرأه ولا نسأل عمّا عنى الله تعالى به ؟
- نعم .
- فأيّهما أوجب علينا قراءته أو العمل به ؟
- العمل به .
- فكيف نعمل به حتّى نعلم ما عنى الله بما أنزل علينا ؟
- سل عن ذلك من يتأوّله على غير ما تتأوّله أنت وأهل بيتك .

- إنّما أُنزل القرآن على أهل بيتي ، فاسأل عنه آل أبي سفيان وآل أبي معيط ؟!

- فاقرأوا القرآن ، ولا تروا شيئاً ممّا أنزل الله فيكم ، وممّا قال رسول الله ، وارووا ما سوى ذلك .

فأجابه ابن عبّاس بهذه الآية : ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾[1] .

ولم يستطع معاوية أن يتكلّم ، فقد عجز عن مجاراة ابن عبّاس والردّ عليه وقال له : يابن عبّاس ، اكفني نفسك ، وكفّ عنّي لسانك ، وإن كنت فاعلاً فليكن سرّاً ، ولا تسمعه أحداً علانية[2] .

لقد جهد ابن هند بجميع طاقاته على ستر مآثر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، والحطّ من قيمه ، وتشويه سيرته ، ولكنّه باء بالخسران المبين ، فقد برز الإمام عليه السلام على ساحة الوجود كأعظم مصلح إنساني تعنوا له الجباه ، وتستلهم العلماء من تراثه وسيرته الدروس التي ينتفع بها الناس .

## الأحنف بن قيس ومعاوية

أمّا الأحنف بن قيس فهو من سادات العرب بما يملك من وفور العقل وقوّة البأس ، وقد وفد على معاوية ، وحينما استقرّ به المجلس قام أحد الشاميّين خطيباً ، فافتتح خطابه بسبّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام والنيل منه ، وورم أنف الأحنف وامتلأ غيظاً ، فقال معاوية : إنّ هذا القائل لو يعلم أنّ رضاك في لعن المرسلين لعنهم ، فاتّق الله يا معاوية ، ودع عنك عليّاً ، فلقد لقي ربّه ، وأُفرد بقبره ، وخلي بعمله ، كان والله مبروراً في سبقه ـ أي إلى الإسلام ـ طاهر الثوب ، ميمون النقيبة ، عظيم المصيبة .

---

(١) التوبة ٩: ٣٢.

(٢) كتاب سليم بن قيس: ٣١٦. الاحتجاج: ٢: ١٦ و ١٧. بحار الأنوار: ٣٣: ١٧٨ و ١٧٩.

فالتاع معاوية من هذا التقريع، وتألّم من هذا الثناء العاطر على أمير المؤمنين عليه السلام أمام أهل الشام.

فالتفت إلى الأحنف قائلاً: يا أحنف، لقد أغضيت العين على القذى وقلت ما ترى، أما والله لتصعدن المنبر وتلعن عليّاً كرهاً أو طوعاً.

فأجابه الأحنف: إن تعفني فهو خير لك، وإن تجبرني على ذلك فوالله لا تجري شفتاي به أبداً.

فقال له بعنف: قم فاصعد المنبر.

فأجابه الأحنف: أما والله لأنصفنّك في القول والفعل.

- وما أنت قائل إن أنصفتني ؟!

فقال الأحنف: أصعد المنبر فأحمد الله وأثني عليه، وأُصلّي على نبيّه محمّد صلى الله عليه وآله، ثمّ أقول: أيّها النّاس، إنّ أمير المؤمنين معاوية أمر أن ألعن عليّاً، وإنّ عليّاً ومعاوية اختلفا واقتتلا فادّعى كلّ واحد منهما أنّه بُغي عليه وعلى فئته، فإذا دعوت فأمّنوا رحمكم الله، ثمّ أقول: اللّهمّ العن أنت وملائكتك وأنبياؤك وجميع خلقك الباغي منهما على صاحبه، والعن الفئة الباغية، اللّهمّ العنهم لعناً كثيراً، أمّنوا رحمكم الله.

يا معاوية، لا أزيد على هذا ولا أنقص حرفاً، ولو كان فيه ذهاب روحي.

فراوغ معاوية وقال: إذاً نعفيك يا أبا بحر[1].

## السيّدة أُمّ سلمة مع معاوية

رفعت السيّدة أُمّ سلمة رسالة استنكار لمعاوية أعربت فيها عن سخطها لسبّه

---

(١) العقد الفريد: ٢: ١٤٤. المستطرف: ١: ٥٤. ثمرات الأوراق: ٥٩.

للإمام أمير المؤمنين عليه السلام جاء فيها: «إنّكم تلعنون الله ورسوله على منابركم، وذلك أنّكم تلعنون عليّ بن أبي طالب عليه السلام ومن أحبّه، وأنا أشهد أنّ الله أحبّه ورسوله».

ولكن إنكارها لم يجد شيئاً، فقد بقي معاوية مصرّاً على غيّه وإثمه[1].

ودخل أبو عبدالله الجدلي على أُمّ سلمة، فقالت له: أيسبّ رسول الله صلى الله عليه وآله فيكم؟

- معاذ الله، أو سبحان الله!

فبادرت قائلة: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: **مَنْ سَبَّ عَلِيّاً فَقَدْ سَبَّني**[2].

## سعد بن أبي وقّاص مع معاوية

قصد معاوية بعد عام الصلح بيت الله الحرام، وبعد فراغه من الطواف توجّه إلى دار الندوة، فلمّا استقرّ به المجلس أخذ في سبّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، فغضب سعد وقال له: يا معاوية، أجلستني على سريرك، ثمّ شرعت في سبّ عليّ، والله لإن يكون فيَّ خصلة واحدة من خصال كانت لعليّ أحبّ إليَّ من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس، والله لإن أكون صهراً لرسول الله صلى الله عليه وآله ولي من الولد ما لعليّ أحبّ إليَّ من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس.

والله لإن يكون رسول الله صلى الله عليه وآله قال لي ما قال فيه يوم خيبر: **لَأُعْطِيَنَّ الرّايَةَ غَداً رَجُلاً يُحِبُّهُ اللهُ وَرَسولُهُ، وَيُحِبُّ اللهَ وَرَسولَهُ لَيْسَ بِفَرّارٍ، يَفْتَحُ اللهُ عَلىٰ يَدَيْهِ** أحبّ من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس.

والله لئن يكون رسول الله صلى الله عليه وآله قال لي ما قال له في غزوة تبوك: **أَلا تَرْضَىٰ أَنْ تَكونَ**

---

(١) العقد الفريد: ٣: ١٢٧.

(٢) مستدرك الصحيحين: ١: ١٢١.

مِنّي بِـمَنْزِلَةِ هـارونَ مِـنْ مُـوسىٰ ، إلّا أَنَّـهُ لَا نَـبِيَّ بَـعْدِي ، أحبّ إليَّ مـن أن يكـون لي ما طلعت عليه الشمس ، وأيم الله ما دخلت لك داراً ما بقيت ، ثمّ نهض وهـو غضبان[١].

إنّ سبّ الإمام عليه السلام وانتقاصه قد أثار موجة من الاستياء الشامل عـند الأوسـاط الواعية ، فهذا كثير بن كثير السهمي قد لعن الذين يسبّون الإمام بهذه الأبيات :

لعَـنَ اللهُ مَـنْ يَسُبُّ عَـلِيّاً ... وَحُسَـيْناً مِـنْ سـوقَةٍ وَإِمـامِ
أَيَسَبُّ المُـطَهَّرونَ جُـدوداً ... وَالكِرامُ الأَخْوالِ وَالأَعْـمامِ
يَأْمَنُ الطَّيرُ والحَـمامُ ولا يَـأْ ... مَنُ آلَ الرَّسولِ عِندَ المَـقامِ
طِبْتَ بَيْتاً وطابَ أَهْلُكَ أَهلاً ... أَهْلُ بَـيْتِ النَّـبِيِّ وَالإِسْـلامِ
رَحْـمَةُ اللهِ والسَّـلامُ عَـلَيهِمْ ... كُـلَّما قـامَ قـائِمٌ بِسَـلامِ[٢]

ومن الناقمين على السلطة أبو بكرة ، فقد جابه بالنقد بسر بـن أبـي أرطـاة مـن قوّاد جيش معاوية حينما بالغ بسبّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام على المنبر ، والتفت إلى الحاضرين فقال لهم : ناشدت الله رجلاً علم أنّي صادق إلّا صدّقني ، أو كاذب إلّا كذّبني .

---

(١) مروج الذهب : ٢ : ٣١٧ .

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ١٥ : ٢٥٦ .

وذكر ابن أبي الحديد هذه الأبيات ونسبها إلى عبدالله بن كثير السهمي ، وهو اشتباه ، إذ لم يوجد في كتب التراجم هذا الاسم ، والموجود كثير بن كثير ، وأنّ هذه الأبيات له .

وذكره المرزباني في معجم الشعراء : ٢ : ٣٤٨ ، وقال : إنّ السبب في نظمه لهذه الأبيات أنّه سمع عبدالله بن الزبير يتناول أهل البيت فـنظمها ، وقـيل : إنّ السـبب فـي نـظمها أنّ هشام بن عبدالملك كتب إلى عامله بالمدينة أن يأخذ الناس بسبّ أمير المؤمنين ، فـمن أجل ذلك نظم كثير هذه الأبيات .

فقال أبو بكرة: اللّهمّ لا نعلمك إلّا كاذباً!

فطاش عقل بسر وأمر بأبي بكرة فخنق ثمّ أنقذوه منه[١].

لقد جهد معاوية وأذنابه وعملاؤه على محو اسم الإمام عليه السلام وإزالة أرصدته الروحيّة، ولكنّهم باءوا بالخسران، فها هو عليّ قد استوعب ذكره بفخر واعتزاز جميع مناطق العالم، وأمّا معاوية فهو موضع الاحتقار.

وقد وقف الشاعر الكبير محمّد مجذوب على قبره الذي هو في إحدى مزابل الشام ونظم قصيدته الرائعة التي منها هذه الأبيات:

هذا ضَريحُكَ لَو بَصُرْتَ بِبُؤْسِهِ ... لَأَسالَ مَدمَعَكَ المَصيرُ الأَسْوَدُ

كُتِّلَ مِنَ التُّربِ المُهينِ بِخَربَةٍ ... سَكَنَ الذُّبابُ بِها فَراحَ يُعَرْبِدُ

خَفِيَتْ مَعالِمُها عَلىٰ زُوّارِها ... فَكَأَنَّها في مَجْهَلٍ لا يُقْصَدُ

وَمَشىٰ بِها رَكْبُ البِلا فَجِدارُها ... عارٍ يَكادُ مِنَ الضَّراعَةِ يَسْجُدُ

وَالقُبَّةُ الشَّمّاءُ نُكِّصَ طَرفُها ... فَبِكُلِّ جُزْءٍ لِلفَناءِ بِها يَدُ

تَهمي السَّحائِبُ مِنْ خِلالِ شُقوقِها ... والرّيحُ في جَنَباتِها تَتَرَدَّدُ

حَتّى المُصَلّىٰ مُظْلِمٌ فَكَأَنَّهُ ... مُذْ كانَ لَمْ يَجْتَزْ بِهِ مُتَعَبِّدُ[٢]

## التنكيل بشيعة أهل البيت عليهم السلام

من موبقات معاوية في أيّام حكومته أنّه أنزل العقاب الصارم بشيعة أهل البيت عليهم السلام، وكان من بين ما عانوه من قساوة الظلم في عهده ما يلي:

---

(١) تاريخ الأمم والملوك: ٤: ١٢٨.

(٢) شرح الأخبار: ٢: ١٧٣.

## القتل الجماعي

هذه صور مؤلمة من الإبادة الجماعيّة لشيعة أهل البيت عليهم السلام :

١ ـ أعدم الارهابي المجرم بسر بن أبي أرطاة ثلاثين ألفاً عدا من أحرقهم بالنار[١]، وذلك لولائهم للإمام أمير المؤمنين عليه السلام .

٢ ـ قتل الرجس الخبيث سمرة بن جندب ثمانية آلاف من أهل البصرة[٢] الذين يدينون بالولاء لأهل البيت عليهم السلام .

٣ ـ أمّا المجرم الخبيث زياد بن أبيه فقد أسرف في إبادة الشيعة ، فقتل على الظنّة والتهمة ، وأخذ البريء بالسقيم ، والمقبل بالمدبر ، وقطع الأيدي والأرجل ، وسمل العيون ، وأنزل بالشيعة صنوفاً من البلاء ما لا يوصف لمرارته وقسوته .

## سبي النساء

سبى المجرم الخبيث بسر بن أبي أرطاة نساء همدان ، وأقمن في الأسواق ، فأيّهنّ كانت أعظم ساقاً بيعت ، وهنّ أوّل نساء مسلمات سبين في الإسلام[٣] ، وجرى عليهنّ هذا الظلم لأنّهنّ من همدان الذين هم من شيعة الإمام عليه السلام .

## هدم الدور

وأوعز معاوية إلى عمّاله بهدم دار كلّ مَن ينتمي بالولاء للإمام أمير المؤمنين عليه السلام[٤] .

---

(١) شرح نهج البلاغة : ٢ : ١٧ .

(٢) الاستيعاب : ٢ : ١٦٥ .

(٣) حياة الإمام الحسين بن عليّ عليه السلام : ٢ : ١٦٨ .

(٤) أعيان الشيعة : ٤ : ٤٦ .

## الحرمان من العطاء

وأصدر معاوية مرسوماً بالحرمان من العطاء لكلّ من يدين بالمحبّة للإمام[١].

## عدم قبول شهادة الشيعي

وأوعز ابن أبي سفيان إلى محاكم القضاء عدم قبول شهادة الشيعة في مجالس القضاء[٢].

وتحدّث بعض الأصفياء مع محمّد بن الحنفيّة ما لاقاه أتباع أهل البيت من صنوف التعذيب والظلم بقوله: فما زال بنا الشين في حبّكم حتّى ضربت عليه الأعناق، وأُبطلت الشهادات، وشرّدنا في البلاد، وأُوذينا حتّى لقد هممت أن أذهب فى الأرض قفراً فأعبد الله تعالى حتّى ألقاه لولا أن يخفى علَيَّ أمر آل محمّد صلى الله عليه وآله[٣].

لقد عانى شيعة أهل البيت عليهم السلام أشقّ ألوان المحن والخطوب من معاوية وأتباعه الذين انطوت نفوسهم على معاداة الله ورسوله وأوليائه.

## تصفية رموز التشيّع

وجهد معاوية على تصفية رموز الشيعة الذين يعرفون منزلة أهل البيت عليهم السلام، وأنّهم الدعاة إلى الله تعالى، والأدلّاء على مرضاته، وأنّ مَن عاداهم فليس له نصيب من الإسلام.

ومن الرموز الذين صفّاهم هذا الطاغية:

---

(١) شرح نهج البلاغة: ١١: ٤٥.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١١: ٤٤. ذخيرة الدارين: ١٩.

(٣) الطبقات الكبرى: ٥: ٩٥.

## حجر بن عدي

أمّا حجر بن عدي فله مكانة متميّزة في الإسلام، فهو من الصحابة الأخيار الذين كانوا مع خطّ أهل البيت عليهم السلام، وكان قائداً شجاعاً صادق الإيمان، وهو الذي فتح مرج عذراء وأعدمه معاوية فيها.

وكان عظيماً في إيمانه وطاعته لله تعالى، وقد روى المؤرّخون أنّه ما أحدث إلّا توضّأ، وما توضّأ إلّا صلّى، وكان كثير العبادة ومستجاب الدعاء، وقد أصابته جنابة لمّا أُخذ أسيراً إلى الطاغية، فطلب من الموكّل على حمايته أن يعطيه شرابه ليتطهّر به، فخاف أن يعطيه فيموت عطشاً في الطريق فيقتله معاوية، وشقّ على حجر أن يظلّ جنباً، فدعا الله تعالى أن يمكّنه من الماء، فاستجاب الله تعالى دعاءه، فأطلّت عليه سحابة فسكبت ماء غزيراً فاغتسل منه[١].

وبقي حجر في أيّام الطاغية معاوية الذي تمادى في الباطل والمنكر، فرأى أنّ واجبه الشرعي أن ينكر عليه سياسته السوداء القائمة على الظلم والطغيان، فأنكرها حجر أشدّ ما يكون الإنكار صرامة، وقد رأى والي معاوية على الكوفة المغيرة بن شعبة على المنبر يسبّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، فانبرى إليه بعنف قائلاً: ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ﴾[٢]، وأنا أشهد أنّ من تذمّون وتعيّرون لأحقّ بالفضل، ومَن تزكّون أوْلى بالذمّ.

ووثب أصحابه فقالوا بمثل مقالته، وضاق المغيرة منه، فالتفت إليه قائلاً: يا حجر، لقد رمي بسهمك إذ كنت أنا الوالي عليك. يا حجر اتّق غضب السلطان اتّق غضبه وسطوته، فإنّ غضبة السلطان ممّا يهلك أمثالك كثيراً[٣].

---

(١) الإصابة: ١: ٣١٣.

(٢) النساء ٤: ١٣٥.

(٣) الكامل في التاريخ: ٣: ٤٧٣.

ولم يحفل به حجر، وظلّ متحمّساً لعقيدته ودينه، وأشار على المغيرة عصابة من أتباع السلطة الذين يعيشون على مائدتها بقتل حجر، فامتنع من إجابتهم، وقال: لا أُحبّ أن يُبْتدأ أهل هذا المصر بقتل خيارهم، وسفك دمائهم، فيسعدوا بذلك وأشقى، ويعزّ في الدنيا معاوية، ويذلّ يوم القيامة المغيرة.

ولم تزل بطانة المغيرة تلحّ عليه في أمر حجر، فأجابهم جواب المنافق قائلاً: إنّي قد قتلته.

وبادروا قائلين: كيف ذاك؟

- إنّه سيأتي أمير بعدي فيحسبه مثلي فيصنع به شبيهاً بما ترونه يصنع بي، فيأخذه عند أوّل وهلة فيقتله شرّ قتلة[1].

وهلك المغيرة، وولي الكوفة من بعده زياد بن سميّة الطاغية الفاجر، فجعل حجر ينكر عليه سياسته السوداء، وكان منها أنّه خطب يوم الجمعة فأطال في خطابه حتّى ضاق وقت الصلاة، فانبرى إليه حجر بعنف قائلاً: الصلاة.

فلم يعتن به الفاجر، ولم يعر للصلاة أي اهتمام، ومضى في خطابه وخشي حجر فوت الصلاة فأخذ كفّاً من الحصى ورماه بها، وثار الناس معه.

ونزل زياد عن المنبر وقد ورم أنفه من الغضب وعزم على التنكيل بحجر، وصعد على المنبر فهدّد حجراً وتوعّده وقال له: ما أنا بشيء إن لم أمنع ساحة الكوفة من حجر وأدعه نكالاً لمن بعده، ويل أُمّك يا حجر «سقط العشاء بك على سرحان، ثمّ تمثّل بقول الشاعر:

أَبْلِغْ نَصيحَةَ إِنَّ راعِيَ إِبلِها ... سَقَطَ العِشاءُ بِهِ عَلىٰ سَرْحانِ[2]

---

(١) تاريخ الأُمم والملوك: ٤: ١٨٩.

(٢) البداية والنهاية: ٨: ٥٦.

وأرسل جماعة من وجوه الكوفة إلى حجر ليردّوه عن خطّته، فامتنع حجر من إجابتهم، وأصرّ على عقيدته من التحدّي للسلطة إذا أصرّت على اقتراف المنكر والظلم، وأوعز زياد إلى شرطته بإلقاء القبض عليه، فلم تستطع ذلك، فقد التفت حول حجر كوكبة من المؤمنين تحميه وتذبّ عنه، وكان قيس بن فهد الكندي يلهب نار الحماس والثورة في نفوس أصحابه، ويدعوهم إلى حمايته وينشد فيهم هذا الشعر:

يا قَوْمَ حُجْرٍ دافِعوا وَصاوِلوا ... وَعَنْ أَخيكُمْ ساعَةً فَقاتِلوا
لا يُلقَيَنْ مِنْكُمْ لِحُجرٍ خاذِلُ ... أَلَيسَ فيكُمْ رامِحٌ وَنابِلُ
وَفارِسٌ مُسْتَلئِمٌ وَراجِلُ ... وَضارِبٌ بِالسَّيفِ لَا يُزايِلُ[1]

وتحصّن حجر وأصحابه فلم يتمكّن عليهم زياد، وأخذ يهدّد وجوه أهل الكوفة ويتوعّدهم إن لم يأتوا بحجر وأصحابه، وبعد صراع رهيب استطاعت جلاوزة السلطة من إلقاء القبض عليه مع كوكبة من أصحابه، فأُودعوا في السجن، وطلب زياد من أهل الكوفة أن يشهدوا على حجر وأصحابه فكتبوا وثيقة جاء فيها أنّه يوالي عليّاً ويعيب عثمان وينال من معاوية، فلم يرتض بذلك.

وكتب أبو بردة بن موسى الأشعري وثيقة أُخرى جاء فيها: إنّ حجر بن عدي خلع الطاعة وفارق الجماعة، ولعن الخليفة، ودعا إلى الحرب، وجمع إليه الجموع يدعوهم إلى نكث البيعة، وكفر بالله تعالى كفرة صلعاء[2]، ورضي بهذا زياد ووقّع فيها وجهاء أهل الكوفة، أمثال شبث بن ربعي وشمر بن ذي الجوشن، وغيرهم من العتاة.

---

(١) تاريخ الأُمم والملوك: ٤: ١٩٣.

(٢) تاريخ الأُمم والملوك: ٤: ٢٠٠. أعيان الشيعة: ١: ٤٣.

وأمر زياد بإخراج حجر في ظلام الليل، وصعدت السيّدة ابنته ـ ولا عقب له غيرها ـ فأخذت تناجي القمر وتصوغ من محنتها هذه الأبيات:

تَـرَفَّعْ أَيُّـها القَـمَرُ المُـنيرُ ... لَـعَلَّكَ أَنْ تَـرى حُـجْراً يَسيرُ
يَسيرُ إلى مُعاوِيَةَ بْنِ حَرْبٍ ... لِـيَقْتُلَهُ كَـذا زَعَـمَ الأَمـيرُ
وَيَـصْلِبَهُ عَـلى بابَي دِمَشْـقٍ ... وَتَـأْكُـلُ مِـنْ مَحاسِنِهِ الطُّيورُ
تَـجَبَّرَتِ الجَـبابِرُ بَعدَ حُـجْرٍ ... وَطابَ لَها الخُوَرْنَقُ وَالسَّديرُ[1]
أَلا يا حُجْرُ حُـجْرَ بَـني عَـدِيٍّ ... تَـلَقَّتْكَ السَّـلامَةُ وَالسُّـرورُ
أَخافَ عَـلَيْكَ ما أَرْدىٰ عَـدِيّاً ... وَشَـيْخاً فـي دِمَشْـقَ لَـهُ زَئيرُ
أَلا يا لَـيتَ حُـجْراً ماتَ مَوْتاً ... وَلَـمْ يُـنْحَرْ كَـما نُحِرَ البَعيرُ
فَـإِنْ تَـهلَكْ فَكُـلُّ عَـميدِ قَـوْمٍ ... إلى هُلْكٍ مِـنَ الدُّنْـيا يَـصيرُ[2]

ويلمس في هذه الأبيات ذوب روحها الطاهرة على أبيها الذي هو ملء فم الدنيا في إيمانه وجهاده وسموّ ذاته.

وسارت القافلة تطوي البيداء حتّى انتهت إلى مرج عذراء، فأقامت فيه، فلمّا عرفها حجر قال: والله إنّي لأوّل مسلم نبحته كلابها، وأوّل مسلم كبّر بواديها[3].

---

(١) **الخورنق والسدير**: قصران يقعان بالقرب من الحيرة بناهما النعمان بن امرئ القيس، ويقال: إنّ السبب في بنائهما أنّ يزدجرد بن سابور كان لا يعيش له ولد، فسأل عن مكان صحيح الهواء، فذكروا له ظهر الحيرة، فدفع ابنه بهرام إلى النعمان وأمره ببناء الخورنق، فبناه في عشرين سنة، وكان الباني له رجل يسمّى سنمار. نهاية الإرب: ١: ٣٧٢.

(٢) مروج الذهب: ٢: ٣٠٧، وقيل: إنّ الأبيات إلى هند بنت زيد الأنصاريّة ترثي بها حجراً، وكانت تتشيّع.

(٣) الكامل في التاريخ: ٣: ١٩٢. وذكر ابن حجر في الإصابة أنّ حجراً هو الذي فتح مرج عذراء، وأخيراً كانت شهادته بها.

ولمّا أخبر معاوية بوصولهم إلى هذا المكان أرسل إليهم هدية بن فيّاض القضاعي الأعور، فأمره بإعدامهم إن لم يتبرّأوا من الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ويسبّوه، فلمّا قدم عليهم قال لحجر: إنّ أمير المؤمنين أمرني بقتلك يا رأس الضلال، ومعدن الكفر والطغيان، والمتولّي لأبي تراب، وقتل أصحابك إلّا أن ترجعوا عن كفركم، وتلعنوا صاحبكم وتتبرّأوا منه.

وانبرى حجر مع كوكبة من أصحابه قائلين: إنّ الصبر على حدّ السيف لأيسر علينا ممّا تدعوننا إليه، ثمّ القدوم على الله وعلى نبيّه وعلى وصيّه أحبّ إلينا من دخول النار[1].

وطلب حجر من الجلّاد أن يسمح له بالوضوء والصلاة، فسمح له بذلك، فصلّى حجر وأطال في صلاته، والتفت إلى الجلّاد قائلاً: والله ما صلّيت صلاة أخفّ منها، ولولا أن تظنّوا فيَّ جزعاً من الموت لاستكثرت منها.

ثمّ أخذ يناجي ربّه في اللحظات الأخيرة من حياته قائلاً: اللّهمّ إنّا نستعديك على أُمّتنا فإنّ أهل الكوفة شهدوا علينا، وإنّ أهل الشام يقتلوننا، أما والله لئن قتلتموني بها فإنّي لأوّل فارس من المسلمين هلّل في واديها، وأوّل رجل من المسلمين نبحته كلابها.

وقبل أن ينفّذ فيه الإعدام قال: لا تطلقوا عنّي حديداً، ولا تغسلوا عنّي دماً، فإنّي ملاق معاوية على الجادة[2]، وعلاه الوغد الأثيم بالسيف فهوى إلى الأرض يتخبّط بدمه ولم يبق إلّا قليلاً حتّى صعدت روحه إلى السماء، واستقبلتها الملائكة والأنبياء والوصيّ كأسمى روح صعدت إلى الله تعالى.

وقد انطوت بشهادته أروع صحيفة من صحائف الجهاد والإيمان.

---

(١) مروج الذهب: ٣: ١٣.

(٢) الاستيعاب: ١: ٢٥٦.

لقد كان حجر من أبطال الإسلام ، وأحد الرموز المقدّسة التي وقفت بوجه الظلم والطغيان ، وهو من الأفذاذ الذين أقاموا مذهب أهل البيت عليهم السلام بدمائهم ، فسلام الله عليه غادية ورائحة .

## ضحايا العقيدة من أصحاب حجر

وسار كوكبة من خيار المسلمين على الخطّ المشرق الذي سار عليه حجر ، وهو الولاء العارم للإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، والاستهانة بما لاقوه من القتل والتنكيل من الطاغية معاوية وولاته ، وإليهم يرجع الفضل في إقامة مذهب أهل البيت عليهم السلام ، فقد شيّدوه بدمائهم وأرواحهم ، وكان من هؤلاء الأفذاذ :

## عبدالرحمن العنزي

وكان عبدالرحمن في طليعة أصحاب حجر ، وأخذ معه مكبّلاً بالحديد إلى مرج عذراء ، فطلب من الجلاوزة مواجهة معاوية لعلّه أن يعفو عنه ، فاستجابوا له ، وأرسلوه إلى معاوية ، فلمّا مثل عنده قال له معاوية : إيه يا أخا ربيعة ، ما تقول في عليّ ؟

- دعني ولا تسألني فهو خير لك .
- لا أدعك .
- أشهد أنّه كان من الذاكرين الله كثيراً ، والآمرين بالحق ، والقائمين بالقسط ، والعافين عن الناس .

ولم يجد معاوية وسيلة لإراقة دمه ، فعرج إلى دم عثمان بن عفّان الذي امتحن به المسلمون حيّاً وميّتاً ، فقال له : ما تقول في عثمان ؟

- هو أوّل من فتح باب الظلم ، وأرتج أبواب الحقّ .

فصاح به الطاغية : قتلت نفسك .

- بل إيّاك قتلت، ولا ربيعة بالوادي.

وظنّ أُسرته تقوم بحمايته وإنقاذه من الطاغية، إلّا أنّها خذلته ولم تقم بحمايته، وأشاح معاوية بوجهه عنه، وكتب رسالة إلى عامله زياد جاء فيها: إنّ هذا العنزي شرّ مَن بعثته، فعاقبه عقوبة هو أهلها، واقتله شرّ قتلة.

ولمّا قفل راجعاً إلى الكوفة بعثه زياد إلى قسّ الناطف[١]، وأمر بدفنه حيّاً، فدفن وهو حيّ[٢].

ففي ذمّة الله ما لاقاه هؤلاء الأبطال من صنوف القتل والتنكيل من هذا الطاغية الفاجر الذي لقّبوه بكسرى العرب، ومكّنوه من رقاب المسلمين.

## صيفي بن فسيل

وصيفي بن فسيل الشيباني من أبطال المسلمين، ومن خيرة أصحاب حجر، بعث خلفه زياد بن أبيه، فلمّا حضر بادره بالسؤال عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ليستحلّ دمه إذا أثنى عليه، فقال له بعنف: يا عدوّ الله، ما تقول في أبي تراب[٣]؟

- ما أعرف أبا تراب؟!
- ما أشدّ معرفتك له؟!
- ما أعرفه.

---

(١) **قس الناطف**: موضع قريب من الكوفة ـ معجم البلدان: ٤: ٣٤٩.

(٢) الأغاني: ١٧: ١١١. تاريخ الأمم والملوك: ٤: ٤٩٧ و ٤٩٨. تاريخ مدينة دمشق: ٣٤: ٣٠١. الكامل في التاريخ: ٣: ٢٤٢. تاريخ ابن خلدون: ٣: ١٦.

(٣) كان الأمويّون يرمزون بهذه الكنية إلى جعل الإمام كقاطع طريق ـ التاريخ السياسي للدولة العربيّة: ٢: ٧٥.

وفي الأغاني: ١٣: ١٦٨: «أنّ زياداً كان يحتقر الشيعة ويسمّيهم الترابية».

- أما تعرف عليّ بن أبي طالب ؟

- بلى .

- فذاك أبو تراب ؟ !

- كلا ، ذاك أبو الحسن والحسين .

والتفت مدير شرطة زياد إليه ، فقال له ـ متقرّباً بذلك إلى أميره ابن سميّة ـ : يقول لك الأمير : هو أبو تراب ، وتقول أنت : لا !

واحتقره صيفي واحتقر أميره ، فقال له بعنف : وإن كذب الأمير أتريد أن أكذب ؟ وأشهد على باطل كما شهد .

فثار ابن سميّة ، وانتفخت أوداجه ، وصاح به : وهذا مع ذنبك .

والتفت إلى شرطته فأمرهم بإحضار العصا ، فأُتي بها ، فقال له : ما قولك في عليّ ؟

فأجابه بشجاعة الإيمان قائلاً : أحسن قول أنا قائله في عبد من عباد الله المؤمنين .

وأمر ابن سميّة جلاوزته بضرب عاتقه حتّى يلصق بالأرض ، فبادروا إليه ، وضربوه ضرباً عنيفاً حتّى وصل عاتقه إلى الأرض ، ثمّ أمرهم بالكفّ عنه ، والتفت إليه : ما قولك في عليّ ؟

وأصرّ البطل المجاهد على عقيدته غير حافل بما عاناه من الضرب فقال له : والله لو شرّحتني بالمواسي والمُدى ، ما قلت إلّا ما سمعت مني .

- لتلعنه ، أو لأضربنَّ عنقك .

- إذاً تضربها والله قبل ذلك ، فإن أبيت إلّا أن تضربها رضيت بالله ، وشقيت أنت .

وأمر به أن يوقر في الحديد ، ويلقى في ظلمات السجون ، ثمّ بعثه مع حُجْر

ابن عدي فاستشهد معه[١].

أرأيتم هذا العملاق الذي وقف كالجبل أمام هذا التعذيب غير حافل به.

أرأيتم هذه الصفحات المشرقة من الإيمان التي أرست قيم أهل البيت بدمائها.

## قبيصة بن ربيعة

قبيصة بن ربيعة العبسي من أبطال العقيدة الممجّدين المتفانين في الولاء للإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وقد بعث الطاغية الفاجر زياد الأخ اللاشرعي لمعاوية مدير شرطته شدّاد بن الهيثم لإلقاء القبض على قبيصة، فهجم على داره، ولمّا أحسّ به أخذ سيفه للدفاع عن نفسه، ولحق به فريق من قومه، فقال له مدير الشرطة مخادعاً: أنت آمن على دمك ومالك، فلِمَ تقتل نفسك؟

وخدع أصحابه فلم ينقذوه، وقالوا له: قد أمنت فعلامَ تقتل نفسك وتقتلنا معك؟

فأجابهم: إنّ هذا الدعي ـ يعني زياداً ـ ابن العاهرة، والله لئن وقعت في يده لا أفلت أبداً أو يقتلني.

لقد عرف قبيصة زياداً، وأنّه إنسان ممسوخ ابن عاهرة، لا يعرف القيم شأنه شأن معاوية الذي أعطى للإمام الحسن عليه السلام شروطاً، وبعد الصلح أعلن أمام القوّات العراقيّة أنّه لا يف بشيء منها وأنّها تحت قدمه، وزياد من هذا السنخ.

وحُمل قبيصة أسيراً لزياد، فصاح به: أما والله لأجعلنّ لك شاغلاً عن تلقيح الفتن والتوثّب على الأُمراء.

- إنّي لم آتك إلّا على الأمان.

---

(١) تاريخ الأُمم والملوك: ٤: ٤٨٩. الكامل في التاريخ: ٣: ٢٣٦.

ولم يقم الطاغية وزناً للعهد الذي أعطاه له مدير شرطته، وأمر به إلى السجن[١]، ثمّ أمر به أن يحمل إلى مرج عذراء ليلاقي مصير صاحبه حجر، فحمل إليه واجتاز على داره، فنظر إلى بناته وهنّ في لوعة وعويل، فطلب من الموكّل بحراسته أن يسمح له ليودّع عائلته، فسمح له بذلك، فلمّا انتهى إليهنّ أوصاهنّ بالصبر والرضا بقضاء الله تعالى قائلاً: «اصبرن، فإنّي أرجو من ربّي في وجهي هذا إحدى الحسنيين: إمّا الشهادة وهي السعادة، وإمّا الانصراف إليكنّ في عافية، وإنّ الذي كان يرزقكنّ ويكفيني مؤونتكنّ هو الله تعالى، وهو حيّ لا يموت، أرجو أن لا يضيّعكنّ، وأن يحفظني فيكنّ»[٢].

ثمّ ودّعهنّ وانصرف، وانتهي به إلى مرج عذراء فاستشهد مع حجر، وقد قدّم نفسه قرباناً للحقّ، ودفاعاً عن عقيدته وإيمانه بالإمام عليه السلام.

إنّ هذه النخبة من أصحاب حجر قد أخلصوا لله تعالى في جهادهم، وقاوموا ببسالة وصمود أعتى سلطة جاهليّة قد جهدت على محق الإسلام، ومعاداة أهمّ رموزه، الذي رفع كلمة الله تعالى في الأرض، وهو سيّد الوصيّين وإمام المتّقين الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، ففرضت سبّه، وتتبّعت شيعته، فأشاعت فيهم القتل والتنكيل.

ومن الجدير بالذكر أنّ جماعة من أصحاب حجر قد استشهدوا في مرج عذراء، وهم: شريك بن شدّادالحضرمي، كدام بن حيّانالعنزي، محرز بن شهابالتميمي.

لقد قدّم هؤلاء الأفذاذ أرواحهم بسخاء انتصاراً للحقّ، ومناهضةً للظلم والجور، ولهم يرجع الفضل في إقامة مذهب أهل البيت عليهم السلام الذي يمثّل الإسلام بجميع مقوّماته.

---

(١) تاريخ الأُمم والملوك: ٤: ١٩٨.

(٢) تاريخ دمشق: ٤٩: ٢٦٧.

## الانكار على معاوية

كان قتل معاوية لحجر والكوكبة الصالحة من إخوانه من الأحداث الجسام التي هزّت العالم الإسلامي، وقد توالت صيحات الاستنكار على معاوية من مختلف الطبقات، كان منها:

## الإمام الحسين عليه السلام

وكان من الناقمين على معاوية الإمام الحسين عليه السلام في إبادته لحجر وأصحابه، فقد بعث إليه رسالة عرض فيها لجرائمه وموبقاته، كان منها:

**«أَلَسْتَ القاتِلَ حُجْراً أَخا كِنْدَةَ، وَالْمُصَلِّينَ العابِدِينَ الَّذِينَ كَانُوا يُنْكِرُونَ الظُّلْمَ وَيَسْتَعْظِمُونَ الْبِدَعَ، وَلاَ يَخَافُونَ فِي اللهِ لَومَةَ لائِمٍ؟ قَتَلْتَهُمْ ظُلْماً وَعُدْوَاناً مِنْ بَعْدِ مَا كُنْتَ أَعْطَيْتَهُمُ الْأَيْمَانَ الْمُغَلَّظَةَ، وَالْمَواثِيقَ الْمُؤَكَّدَةَ أَلَّا تَأْخُذَهُمْ بِحَدَثٍ كَانَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ، وَلَا بِإِحْنَةٍ تَجِدُها فِي نَفْسِكَ عَلَيْهِمْ...»**[1].

لقد نقم الإمام الحسين عليه السلام على الطاغية الفاجر إباحته لقتل الصحابي الجليل حجر وإخوانه الصالحين من دون أن يقترفوا ذنباً وإساءة لأي أحد سوى مناهضتهم للسياسة الأمويّة التي حفلت بالبدع والظلم والجور، ولم يحفل بما أعطاهم من المواثيق المؤكّدة والأيمان المغلّظة أن لا يأخذهم باحنة فيما مضى، ولكنّه خاس بذلك ولم يف به.

لقد كان قتل حجر من الأحداث الجسام وصدع في الإسلام، وبلاء عارم على المسلمين، وكان معاوية لا يشكّ في ذلك، فكان ينظر إليه شبحاً مخيفاً ويردّد ذكره

---

(١) الاحتجاج: ٢: ٩٠. بحار الأنوار: ٤٤: ٢١٢.

في خلواته ، ويقول : « ويلي منك يا حجر » ، وكان يقول في مرضه الذي هلك فيه : « يوم لي من ابن الأدبر ـ يعني حجراً ـ طويل »[١] .

إنّ يوم معاوية من دم حجر وأصحابه لطويل جدّاً ، فقد سفك دماءهم لولائهم لأهل البيت عليهم السلام ، وسيّدهم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام .

## الشهداء من شيعة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام

وأمعن الطاغية في تتبّع شيعة الإمام عليه السلام ، فاستأصلهم وأباح دماءهم ، وأوعز بذلك إلى ولاته ، ومن بين الأبطال الذين رزقوا الشهادة هم :

## رُشَيد الهجري

مقام رشيد الهجري ومكانته عند الإمام أمير المؤمنين عليه السلام متميّزة جدّاً ، فهو من ألمع تلامذته الذين غذّاهم بعلومه ، وقد حدّثه بما سيجري عليه من صنوف البلاء من معاوية وولاته ، فقال له : **يا رُشَيْدُ ، كَيْفَ صَبْرُكَ إذا أَرْسَلَ إِلَيْكَ دَعِيُّ بَنِي أُمَيَّةَ ، فَقَطَعَ يَدَيْكَ وَرِجْلَيْكَ وَلِسانَكَ ؟**

وطفق رشيد قائلاً : يا أمير المؤمنين ، آخر ذلك إلى الجنّة ؟ لقد كان همّه رضا الله والفوز بمغفرته ورضوانه والفوز بالجنّة ، غير حافل بما سيجري عليه .

فأجابه الإمام : **يا رُشَيْدُ ، أَنْتَ مَعِي فِي الدُّنْيا وَالآخِرَةِ .**

وخرج رشيد مع الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فاستظلّا تحت نخلة ، فقام صاحب البستان إلى النخلة التي استظلّا تحتها فأخذ منها رطباً فقدّمه إلى الإمام عليه السلام ، فتناول منه ، والتفت رشيد إلى الإمام فقال له : ما أطيب هذا الرطب ؟

ـ **أَما إِنَّكَ سَتُصْلَبُ عَلى جِذْعِها .**

---

(١) تاريخ الأُمم والملوك : ٤ : ٢٠٨ .

كان رشيد يتعاهد تلك النخلة فيسقيها ويتعبّد تحتها، واجتاز عليها يوماً فرأى سعفها قد قطع، فشعر بدنوّ أجله، واجتاز عليها مرّة أُخرى فرأى نصفها زرنوقاً يستسقى عليه، فتيقّن بدنوّ الأجل المحتوم منه[١].

وسُعي به إلى الطاغية الفاجر زياد بن أبيه، فبعث خلفه، فلمّا حضر قال له: ما قال لك خليلك إنّا فاعلون بك؟

- تقطعون يديَّ ورجليَّ وتصلبوني وتقطعوا لساني.
- أما والله لأُكذِّبن حديثه، خلّوا سبيله.

فأطلقت الجلاوزة سبيله، ولم يبعد إلّا قليلاً حتّى ندم الطاغية وقال: ردّوه، فجيء به إليه، فقال له بعنف: لا نجد لك شيئاً أصلح ممّا قال صاحبك، إنّك لا تزال تبغي لنا سوءاً إن بقيت. اقطعوا يديه ورجليه.

وسارعت الجلاوزة فقطعوا يديه ورجليه، وهو يتكلّم، فغاظ ذلك زياد، فقال لجلاوزته: اصلبوه خنقاً، فقال لهم رشيد: بقي لي عندكم شيء ما أراكم فعلتموه -وهو قطع لسانه-، فأمر الطاغية بقطع لسانه.

وقال رشيد لشرطة الطاغية: وهذا تصديق خبر أمير المؤمنين عليه السلام أخبرني بقطع لساني، وبادر الجلاوزة بقطع لسانه[٢].

وانتهت حياة هذا البطل العظيم الذي كان من حواريّ الإمام عليه السلام، فقد مثّل به ابن سميّة أفظع تمثيل وأقساه، ولم يقترف ذنباً ولم يحدث فساداً في الأرض حتّى يعاقب بمثل هذا العقاب الصارم.

لقد حاول معاوية وعامله زياد تصفية الرموز من شيعة الإمام عليه السلام حتّى يخلو المجتمع منهم.

---

(١) التعليقات على منهج المقال: ١٤٠.

(٢) سفينة البحار: ١: ٥٢٢. بحار الأنوار: ٤١: ١٢٢.

## عبدالله الحضرمي وأصحابه

أمّا عبدالله بن يحيى الحضرمي فكان من أولياء الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، ومن خلّص أصحابه، ومعه الصفوة الطاهرة من إخوانه، وكان عبدالله من شرطة الخميس[1]، ولمّا استشهد الإمام عليه السلام حزن عليه حزناً مرهقاً، فترك الكوفة وبنى صومعة يتعبّد فيها مع أصحابه، وبعث ابن هند خلفهم، فلمّا مثلوا عنده أمر بقتلهم فقتلوا صبراً[2] لا لذنب اقترفوه سوى ولائهم للإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

## جويرية العبدي

جويرية بن مسهر العبدي من أعلام الإسلام، ومن عيون شيعة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، أخلص للإمام وتولّاه وآمن به قائداً للأُمّة، ووصيّاً لرسول الله صلى الله عليه وآله، قال له الإمام: **يا جُوَيْرِيَةُ، أَحْبِبْ حَبيبَنا ما أَحَبَّنا، فَإِذا أَبْغَضَنا فَأَبْغِضْهُ، وَأَبْغِضْ بَغيضَنا ما أَبْغَضَنا، فَإِذا أَحَبَّنا فَأَحِبَّهُ**[3].

وغذّاه الإمام عليه السلام بالكثير من علومه، ويقول الرواة أنّه دخل على الإمام فقال له: أيّها النائم، استيقظ، فلتضربنّ على رأسك ضربة تخضب منها لحيتك.

ومن المؤكّد أنّ ذلك كان ممّا أخبره به الإمام عليه السلام أنّ كريمته الشريفة تخضب من دم رأسه، كما أخبره الإمام عليه السلام بما سيجري عليه من الحكم الأموي الظالم،

---

(١) **الخميس**: اسم من أسماء الجيش، سمّي به لأنّه قد قسّم إلى خمسة أقسام المقدّمة، والميمنة، والميسرة، والقلب، والساقة، وقيل: إنّما سمّي به لأنّ الغنائم تخمّس فيه. نهاية ابن الأثير. وذكرت بعض المصادر أنّ شرطة الخميس كانوا معروفين بالثقة والعدالة حتّى كانت شهادة أحدهم تعدل شهادة رجلين.

(٢) بحار الأنوار: ٤٤: ٩.

(٣) بحار الأنوار: ٣٤: ٣٠١. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢: ٢٩١.

فقد قال له: **أُحَدِّثُكَ يا جُوَيْرِيَةُ بِأَمْرِكَ، أَما وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتُعْتَلَنَّ[١] إِلَى الْعُتُلِّ الزَّنِيمِ، وَلَيَقْطَعَنَّ يَدَكَ وَرِجْلَكَ، وَلَيَصْلِبَنَّكَ تَحْتَ جِذْعٍ كافِرٍ[٢]**»[٣].

وتحقّق ما أخبر به الإمام عليه السلام، فقد بعث زياد بن أبيه خلفه، فلمّا حضر عنده أمر بقطع يده ورجله، ثمّ صلبه على جذع قصير، وقد ألّف هشام بن محمّد السائب كتاباً في فاجعته وفاجعة إخوانه الشهداء[٤].

## عمرو بن الحمق الخزاعي

أمّا عمرو بن الحمق الخزاعي فهو من خيار الصحابة، وكانت له منزلة عند النبيّ صلى الله عليه وآله، وقد سقى النبيّ لبناً فدعا له بأن يمتّعه الله تعالى في شبابه، فاستجاب الله تعالى دعاءه، فأخذ بعنق الثمانين عاماً، ولم ترَ في كريمته شعرة بيضاء[٥].

وكان من صفوة أصحاب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وقد دعا له فقال: **اللّٰهُمَّ نَوِّرْ قَلْبَهُ بِالتُّقىٰ، وَاهْدِهِ إِلىٰ صِراطِكَ الْمُسْتَقيمِ**[٦].

وكان الإمام عليه السلام يكبره وقال له: **لَيْتَ لي في جُنْدي مِثْلَكَ مائَةَ**[٧].

وقد أخلص عمرو في ولائه للإمام عليه السلام أعظم ما يكون الإخلاص، فقد قال له: يا أمير المؤمنين، والله ما أحببتك للدنيا، ولا للمنزلة تكون لي بها، وإنّما أحببتك لخمس خصال: إنّك أوّل المؤمنين إيماناً، وابن عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله، وأعظم

---

(١) **تعتلن**: أي تجذبن.

(٢) **الجذع الكافر**: القصير.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢: ٢٩١.

(٤) التعليقات: ٣٦٦.

(٥) تاريخ مدينة دمشق: ٤٥: ٤٩٧. الإصابة: ٤: ٢٩٤. تهذيب التهذيب: ٨: ٢٢.

(٦) سفينة البحار: ٢: ٣٦٠.

(٧) بحار الأنوار: ٣٢: ٣٩٨. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٣: ١٨٢.

المهاجرين والأنصار، وزوج سيّدة النساء عليها السلام، وأبو ذرّيّته الباقية من رسول الله صلى الله عليه وآله، فلو قطعت الجبال الرواسي، وعبرت البحار الطوامي في توهين عدوّك وتلقيح حجّتك لرأيت ذلك قليلاً من كثير ما يجب عليَّ من حقّك[١].

وحكى حديثه مدى إيمانه العميق ومعرفته بمكانة الإمام وسموّ منزلته، وأنّ ولاءه له لم يكن عاطفيّاً، وإنّما كان ناشئاً عن معرفة كاملة بحقّه.

ولمّا ولي الطاغية الفاجر زياد بن أبيه على الكوفة خاف عمرو من بطشه، ففرّ إلى المدائن، ومعه رفاعة بن شدّاد، فمكثا فيها وقتاً، ثمّ هربا إلى الموصل ومكثا في جبل هناك يستجمّا فيه، وبلغ خبرهما العامل هناك فبعث قوّة عسكريّة.

فلمّا انتهت إليهما فرّ رفاعة، وأُخذ عمرو أسيراً، وطلبوا منه أن يعرّفهم باسمه، فأبى.

وأُرسل إلى حاكم الموصل عبدالرحمن الثقفي فعرفه، وكتب إلى معاوية في أمره، فأجابه أنّه طعن عثمان بن عفّان تسع طعنات بمشاقص[٢] كانت معه، وإنّا لا نريد أن نعتدي عليه، فاطعنه تسع طعنات كما طعن عثمان، ونفّذ عبدالرحمن ما أمره سيّده معاوية، فطعنه تسع طعنات فتوفّي بالأُولى أو الثانية[٣]، واحتزّ رأسه وبعثه إلى معاوية، فأمر أن يطاف به في الشام، فكان أوّل رأس طيف به في الإسلام.

ثمّ أمر الطاغية أن يبعث به إلى زوجته آمنة بنت الشريد، وكانت في سجنه، فجيء به ووضع في حجرها وهي غافلة، فلمّا بصرت به كادت أن تموت، ثمّ قالت

---

(١) التعليقات: ٢٤٦.

(٢) **المشاقص** ـ جمع ـ، مفرده: مشقص: النصل العريض، أو سهم فيه نصل عريض.

(٣) تاريخ دمشق: ٤٨: ٣٣٦ ـ ٣٤٠. تاريخ الأُمم والملوك: ٦: ٥٨ ـ ٦١. النجوم الزاهرة: ١: ١١٠.

ودموعها تجري على سحنات وجهها: واحزناه لصغره في دار هوان، وضيق من ضيمة سلطان، نفيتموه عنّي طويلاً، وأهديتموه إليَّ قتيلاً، فأهلاً وسهلاً بمن كنت له غير قالية، وأنا له اليوم غير ناسية.

ثمّ التفتت إلى الحرسي وقالت له: ارجع به أيّها الرسول إلى معاوية فقل له ولا تطوه دونه، أيتم الله ولدك، وأوحش منك أهلك ولا غفر لك ذنبك.

وأخبر الرسول مقالتها لمعاوية، فاستشاط غيظاً، وأمر بإحضارها فقال لها: أنتِ يا عدوّة الله صاحبة الكلام الذي بلغني؟

فأجابته غير مكترثة به قائلة: نعم غير نازعة عنه، ولا معتذرة منه، ولا منكرة له، فلعمري لقد اجتهدت في الدعاء، إن نفع الاجتهاد وإن الحقّ لمن وراء العباد، وما بلغت شيئاً من جزائك، وإنّ الله بالنقمة لمن ورائك.

وجرت بينها وبين أحد عملاء معاوية مشادّة أفحمته وخرجت من مجلسه[1].

لقد كان قتل عمرو بن الأحداث الجسام في الإسلام، فلم يراع معاوية صحبته للنبيّ ﷺ بقتله وطواف رأسه في الشام وترويع زوجته التي كادت أن تموت من ألم المصاب، وبعث قد الإمام الحسين عليه السلام رسالة إلى معاوية ذكر فيها جرائمه وموبقاته.

وقال فيما يخصّ عمرو:

**«أَوَلَسْتَ قاتِلَ عَمْرَو بْنِ الْحَمِقِ صاحِبَ رَسولِ اللهِ ﷺ، الْعَبْدِ الصَّالِحِ الَّذِي أَبْلَتْهُ العِبادَةُ فَنَحِلَ جِسْمُهُ، وَاصْفَرَّ لَوْنُهُ، بَعدَما آمَنْتَهُ، وَأَعْطَيْتَهُ مِنْ عُهُودِ اللهِ وَمَوَاثِيقِهِ ما لَوْ أَعْطَيْتَهُ طائِراً لَنَزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَأْسِ الْجَبَلِ، ثُمَّ قَتَلْتَهُ جُرْأَةً عَلَى رَبِّكَ وَاسْتِخْفافاً بِذَلِكَ الْعَهْدِ»**[2].

---

(١) أعلام النساء: ٤٠.

(٢) الإمامة والسياسة: ١: ١٨١. التعليقات: ٢٤٦.

ولم يحفل معاوية بالعهود والمواثيق ولا بالأعراف الدوليّة والإنسانيّة ، فقد كان على وثنيّته وجاهليّته .

وبهذا ينتهي بنا الحديث عن بعض الرموز المعظّمة من شيعة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام الذين أعدمهم معاوية لولائهم للإمام عليه السلام .

## الترويع والارهاب

وأشاع معاوية الترويع والارهاب في نفوس أعلام الشيعة وعيونهم ، فخلّد بعضهم في سجونه حتّى ماتوا ، وروّع كوكبة منهم حتّى تركوا أوطانهم ، وفرّوا هائمين على وجه الأرض يطاردهم الرعب والخوف ، وقد ألقت شرطته القبض على بعضهم فبعثتهم إليه ، فقابلهم بالاستخفاف والاستهانة ، وهذا عرض لبعضهم :

## محمّد بن أبي حذيفة

أمّا محمّد بن أبي حذيفة فهو من الطلائع المقدّسة في الإسلام ، كان آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر ، وهو من المحامدة الذين قال فيهم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام : **إِنَّ الْمَحامِدَةَ تَأْبىٰ أَنْ يُعْصَى اللهُ** .

ولمّا آل الحكم إلى الطاغية معاوية أراد قتله ، ثمّ بدا له أن يسجنه ، فزجّه في السجن ، ومكث فيه مدّة ، والتفت إلى أصحابه فقال لهم : ألا نرسل إلى هذا السفيه محمّد بن أبي حذيفة فنبكته ونخبره بضلاله في نصرته لعليّ بن أبي طالب ، ونأمره أن يسبّه ، فرحّبوا بذلك ، فأمر بإحضاره ، فلمّا مثل عنده قال له : يا محمّد ، ألم يأن لك أن تبصر ما كنت عليه من الضلالة بنصرتك عليّ بن أبي طالب ؟ ألم تعلم أنّ عثمان قُتل مظلوماً ، وأنّ عائشة وطلحة والزبير خرجوا يطلبون بدمه ، وأنّ عليّاً هو الذي دسّ الناس في قتله ، ونحن اليوم نطلب بدمه ؟

وانبرى محمّد إلى إبطال أغاليط معاوية ، قائلاً : إنّك لتعلم أنّي أمسّ القوم بك

رحماً ، وأعرفهم بك .

- أجل .

وراح محمّد يدلي بزيف كلام معاوية بالأدلّة الحاسمة ، والمنطق الفيّاض قائلاً : فوالله الذي لا إله غيره ، ما أعلم أحداً شرك في دم عثمان وألّب الناس عليه غيرك لمّا استعملك ، ومن كان مثلك ، فسأله المهاجرون والأنصار أن يعزلك فأبى ، ففعلوا به ما بلغك .

والله ما أحد شرك في قتله بدئاً وأخيراً إلّا طلحة والزبير وعائشة ، فهم الذين شهدوا عليه بالعظيمة ، وألّبوا عليه الناس ، وشركهم في ذلك عبدالرحمن بن عوف وابن مسعود وعمّار والأنصار جميعاً .

ولم ينكر معاوية شيئاً من مقالته ، ثمّ التفت محمّد إلى معاوية فقال له : إي والله ، وإنّي لأشهد أنّك منذ عرفتك في الجاهليّة والإسلام لعلى خلق واحد ، ما زاد الإسلام فيك لا قليلاً ولا كثيراً ، وإنّ علامة ذلك فيك لبيّنة ، تلومني على حبّي عليّاً ، خرج مع عليّ كلّ صوّام قوّام ، مهاجريّ وأنصاريّ ، وخرج معك أبناء المنافقين والطلقاء والعتقاء ، خدعتهم عن دينهم ، وخدعوك عن دنياك .

والله يا معاوية ، ما خفي عليك ما صنعت ، وما خفي عليهم ما صنعوا إذ أحلّوا أنفسهم بسخط الله في طاعتك ، والله لا أزال أُحبّ عليّاً لله ولرسوله ، وأُبغضك في الله ورسوله أبداً ما بقيت !

لا أعرف منطقاً أصدق لهجة ولا أقوى حجّة من هذا المنطق الفيّاض الحافل بجميع مقوّمات الصدق ، وقد فزع معاوية ولم يجد منفذاً يسلك فيه فصاح به : إنّي أراك على ضلالك . ثمّ ردّوه إلى السجن ، فمكث فيه حتّى توفّي[1] .

---

(١) رجال الكشّي : ١٢٦/٧١ . بحار الأنوار : ٣٣ : ٢٤٣ . الغارات : ٢ : ٧٥١ .

وهكذا كان مصير الأحرار الذين تربّوا بهدي الإسلام وقيمه، فلاقوا أعنف الظلم وأقساه.

## عبدالله بن هاشم المرقال

عبدالله بن هاشم من أعلام الإسلام، ومن رموز شيعة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وأبوه هاشم من القادة المخلصين في جيش الإمام، وقد استشهد في واقعة صفّين التي أشرف فيها معاوية على الهزيمة، وكان معاوية حاقداً على عبدالله، فكتب إلى عامله زياد بإلقاء القبض عليه ليتشفّى منه، وعلم عبدالله فاختفى ففتّش عنه زياد فلم يظفر به.

وعلم وغد من أذناب السلطة بمحلّ اختفائه، فبادر إلى معاوية وأخبره أنّه مختفٍ في دار امرأة مخزوميّة، فكتب معاوية إلى زياد:

أمّا بعد، فإذا أتاك كتابي هذا فاعمد إلى حيّ بني مخزوم، ففتّشه داراً داراً، حتّى تأتي إلى دار فلانة المخزوميّة، فاستخرج عبدالله بن هاشم المرقال منها، فاحلق رأسه، وألبسه جبّة شعر، وقيّده وغلّ يده إلى عنقه، واحمله على قتب بغير وطاء ولا غطاء، وأقدمه إليَّ.

أرأيتم هذا الإجراء القاسي الذي يحكي روحه الشريرة التي لا تعرف الشرف والإنسانيّة، وفعلاً فقد قام زياد بتفتيش حيّ بني مخزوم حتّى ظفر به، وبعثه إلى معاوية بالكيفيّة التي أرادها، فلمّا وصل إليه عرفه، وكان إلى جانبه ابن العاص، فقال له معاوية: يا أبا عبدالله، هل تعرف هذا الفتى؟

قال: لا.

- هذا الذي يقول أبوه يوم صفّين:

قَدْ أَكْثَرُوا لَوْمي وَما أَقَلَّا ... إِنِّي شَرَيْتُ النَّفْسَ لَنْ أَعْتَلَا

أَعْـوَرُ يَـبْغي نَـفْسَهُ مَـحَلاً ... لَا بُـدَّ أن يَـفُلَّ أو يُـفَلّا
قَدْ عالَجَ الحَياةَ حَتّى مَلّا ... أَشُلُّهُمْ بِذي الكُعوبِ شَلّا
لَا خَيرَ عِنْدي في كَريمٍ وَلّىٰ

وبهر ابن العاص وقال:

وَقَدْ يَنبُتُ المَرْعىٰ عَلىٰ دِمَنِ الثَّرى ... وَتَبْقىٰ حَزازاتُ النُّفوسِ كَما هِيا

دونك يا أمير المؤمنين الضبّ المضب، فاشخب أوداجه على أثباجه، ولا تردّه إلى أهل العراق، فإنّه لا يصبر على النفاق، وهم أهل غدر وشقاق، وحزب إبليس ليوم هيجانه، وإنّ له هوى سيرديه، ورأياً سيطغيه، وبطانة ستقوّيه، وجزاء سيّئة سيّئة مثلها.

فردّ عليه عبدالله بأعنف القول، وجرت بينهما مشادّة، وأخيراً قال له عبدالله: يا عمرو، إنّا قد بلوناك ومقالتك فوجدنا لسانك كذوباً غادراً، خلوت بأقوام لا يعرفونك، وجند لا يسأمونك، ولو رمت المنطق في غير أهل الشام لجحظ عليك عقلك[1]، ولتلجلج لسانك[2].

وضاق الموقف على معاوية فأمرهما بالسكوت لأنّ المجلس كان مكتظّاً بأهل الشام، فخاف من بلورة الموقف أمامهم، ثمّ أمر بالعفو عن عبدالله، وقيل إنّه أودعه في بعض سجونه.

لقد روّع الطاغية هذا البطل الذي آمن بحقّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وأنكر زيغ معاوية وبطانته.

---

(١) **جحظ عقله**: أي نظر إلى رأيه فرأى سوى ما ارتأى.
(٢) وقعة صفّين: ٣٢٧. تاريخ دمشق: ٣٣: ٣٤٣.

## عبدالله بن خليفة الطائي

وعبدالله بن خليفة الطائي من أفذاذ الإسلام، ومن أعلام شيعة الإمام أمير المؤمنين والعارفين بحقّه، وقد قال حينما توجّه إلى البصرة لقتال البغاة: الحمد لله الذي ردّ الحقّ إلى أهله، ووضعه في موضعه، فإن كره ذلك قوم فقد والله كرهوا محمّداً ﷺ ونابذوه وقاتلوه، فردّ الله كيدهم في نحورهم، وجعل دائرة السوء عليهم، والله لأُجاهد معك في كلّ موطن تحفّظاً لحقّ رسول الله ﷺ[1].

حكى هذا الحديث مدى تعاطفه ومعرفته بحقّ الإمام، وأنّ الذين ناهضوه وأعلنوا الحرب عليه كالذين حاربوا رسول الله ﷺ، فردّ الله تعالى كيدهم في نحورهم، وأعزّ دينه، ونصر نبيّه، وهكذا سيكون مصير الذين حاربوا الإمام عليه السلام.

وكان عبدالله في طليعة أصحاب الشهيد حجر بن عديّ، ومن أشدّ الناقمين على معاوية، وأرسل الطاغية زياد مفرزة من شرطته لإلقاء القبض عليه، فالتحم معهم عبدالله، إلّا أنّه لم يستطع مقاومتهم فأسروه، فاستنجدت أُخته النوار بأُسرتها فهبّوا لنصرته، وأنقذوه منهم[2]، وقفلت شرطة زياد فأخبرته بالأمر.

فثار الطاغية وأرسل خلف عدي بن حاتم زعيم طيّ فأمره بإتيان عبدالله، فامتنع من إجابته وقال له: لا والله لا آتيك به أبداً، أجيئك بابن عمّي تقتله؟ والله لو كان تحت قدميّ ما رفعتهما عنه.

وهذا منطق الشهم النبيل، فغضب الخبيث منه، وأمر به فأُلقي في السجن وفزعت الكوفة، وأقبل وجهاؤها من اليمانيّين وغيرهم نحو ابن زياد وحذّروه

---

(١) الفوائد (المطبوع على هامش التعليقات): ٢٠٢. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٤: ٩.

(٢) صلح الحسن عليه السلام للسيّد شرف الدين: ٣٦٠.

من سجنه لعدي، فخاف وأخرجه من السجن وطلب منه أن يخرج ابن عمّه من الكوفة، فأجابه إلى ذلك، وأمره عدي بمغادرة الكوفة والمكث في الجبلين، وفعلاً فقد غادر عبدالله وطنه، وقد سرى الألم العاصف في محياه لمفارقة أهله وأصحابه، وبقي مقيماً بالجبلين حتّى توفّي[١].

## صعصعة بن صوحان

من خيار المسلمين إيماناً وحريجة في الدين، وكان خطيباً بارعاً، ملهماً يتمتّع بالشجاعة، والولاء العارم للإمام أمير المؤمنين عليه السلام، مرض صعصعة فعاده الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فقال له: **يا صَعْصَعَةُ، لَا تَتَّخِذْ عِيادَتي لَكَ أُبَّهَةً عَلىٰ قَوْمِكَ.**

فقال صعصعة: بلى والله أعدّها منّة من الله وفضلاً عليَّ.

فأطرى عليه الإمام وقال له: **إِنَّكَ إِنْ كُنْتَ عَلىٰ ما عَلِمْتُكَ فَأَنْتَ خَفيفُ الْمَؤُونَةِ، حَسَنُ الْمَعُونَةِ.**

وأجابه صعصعة: وأنت يا أمير المؤمنين، ما علمتك إلّا بالله عليماً، وبالمؤمنين رؤوفاً رحيماً[٢].

وقال الإمام الصادق عليه السلام في حقّه: «**ما كانَ مَعَ أَميرِ الْمُؤْمِنينَ مَنْ يَعْرِفُ حَقَّهُ إِلّا صَعْصَعَةُ وَأَصْحابُهُ**»[٣].

وأخذ الامام الحسن عليه السلام من معاوية في الصلح عهداً خاصّاً له أن لا يعرض له بمكروه، إلّا أنّ معاوية لم يعرف الوفاء بالعهد، فروّعه وسجنه، وخطب معاوية فقال: لو أنّ أبا سفيان ولدالناس كلّهم كانوا أكياساً.

---

(١) تاريخ الأُمم والملوك: ٤: ٢١١. الكامل في التاريخ: ٣: ٢٤١.

(٢) الغارات: ٢: ٨٨٨. جامع الرواة: ١: ٤١١.

(٣) التعليقات: ١٨٣.

فردّ عليه صعصعة : قد ولد الناس كلّهم مَن هو خير من أبي سفيان آدم ، فمنهم الأحمق والكيّس !

معاوية : إنّ أرضنا قريبة من المحشر .

صعصعة : إنّ المحشر لا يبعد على مؤمن ، ولا يقرب من كافر .

معاوية : إنّ أرضنا أرض مقدّسة .

صعصعة : إنّ الأرض لا يقدّسها شيء ولا ينجّسها ، إنّما تقدّسها الأعمال .

معاوية : عباد الله ، اتّخذوا الله وليّاً ، واتّخذوا خلفاءه جُنّة تحرزوا بها .

صعصعة : كيف ؟ ! وقد عطّلت السنّة ، وأخفرت الذمّة ، فصارت عشواء مطلخمة في دهياء مدلهمّة ، قد استوعبتها الأحداث ، وتمكّنت منها الأنكاث .

وضاق معاوية ذرعاً من صعصعة فصاح به : يا صعصعة ، لئن تقع على ضلعك خير لك من استبراء رأيك ، وإبداء ضعفك ـ تعرض بالحسن بن عليّ ـ ولقد هممت أن أبعث إليه .

فردّ عليه صعصعة قائلاً له : إي والله ، وجدتهم أكرمكم جدوداً ، وأحياكم حدوداً ، وأوفاكم عهداً ، ولو بعثت إليه لوجدته في الرأي أديباً ، وفي الأمر صليباً ، وفي الكرم نجيباً ، يلذعك بحرارة لسانه ، ويقرعك بما لا تستطيع إنكاره !

ولذع معاوية كلامه فراح يهدّده قائلاً : لأجفينك عن الوساد ، ولأشرّدنّ بك في البلاد .

- والله إنّ في الأرض لسعة ، وإنّ في فراقك لدعة .

- والله لأحبسنّ عطاءك .

- إن كان ذلك بيدك فافعل ، إنّ العطاء وفضائل النعماء في ملكوت من لا تنفد خزائنه ، ولا يبيد عطاؤه ، ولا يحيف في قضيّته .

- لقد استقتلت[١]!

- مهلاً، لم أقل جهلاً، ولم أستحلّ قتلاً، لا تقتل النفس التي حرّم الله إلّا بالحقّ، ومن قُتل مظلوماً كان الله لقاتله مقيماً، يرهقه أليماً، ويجرّعه حميماً، ويصليه جحيماً[٢].

وانصرف صعصعة ولم يتركه معاوية، فعمد إلى سجنه ومعه كوكبة من أصحابه، ودخل عليهم وهم في سجنه فقال لهم: نشدتكم الله إلّا ما قلتم حقّاً وصدقاً، أي الخلفاء رأيتموني؟

وانبرى إليه عبدالله بن الكوّاء قائلاً: لولا أنّك عزمت علينا ما قلنا، لأنّك جبّار عنيد، لا تراقب الله في قتل الأخيار، ولكنّا نقول: قد علمنا أنّك واسع الدنيا، ضيّق الآخرة، قريب الثرى، بعيد المرعى، تجعل الظلمات نوراً والنور ظلمات!

فأجابه معاوية: إنّ الله أكرم هذا الأمر بأهل الشام الذابّين عن بيضته، التاركين لمحارمه، ولم يكونوا كأمثال أهل العراق المنتهكين لمحارم الله، والمحلّين ما حرّم الله، والمحرّمين ما أحلّ الله.

فردّ عليه ابن الكوّاء: يابن أبي سفيان، إنّ لكلّ كلام جواباً، ونحن نخاف جبروتك، فإن كنت تطلق ألسنتنا ذببنا عن أهل العراق بألسنة حداد لا يأخذها في الله لومة لائم، وإلّا فإنّا صابرون حتّى يحكم الله ويضعنا على فرجه.

فصاح به معاوية: لا والله لا يطلق لك لسان.

وسكت ابن الكوّاء، وانبرى إليه صعصعة فقال له: تكلّمت يابن أبي سفيان فأبلغت، ولم تقصر عمّا أردت، وليس الأمر كما ذكرت، أنّى يكون الخليفة من ملك

---

(١) أي حكمت على نفسك بالقتل.

(٢) تاريخ مدينة دمشق: ٢٤: ٩٣. أعيان الشيعة: ٧: ٣٨٨. الغدير: ١٠: ١٧٤.

الناس قهراً، ودانهم كبراً، واستولى بأسباب الباطل كذباً ومكراً!

أما والله ما لك في يوم بدر مضرب ولا مرمى، وما كنت فيه إلّا كما قال القائل: «لا حلي ولا سيري»[١]، ولقد كنت أنت وأبوك في العِير والنفير ممّن أجلب على رسول الله ﷺ، وإنّما أنت طليق ابن طليق، أطلقكما رسول الله ﷺ، فأنّى تصلح الخلافة لطليق؟

وامتلأ قلب معاوية غيظاً وغضباً، وقال لهما: لولا أنّي أرجع إلى قول أبي طالب حيث يقول:

قَـابَلتُ جَـهْلَهُمُ حِـلْماً وَمَـغْفِرَةً وَالْعَفْوُ عَنْ قُدْرَةٍ ضَرْبٌ مِنَ الكَرَمِ

لقتلتكم[٢].

## المغيرة مع صعصعة

حذّر المغيرة بن شعبة صعصعة من انتقاص عثمان والإشادة بفضائل الإمام، فقال له: «إيّاك أن يبلغني عنك أنّك تعيب عثمان عند أحد من الناس، وإيّاك أن يبلغني عنك أنّك تذكر شيئاً من فضل عليّ علانية، فإنّك لست بذاكر من فضل عليّ شيئاً أجهله، بل أنا أعلم بذلك، ولكنّ هذا السلطان ـ يعني معاوية ـ ظهر وقد أخذنا بإظهار عيبه للناس فنحن ندع كثيراً ممّا أمرنا به، ونذكر الشيء الذي لا نجد منه بدّاً، فدفع به هؤلاء القوم عن أنفسنا تقيّة، فإن كنت ذاكراً فضله فاذكره بينك وبين أصحابك، وفي منازلكم سرّاً، وأمّا علانية في المسجد فإنّ هذا

---

(١) أصل هذا المثل: «لا حاء ولا ساء» ومعناه أنّه ليس لك فيه أمر ولا نهي. مجمع الأمثال: ٢: ١٥٨.

(٢) مروج الذهب: ٢: ٣٤١.

لا يحتمله الخليفة لنا، ولا يعذرنا به»[١].

وصرّحت بعض المصادر أنّ معاوية أوعز إلى عامله على الكوفة المغيرة بن شعبة بنفي صعصعة أمّا إلى الجزيرة أو إلى البحرين أو إلى جزيرة ابن كافان، فنفاه إلى إحدى هذه الأماكن فمات بها غريباً عن وطنه وبلاده.

وهكذا لاقى هذا البطل الفذّ صنوفاً من الاضطهاد والتنكيل لولائه للإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

## جارية بن قدامة

ومن أصحاب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام جارية بن قدامة، وقد لاقى التوهين من معاوية، فقد قال له: أنت الساعي مع عليّ بن أبي طالب، والموقد النار في شعلك، تجوس قرى عربيّة تسفك دماءهم؟

وقابله جارية بكلّ شجاعة قائلاً له: يا معاوية، دع عنك عليّاً، فما أبغضنا عليّاً منذ أحببناه، ولا غششناه منذ صحبناه.

فقال معاوية محتقراً: ويحك ياجارية! ماكان أهونك على أهلك إذ سمّوك جارية!

فردّ عليه جارية بالمثل قائلاً: أنت ـ يا معاوية ـ كنت أهون على أهلك إذ سمّوك معاوية[٢].

وصاح به معاوية: لا أُمّ لك.

ـ أُمّ ما ولدتني[٣]، إنّ قوائم السيوف التي لقيناك بها بصفّين في أيدينا.

---

(١) تاريخ الأُمم والملوك: ٥: ١٨٩.

(٢) وفي رواية ابن عبدربّه: «ما كان أهونك على أهلك إذ سمّوك معاوية»، وهي الأُنثى من الكلاب.

(٣) وفي رواية ابن عبدربّه: «أُمّي ولدتني للسيوف». العقد الفريد: ٤: ٢٨٨.

وصاح به معاوية: إنّك لتهدّدني ؟

فأجابه بشجاعة: إنّك لم تملكنا قسرة، ولم تفتحنا عنوة، ولكن أعطيتنا عهوداً ومواثيق، فإن وفيت لنا وفينا، وإن ترغب إلى غير ذلك فقد تركنا وراءنا رجالاً مداداً، وأدرعاً شداداً، وأسنّة حداداً، فإن بسطت إلينا فتراً من غدر، زلفنا إليك بباع من ختر.

ولم يجد معاوية حجّة وقولاً يردّ به عليه، وإنّما قال له: لا كثّر الله في الناس من أمثالك[١].

لقد لاقى جارية التوهين والتبكيت من أجل ولائه للإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

## عدي بن حاتم

عديّ بن حاتم زعيم العرب في نبله وشهامته وعظم إيمانه، أخلص في ولائه للإمام أمير المؤمنين عليه السلام، قال له معاوية شامتاً: ما فعلت الطرفات[٢] ؟

- قُتلوا مع عليّ.
- ما أنصفك عليّ، قتل أولادك وأبقى أولاده!
- ما أنصفك عليّ إذ قُتل وبقيت بعده.

وغضبت معاوية وراح يهدّده قائلاً: أما إنّه قد بقي قطرة من دم عثمان ما يمحوها إلّا دم شريف من أشراف اليمن ـ يعني به عديّاً ـ.

ولم يعن به عدي، وقال له بشجاعة: والله إنّ قلوبنا التي أبغضناك بها لفي صدورنا، وإنّ أسيافنا التي قاتلناك بها لعلى عواتقنا، ولئن أدنيت إلينا من الغدر فتراً،

---

(١) تاريخ الخلفاء: ١٩٩. تهذيب الكمال: ٤: ٤١٣.

(٢) **الطرفات**: أولاد عديّ، وهم: طريف وطارف وطرفة.

لندنيّ إليك من الشرّ شبراً، وإن حزّ الحلقوم وحشرجة الحيزوم[١] لأهون علينا من أن نسمع المساءة في عليّ، فسلّم السيف يا معاوية لباعث السيف.

فراوغ معاوية وقال: هذه كلمات حكم فاكتبوها.

ثمّ أقبل عليه يحدّثه كأنّ لم يقل شيئاً[٢] ثمّ قال له: صف لي عليّاً.

- اعفني.

- لا أعفيك.

- وأخذ عدي يحدّثه عن مُثل الإمام وقيمه وزهده قائلاً: كان والله بعيد المدى، شديد القوى، يقول عدلاً، ويحكم فصلاً، تتفجّر الحكمة من جوانبه، والعلم من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل ووحشته، وكان والله غزير الدمعة، طويل الفكرة، يحاسب نفسه إذا خلا، ويقلّب كفّيه على ما مضى، يعجبه من اللباس القصير، ومن المعاش الخشن، وكان فينا كأحدنا يجيبنا إذا سألناه، ويدنينا إذا أتيناه، ونحن مع تقريبه لنا، وقربه منّا لا نكلّمه لهيبته، ولا نرفع أعيننا إليه لعظمته، فإن تبسّم فعن اللؤلؤ المنظوم، يعظم أهل الدين، ويتحبّب إلى المساكين، لا يخاف القوي ظلمه، ولا ييأس الضعيف من عدله.

فأُقسم لقد رأيته ليلة وقد مثل في محرابه وأرخى الليل سربال، وغارت نجومه، ودموعه تتحادر على لحيته، وهو يتململ تململ السليم، ويبكي بكاء الحزين، فكأنّي الآن أسمعه وهو يقول:

**يا دُنْيا إِلَيَّ تَعَرَّضْتِ أَمْ إِلَيَّ أَقْبَلْتِ؟ غُرِّي غَيْرِي لَا حانَ حِيْنُكِ، قَدْ طَلَّقْتُكِ ثَلاثاً لَا رَجْعَةَ لي فيكِ، فَعَيْشُكِ حَقيرٌ، وَخَطَرُكِ يَسيرٌ، آهٍ مِنْ قِلَّةِ الزّادِ، وَبُعْدِ السَّفَرِ،**

---

(١) **الحيزوم**: وسط الظهر.

(٢) مروج الذهب: ٢: ٣٠٩.

وَقِلَّةِ الْأَنيسِ.

وذهل معاوية وراح يقول: رحم الله أبا الحسن كان كذلك. كيف صبرك عنه ؟

- كصبر من ذُبح ولدها في حجرها، فهي لا ترقأ دمعتها، ولا تسكن عبرتها.
- فكيف ذكرك له ؟
- وهل يتركني الدهر أن أنساه ؟[1]

لقد استهان الطاغية بعديّ وشمت بقتل أبنائه، وقبله زياد أودعه في سجنه، كلّ ذلك لولائه للإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

وبهذا ينتهي بنا الحديث عن بعض الشخصيّات من شيعة الإمام الذين اضطهدهم معاوية وروّعهم ونكّل بهم.

## ترويع نساء الشيعة

ولم يقتصر معاوية في اضطهاده وترويعه على رجال الشيعة، وإنّما تعدّى إلى الفاضلات الماجدات من نساء الشيعة، فقد روّع كوكبة من السيّدات النابهات المعروفات بالحبّ والولاء للإمام أمير المؤمنين عليه السلام كان من بينهنّ:

## ١ ـ الزرقاء بنت عدي

الزرقاء من سيّدات نساء عصرها عفّة وطهارة وولاء للإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وكانت من البارعات في الخطابة والرأي الحصيف، وكانت في صفّين تدعو الجماهير إلى نصرة وصيّ رسول الله صلى الله عليه وآله ومقاومة أعدائه.

ولمّا تمّ الأمر للطاغية ابن هند كتب إلى عامله بالكوفة أن يحمل إليه الزرقاء، فبعث بها إليها، فلمّا دخلت عليه رحّب بها وقال لها: هل تعلمين لِمَ بعثت إليك ؟

---

(١) المحاسن والمساوئ: ١: ٣٢.

- سبحان الله ، أنّى لي بعلم ما لم أعلم !! وهل يعلم ما في القلوب إلّا الله .

- بعثت إليكِ أن أسألكِ ، ألستِ راكبة الجمل الأحمر يوم صفّين بين الصفّين توقدين الحرب ، وتحرّضين على القتال ، فما حملك على ذلك ؟

وراحت تسترحمه قائلة : قد مات الرأس ، وبُتر الذنب ، والدهر ذو غير ، ومن تفكّر أبصر ، والأمرُ يحدث بعده الأمر !!

- صدقت ، فهل تحفظين كلامك يوم صفّين ؟

- لا أحفظه .

- ولكنّي والله أحفظه ، لله أبوك لقد سمعتك تقولين : أيّها النّاس ، إنّكم في فتنة غشتكم جلابيب الظلم ، وجارت بكم عن المحجّة ، فيا لها من فتنة عمياء صمّاء تسمع لناعقها ، ولا تسلس لقائدها . إنّ المصباح لا يضيء في الشمس ، وإنّ الكواكب لا تنير مع القمر ، وإنّ البغل لا يسبق الفرس ، وإنّ الزفّ[1] لا يوازن الحجر ، ولا يقطع الحديد إلّا الحديد ، ألا من استرشدنا أرشدناه ، ومن استخبرنا أخبرناه . إنّ الحقّ كان يطلب ضالّته فأصابها ، فصبراً يا معشر المهاجرين والأنصار ، فكأن قد اندمل شعب الشتات ، والتأمت كلمة العدل ، وغلب الحقّ باطله ، فلا يعجلنّ أحد فيقول : كيف العدل وأنّى ؟ ليقضي الله أمراً كان مفعولاً ، ألا إنّ خضاب النساء الحنّاء ، وخضاب الرجال الدماء ، والصبر خير عواقب الأُمور ، إيهاً إلى الحرب غير ناكصين ، ولا متشاكسين ، فهذا يوم له ما بعده .

وبعد ما قرأ معاوية خطاب الزرقاء ورم أنفه من الغيظ ، فقال لها : والله يا زرقاء ، لقد شركت عليّاً في كلّ دم سفكه .

وقابلته بشجاعة فقالت له : أحسن الله بشارتك ، وأدام سلامتك ، مثلك من بشّر

---

(١) **الزفّ** : الصغير من الريش .

بخير وسرّ جليسه .

وبهر معاوية وقال : سرّكِ ذلك ؟

- نعم والله ، لقد سرّني قولكَ فأنّى لي بتصديق الفعل ؟!

وراح معاوية يبدي إعجابه بإخلاصها للإمام قائلاً : والله لوفاؤكم له بعد موته أحبّ إليَّ من حبّكم له في حياته .

ثمّ صرفها [١] ، لقد روّعها وأفزعها في مجيئها من الكوفة ، فكانت خائفة مضطربة .

## ٢ ـ أُمّ الخير البارقيّة

من السيّدات الماجدات أُمّ الخير البارقيّة ، أخلصت للإمام أمير المؤمنين عليه السلام أعظم ما يكون الإخلاص ، وكانت في واقعة صفّين تحرّض الجماهير وتبعث في نفوسهم العزيمة والنشاط لمحاربة ابن هند ، وقد أُترعت نفس الطاغية بالبغض والعداء لها ، وقد كتب إلى عامله بالكوفة أن يبعثها إليه ليتشفّى منها ، فأرسلها إليه ، ولمّا دخلت عليه سلّمت عليه بإمرة المؤمنين تقيّة وخشية منه ، فقال لها : بالرغم والله دعوتني بهذا الإسم .

بأجابته ببلاغة غير هيّابة لسلطانه : مه يا هذا ، فإنّ بديهة السلطان مدحظة لما يجب علمه .

وبعد محاورة جرت بينهما قال لها : كيف كلامك يوم قتل عمّار ؟

فقالت : لم أكن والله رويته قبل ، ولا زورته بعد ، وإنّما كانت كلمات نفثهنّ لساني حين الصدمة ، فإن شئت أن أُحدث لك مقالاً غير ذلك فعلت ؟

---

(١) بلاغات النساء لابن طيفور : ٣٢ . المستطرف : ١ : ٤١٠ .

فقال الطاغية: لا أشاء ذلك!

ثمّ التفت إلى عبيده فقال لهم: أيّكم حفظ كلام أُمّ الخير؟

فانبرى إليه عميل من أصحابه، فقال: أنا أحفظه، وتلاه عليه، وكان يتّسم بالشدّة والحثّ على قتال معاوية، فلمّا سمعه انتفخت أوداجه غيظاً وورم أنفه، وقال لها بنبرات تقطر غضباً: والله يا أُمّ الخير ما أردت بهذا إلّا قتلي، والله لو قتلتك ما حرجت في ذلك.

ولم تحفل بتهديده فأجابته بشجاعة: والله ما يسوءني ـ يابن هند ـ أن يجري الله ذلك على يد من يسعدني الله بشقائه.

وأراد أن يستبيح دمها فقال لها: هيهات يا كثيرة الفضول، ما تقولين في عثمان ابن عفّان؟

فأجابته بواقع عثمان الذي اتّخذه وسيلة للانتقام من خصومه، فقالت: وما عسيت أن أقول فيه، استخلفه النّاس وهم كارهون، وقتلوه وهم راضون[1].

وبعد حديث جرى بينهما أطلق سراحها وقد روّعها وملأ قلبها خوفاً.

## ٣ـ سودة بنت عمارة

سودة بنت عمارة بن الأشتر الهمداني من مفاخر نساء العراق عفّة وطهارة وبلاغة وولاء للإمام أمير المؤمنين وسيّد المتّقين عليه السلام، وفدت على الطاغية معاوية تشكو إليه جور عامله، فلمّا رآها عرفها وقال لها: ألست القائلة يوم صفّين:

شَمِّرْ كَفِعلِ أَبيكَ يابنَ عُمارَةٍ ... يَومَ الطِّعانِ وَمُلتَقى الأَقْرانِ

وَانْصُرْ عَلِيّاً وَالحُسَينَ وَزَهطَهُ ... وَاقْصِدْ لِهِنْدٍ وَابْنِها بِهَوانِ

---

(١) بلاغات النساء: ٣٦. أعلام النساء: ١: ٣٣٢.

إِنَّ الإِمامَ أَخـا النَّـبِيِّ مُـحَمَّدٍ عَلَمُ الهُـدىٰ وَمَـنارَةُ الإِيـمانِ
فَقُدِ الْجُيوشَ وَسِرْ أَمامَ لِوائِهِ قُـدْماً بِـأَبيَضِ صـارِمٍ وسِـنانِ

ولم تنكر ذلك وقالت بشجاعة: إي والله، ما مثلي من رغب عن الحقّ، أو اعتذر بالكذب.

- فما حملك على ذلك؟!
- حبّ عليّ واتّباع الحقّ.
- فوالله ما أرى عليك من أثر عليّ شيئاً؟!
- مات الرأس، وبُتر الذنب، فدع عنك تذكار ما قد نُسي، وإعادة ما مضى.
- هيهات ما مثل مقام أخيك ينسى، وما لقيت من أحد ما لقيت من قومك وأخيك.
- صدقت لم يكن أخي ذميم المقام، ولا خفيّ المكان، كان والله كقول الخنساء:

وَإِنَّ صَخْراً لَتَأْتَمُّ الْهُداةُ بِهِ كَـأَنَّهُ عَـلَمٌ فـي رأْسِهِ نـارُ

- صدقتِ، كان كذلك.

وراحت تستعطفه قائلة: مات الرأس، وبُتر الذنب، وبالله أسأل أمير المؤمنين إعفائي ممّا استعفيت منه.

- قد فعلت، فما حاجتك؟

وعرضت عليه حاجتها قائلة: إنّك أصبحت للنّاس سيّداً، ولأمرهم متقلّداً، والله سائلك من أمرنا، وما افترض من حقّنا، ولا يزال يقدم علينا من ينوء بعزّك، ويبطش بسلطانك، فيحصدنا حصد السنبل، ويدوسنا دوس البقر، ويسومنا الخسيسة، ويسلبنا الجليلة. هذا بسر بن أرطاة قدم علينا من قِبلك، فقتل رجالي،

وأخذ مالي ، ولولا الطاعة لكان فينا عزّ ومنعة ، فأمّا عزلته عنّا فشكرناك ، وإمّا لا فعرفناك .

وتأثّر الطاغية من كلامها فقال لها : أتهدّديني بقومك ؟ لقد هممت أن أحملك على قتب أشرس ، فأردّك إليه ينفّذ فيك حكمه .

فأطرقت إلى الأرض وهي باكية وأنشأت تقول :

صَلَّى الإِلهُ عَلىٰ جِسْمٍ تَضَمَّنَهُ ... قَبْرٌ فَأَصبَحَ فيهِ الْعَدلُ مَدْفونا

قَد حالَفَ الْحَقَّ لا يَبْغي بِهِ بَدَلاً ... فَصارَ بِالحَقِّ وَالإِيمانِ مَقْرونا

- مَن هو ؟

- ذاك عليّ بن أبي طالب .

- ما صنع بك حتّى صار عندك بهذه المنزلة ؟

- قدمت عليه في رجل ولّاه صدقتنا ، فكان بيني وبينه ما بين الغثّ والسمين ، فأتيت عليّاً عليه السلام لأشكو إليه ما صنع ، فوجدته قائماً يصلّي ، فلمّا فرغ من صلاته قال لي برأفة وتعطّف : **أَلَكِ حاجَةٌ ؟**

فأخبرته بظلم عامله ، فبكى وقال : **اللّٰهُمَّ إِنَّكَ أَنْتَ الشَّاهِدُ عَلَيَّ وَعَلَيْهِمْ ، إِنِّي لَمْ آمُرْهُمْ بِظُلْمِ خَلْقِكَ ، وَلَا بِتَرْكِ حَقِّكَ .**

ثمّ أخرج من جيبه قطعة جلد وكتب فيها بعد البسملة :

**﴿ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِن رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ * بَقِيَّةُ اللهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴾**[1] .

---

(١) هود ١١: ٨٥ و ٨٦.

**إذا قَرَأْتَ كِتابي فَاحْتَفِظْ بِما في يَدَيْكَ مِنْ عَمَلِنا حَتّىٰ يَقْدِمَ عَلَيْكَ مَنْ يَقْبِضُهُ مِنْكَ، وَالسَّلام».**

فأخذته منه، والله ما ختمه بطين ولا حزمه بحزام.

وبهر معاوية وقال: اكتبوا لها بالإنصاف والعدل لها.

فقالت: ألي خاصّة أم لقومي عامّة؟

- وما أنت وغيرك؟

- هي والله إذن الفحشاء واللؤم إن لم يكن عدلاً شاملاً، وإلّا فأنا كسائر قومي.

وانبرى معاوية قائلاً: لقد لمظكم ابن أبي طالب الجرأة وغرّكم قوله:

فَلَو كُنتُ بَوّاباً عَلىٰ بابِ جَنّةٍ  لَقُلتُ لِهَمْدانَ ادخُلوا بِسَلامِ[1]

لقد كانت هذه السيّدة من حسنات نساء الشيعة في فضلها ووفور عقلها، وقد قابلها معاوية بالازدراء والاحتقار.

## ٤ ـ أُمّ البراء بنت صفوان

وكانت أُمّ البراء بنت صفوان بن هلال من سيّدات النساء عفّة وطهارة وولاءً لأمير المؤمنين عليه السلام، وكانت من السيّدات في معركة صفّين تحرّض الجماهير على القتال، وتحمّسهم على الدفاع عن أخي رسول الله صلى الله عليه وآله وباب مدينة علمه، وقد وفدت على الطاغية ابن هند فقابلها باحتقار فقال لها: كيف أنت يا بنت صفوان؟

- بخير يا أمير المؤمنين.

- كيف حالك؟

---

(١) أعلام النساء: ٢: ٦٦٣. العقد الفريد: ١: ٢١١. بلاغات النساء: ٣٠.

- ضعفتُ بعد جلد.
- شتّان بينك اليوم وحين تقولين:

يا عَمْرو دونَكَ صارِماً ذا رَونَقٍ ... عَضْبُ المَهَزَّةِ لَيسَ بِالخَوّارِ
أَسْرِجْ جَوادَكَ مُسْرِعاً وَمُشَمِّراً ... لِلحَربِ غَيرَ مُعَرِّدٍ لِفِرارِ
أَجِبِ الإِمامَ وَدُبَّ تَحتَ لِوائِهِ ... وَافْرِ العَدُوَّ بِصارِمٍ بَتّارِ
يا لَيْتَني أَصْبَحتُ لَيسَ بِعَوْرَةٍ ... فَأَذُبَّ عَنهُ عَساكِرَ الفُجّارِ

- قد كان ذاك، ومثلك عفا، والله تعالى يقول: ﴿عَفَا اللهُ عَمَّا سَلَفَ﴾[1].
- هيهات، أما إنّه -أي الإمام- لو عاد لعُدتِ، ولكن احترم دونك، فكيف قولك حين قُتل؟

فقالت: نسيته.

فانبرى إليه بعض جلسائه فقال إنّها تقول:

يا لَلرِّجالِ لِعِظمِ هَولِ مُصيبَةٍ ... فَدَحَتْ فَليسَ مُصابُها بِالهازِلِ
الشَّمْسُ كاسِفَةٌ لِفَقدِ إِمامِنا ... خَيْرِ الخَلائِقِ وَالإِمامِ العادِلِ
يا خَيْرَ مَنْ رَكِبَ المَطِيَّ وَمَنْ مَشى ... فَوقَ التُّرابِ لِمُحْتَفٍ أَوْ ناعِلِ
حاشا النَّبِيَّ لَقَدْ هَدَدْتَ قُواعَنا ... فَالحَقُّ أَصبَحَ خاضِعاً لِلباطِلِ

وورم أنف معاوية، وقال لها: قاتلكِ الله يا بنت صفوان، ما تركتِ لقائل مقالاً، اذكري حاجتك.

ولمّا رأت بنت صفوان استهانة معاوية بها واحتقاره أنفت أن تعرض عليه حاجتها، وقالت له: هيهات بعد هذا، والله لا سألتك شيئاً.

---

(١) المائدة ٥: ٩٥.

ثمّ قامت فعثرت ، فقالت : تعس شانئ عليّ[١] .

لقد لاقت هذه السيّدة الفاضلة الاستهانة من ابن هند لحبّها للإمام أمير المؤمنين عليه السلام .

## ٥ ـ بكارة الهلاليّة

أمّا بكارة الهلاليّة ، فإنّها من سيّدات النساء عفّة وطهارة وولاء لإمام المتّقين وسيّد الوصيّين ، وكان لها دور متميّز في واقعة صفّين ، فكانت تحرّض جيش الإمام على الحرب وتبعث في نفوسهم الحماس والعزم على قتال الطاغية ابن هند .

وفدت عليه بعد كبرها ، فسلّمت عليه بالخلافة ، وكان في مجلسه مروان بن الحكم وعمرو بن العاص ، فعرفها مروان ، فقال لمعاوية : أتعرف هذه ؟

- من هي ؟
- هي التي كانت تعين علينا يوم صفّين وهي القائلة :

يا زَيدُ دونَكَ فَاحْتَفِرْ مِنْ دارِنا ... سَيفاً حُساماً في التُّرابِ دَفينا

قَدْ كانَ مَذْخوراً لِكُلِّ عَظيمَةٍ ... فَاليومَ أَبْرزَهُ الزَّمانُ مَصونا

واندفع ابن العاص قائلاً : وهي القائلة :

أَتَرى ابنَ هِندٍ لِلخِلافَةِ مالِكاً ... هَيهاتَ ذاكَ وَما أَرادَ بَعيدُ

مَنَّتْكَ نَفسُكَ في الخَلاءِ ضَلالَةً ... أَغْراكَ عَمرٌو لِلشَّقا وَسَعيدُ

فَارْجِعْ بِأَنْكَدِ طائِرٍ بِنُحوسِها ... لاقَتْ عَلِيّاً أَسْعُدٌ وَسُعودُ

---

(١) بلاغات النساء : ٧٥ . صبح الأعشى : ١ : ٣٠٨ . أعيان الشيعة : ٣ : ٤٧٥ . جمهرة رسائل العرب : ٢ : ٣٨٥ .

وانبرى سعيد قائلاً: وهي القائلة:

فَدْ كُنتُ آمَلُ أَنْ أَموتَ وَلا أَرىٰ ... فَوقَ المَنابِرِ مِنْ أُمَيَّةَ خاطِباً

فَاللهُ أَخَّرَ مُدَّتي فَتَطاوَلَتْ ... حَتّىٰ رَأَيتُ مِنَ الزَّمانِ عَجائِبا

في كُلِّ يَومٍ لا يَزالُ خَطيبُهُمْ ... وَسَطَ الجُموعِ لآلِ أَحْمَدَ عائِبا

والتفتت إلى معاوية فقالت له: نبحتني كلابك يا أمير المؤمنين واعتورتني، فقصرت محجّتي، وكثر عجبي، وعشا بصري، وأنا والله قائلة ما قالوا لا أدفع ذلك بتكذيب، فامض لشأنك، فلا خير في العيش بعد أمير المؤمنين[1].

أرأيتم هذا الإيمان وهذا الولاء للإمام أمير المؤمنين غير حافلة بسلطان معاوية.

## ٦ ـ الدارميّة الحجونيّة

من النساء الفاضلات الدارميّة الحجونيّة. عرفت بالفصاحة والولاء العارم للإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

بعث الطاغية خلفها لاذلالها والتوهين بها، فلمّا مثلت عنده قال لها باستهزاء وسخرية: كيف حالك يا ابنة حام.

فردت عليه قائلة: لست لحام، وإنّما أنا امرأة من قريش من بني كنانة.

فقال معاوية: صدقتِ، هل تعلمين لِمَ بعثت إليك؟

فأجابته: سبحان الله! وأنّى لي بعلم ما لم أعلم؟

فقال معاوية: بعثتُ إليك أن أسألك علام أحببت عليّاً عليه السلام وأبغضتيني؟ وعلام واليتيه وعاديتيني؟

---

(١) بلاغات النساء: ٣٤. جمهرة رسائل العرب: ٢: ٣٧٩ و ٣٨٠.

- اعفني من ذلك.

- لا أعفيك، لذلك دعوتكِ.

- إنّي أحببت عليّاً لعدله في الرعية، وقسمه بالسوية، وأبغضتك على قتالك من هو أوْلى بالأمر منك، وطلبك ما ليس لك، ووالیت عليّاً على ما عقد له رسول الله ﷺ من الولاية وحبّ المساكين، وإعظامه لأهل الدين، وعاديتك على سفكك الدماء، وشقّك العصا.

وثار ابن هند وقابلها بكلمات فاحشة قائلاً: صدقتِ فلذلك انتفخ بطنك، وكبر ثديك، وعظمت عجيزتك.

فردّت عليه بالمثل قائلة: يا هذا بهند والله يضرب المثل لا أنا.

ثمّ التفت لها قائلاً: هل رأيت عليّاً؟

- إي والله لقد رأيته.

- كيف رأيته؟

- لم ينفخه الملك، ولم تصقله النعمة[1].

- هل سمعت كلامه؟

- كان والله كلامه يجلو القلوب من العمى، كما يجلو الزيت صداء الطست.

- صدقتِ[2].

ثمّ وصلها وأعطاها، ولكن بعد ما روّعها واستهان بها.

هؤلاء بعض السيّدات اللاتي روّعهنّ معاوية لولائهنّ لإمام المتّقين وصيّ رسول

---

(١) وفي العقد الفريد: «رأيته والله لم يفتنه الملك الذي فتنك، ولم تشغله النعمة التي شغلتك».

(٢) بلاغات النساء: ٧٢. العقد الفريد: ١: ٢١٦. صبح الأعشى: ١: ٢٥٩.

الله ﷺ وباب مدينة علمه.

## البيعة ليزيد

وختم معاوية حياته الحافلة بالظلم والجور بأكبر إثم وأفظع جريمة، ففرض خليعه يزيد خليفة على المسلمين يعبث في دينهم ودنياهم، وكان معاوية بذلك مدفوعاً بدافع جاهلي لا التقاء له بالقيم الإسلاميّة.

يقول السيّد قطب: «مدفوع بدافع لا يعرفه الإسلام، دافع العصبيّة العائليّة والقبليّة، وما هي بكثيرة على معاوية ولا بغريبة عليه، فمعاوية بن أبي سفيان وابن هند بنت عتبة، وهو وريث قومه، وأشبه شيء بهم في بُعد روحه عن حقيقة الإسلام»[1].

إنّ الإسلام اعتبر في إمام المسلمين أن تتوفّر فيه الصفات الكريمة من العلم والكفاءة والحريجة في الدين، وغير ذلك من القيم الرفيعة ولم يتمتّع يزيد بشيء من ذلك وإنّما كان جاهليّاً مولعاً بشرب الخمر ولعب القرود والفهود، وقد صوّر فسقه بولس سلامة بقوله:

رافِعَ الصَّوتِ داعِياً لِلفَلَاحِ ... أَخفِضِ الصَّوتَ في أَذانِ الصَّباحِ
وَتَرفَّقْ بِصاحِبِ العَرشِ مَشْـ ... ـغُولاً عَنِ اللهِ بِالقِيانِ المِلَاحِ
أَلَفُ (اللهُ أكبَرٌ) لَا تُساوِي ... بَينَ كَفَّي يَزِيدَ نَهْلَةَ راحِ
تَتَلَظّىٰ في الدِّنانِ بِكراً فَـ ... ـلَمْ تُدَنَّسْ بِلَثمٍ وَلَا بِماءٍ قِراحِ[2]

وقال فيه المنذر بن الزبير حينما رجع منه: «إنّ يزيد قد أجازني بمائة ألف،

---

(١) العدالة الاجتماعيّة: ١٨٠.

(٢) ملحمة الغدير لبولس سلامة: ٢٢٦.

ولا يمنعني ما صنع بي أن أُخبركم خبره، والله إنّه ليشرب الخمر، والله إنّه ليسكر حتّى يدع الصلاة»[١].

ومثل ذلك قال أبو عمرو بن حفص[٢].

وقال فيه عبدالله بن حنظلة الصحابي المنعوت بالراهب شهيد واقعة الحرّة: «والله ما خرجنا على يزيد حتّى خفنا أن نرمى بالحجارة من السماء، إنّه رجل ينكح الأُمّهات والبنات والأخوات، ويشرب الخمر، ويدع الصلاة، والله لو لم يكن معي أحد من الناس لأبليت لله فيه بلاءً حسناً»[٣].

وكان معاوية عالماً بفسق ولده وتجاهره بالمعاصي والموبقات، وقد كتب له الرسالة التالية: «بلغني أنّك اتّخذت المصانع والمجالس للملاهي والمزامير كما قال تعالى: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ * وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾[٤]، وأجهرت الفاحشة حتّى اتّخذت سريرتها عندك جهراً.

اعلم يا يزيد، إنّ أوّل ما سلبكه السكر معرفة مواطن الشكر لله على نعمه المتظاهرة، وآلائه المتواترة، وهي الجرحة العظمى، والفجعة الكبرى، ترك الصلوات المفروضات في أوقاتها، وهو من أعظم ما يحدث من آفاتها، ثمّ استحسان العيوب، وركوب الذنوب، وإظهار العورة، وإباحة السرّ، فلا تأمن نفسك على سرّك، ولا تعتقد على فعلك»[٥].

ومعاوية كان مدمناً على شرب الخمر واقتراف ما حرّم الله تعالى من إثم،

---

(١) البداية والنهاية: ٨: ٢١٦. الكامل في التاريخ: ٤: ٤٥.

(٢) تاريخ مدينة دمشق: ٢٧: ١٨.

(٣) تاريخ مدينة دمشق: ٢٧: ٤٢٩. تاريخ الخلفاء للسيوطي: ٨١.

(٤) الشعراء ٢٦: ١٢٨ و ١٢٩.

(٥) صبح الأعشى: ٦: ٣٨٨.

وقد اقتدى يزيد بأبيه، وقد أوصاه بأن يتمتّع بجميع المغريات سرّاً لا أمام الناس فقد قال له: يا بني، ما أقدرك على أن تصير إلى حاجتك من غير تهتّك يذهب بمروءتك وقدرك، ثمّ أنشده.

انصَبْ نَهاراً في طِلَابِ العُلَىٰ ... وَاصبِرْ عَلىٰ هَجرِ الحَبِيبِ القَرِيبِ
حَتّىٰ إِذَا اللَّيلُ أَتَىٰ بِالدُّجَىٰ ... وَاكتَحَلتْ بِالغَمْضِ عَينُ الرَّقِيبِ
فَبَاشِرِ اللَّيلَ بِما تَشتَهِي ... فَإِنَّمَا اللَّيلُ نَهارُ الأَرِيبِ
كَمْ فَاسِقٍ تَحْسَبُهُ نَاسِكاً ... قَدْ بَاشَرَ اللَّيلَ بِأَمرٍ عَجِيبِ[1]

ويقول الرواة إنّه تجسّس على ولده فرآه سكراناً وينشد:

أَقُولُ لِصَحْبٍ ضَمَّتِ الكَأْسُ شَمْلَهُمُ ... وَدَاعِي صَبَاباتِ الهَوىٰ يَتَرَنَّمُ
خُذُوا بِنَصِيبٍ مِن نَعيمٍ وَلَذَّةٍ ... فَكُلٌّ وَإِنْ طَالَ المَدى يَتَصَرَّمُ
وَلَا تَتْرُكُوا يَومَ السُّرُورِ إِلى غَدٍ ... فَرُبَّ غَدٍ يَأْتي بِما لَيسَ يُعلَمُ
أَلا إِنَّ أَهْنى العَيشِ ما سَمَحَتْ بِهِ ... صُروفُ اللَّيالي وَالحَوادِثُ تُوَّمُ[2]

وعاد معاوية إلى مكانه ولم يعلمه بنفسه، وراح يقول: والله لا كنت عليه، ولا نغّصت عليه عيشه[3].

وليس عربدة السكر والانغماس في المحرّمات عيباً عند ابن هند أو منقصة حتّى يردع ولده عنها.

وعلى أي حال، فإنّ من أفحش أعمال معاوية تقليد ابنه خلافة المسلمين، وقد أثر عن النبيّ ﷺ أنه قال: «**مِنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ شَيْئاً فَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ أَحَداً**

---

(١) تاريخ مدينة دمشق: ٦٥: ٤٠٣. البداية والنهاية: ٨: ٢٣١.
(٢) الكنى والألقاب: ٢: ٥٣.
(٣) وفيات الأعيان: ٣: ٢٨٧. شذرات الذهب: ٤: ٩.

مُحاباةً فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ لَا يَقْبَلُ مِنْهُ صَرْفاً وَلَا عَدْلاً حَتّىٰ يُدْخِلَهُ جَهَنَّمَ»[١].

ولم يعرف قيم الإسلام وأحكامه، فسلّط ولده الفاسق على المسلمين فأخلد لهم المحن والكوارث، فحينما تقلّد الحكم كان همّه القضاء على الإمام الحسين بن عليّ عليه السلام استجابة لرغائب أبيه الذي اغتال أخاه الإمام الحسن عليه السلام بالسمّ، وتنفيذاً لرغائب القرشيّين الذين أُترعت نفوسهم بالبغض والحقد على أهل البيت، ورحم الله حكيم المعرّة بقوله:

أَلَيسَ قُرَيشُكُمْ قَتَلَتْ حُسَيناً وَكان عَلىٰ خِلافَتِكُمْ يَزيدُ

وكتب الطاغية الخبيث إلى الوليد بن عتبة واليه على المدينة أن يأخذ له البيعة من أهل المدينة عامّة، ومن الحسين عليه السلام خاصّة، فإن أبى ضرب عنقه وبعث إليه برأسه، وعرض الوليد على الإمام في بهو السلطة ذلك، فأجابه بدون مبالاة ولا خوف: «وَمِثْلِي لَا يُبايِعُ مِثْلَهُ»[٢].

كيف يبايع سيّد الدنيا ووارث كمالات الأنبياء، وأمل المسلمين ليزيد القرد النذل الذي هو ملتقى لكلّ رذيلة وإثم، وخرج الإمام إلى مكّة ساحقاً أوامر السلطة، واستقرّ بها وهو يدعو القادمين إلى حجّ بيت الله الحرام إلى مقاومة الحكم الأموي الذي يشكّل خطراً على الإسلام.

وأوعز الرجس إلى عملائه باغتيال الإمام عليه السلام في مكّة، وإن كان متعلّقاً بأستار الكعبة، ولمّا علم الإمام ذلك غادر مكّة إلى العراق بعد أن بعث سفيره وابن عمّه مسلم بن عقيل لأخذ البيعة له، واستجاب معظم الكوفيّين لبيعة الإمام.

وقد أبدى والي الكوفة النعمان بن بشير تعاطفاً معهم لأسباب ذكرناها في كتابنا

---

(١) النصائح الكافية: ٣٩.

(٢) الفتوح: ٥: ١٤. مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١: ١٨٤.

(حياة الإمام الحسين بن عليّ عليه السلام)، ولمّا علم الطاغية ذلك عزله وولّى مكانه رجساً خبيثاً فاجراً لم تعرف البشريّة في جميع تاريخها نجساً وضيعاً مثله، فاستولى على الحكم بيد من حديد، وزجّ بالكوفيّين لحرب ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله، وأصدر أوامره لجيشه بمنع الماء عن الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه وأهل بيته، وأخذ الظمأ القاسي منهم مأخذاً عظيماً، وعرضوا على الإمام الاستسلام فهزأ منهم، وقال كلمته الخالدة التي دارت مع الفلك وارتسمت فيه قائلاً: «**لَا أَرَى الْمَوتَ إِلَّا سَعادَةً وَالْحَياةَ مَعَ الظّالِمِينَ إِلّا بَرَماً**»(١).

وقال: «**هَيْهاتَ مِنّا الذِّلَّةُ، يَأْبَى اللهُ لَنا ذلِكَ وَرَسُولُهُ، ونُفُوسٌ أَبِيَّةٌ، وَأُنُوفٌ حَمِيَّةٌ مِنْ أَنْ نُؤْثِرَ طاعَةَ اللِّئامِ عَلىٰ مَصارِعِ الْكِرامِ...**»(٢).

وزحفت جيوش الأمويّين نحو الإمام الحسين عليه السلام والصفوة الطاهرة من أصحابه وأهل بيته فحصدت رؤوسهم بوحشيّة قاسية، وقد حكت المعركة صوراً مذهلة من الشرف والسموّ في معسكر الإمام الحسين عليه السلام وصوراً من الوحشيّة والقسوة وانعدام الكرامة في معسكر الأمويّين، وقد حملت عقائل النبوّة أسرى يطاف بهنّ في الأقطار والأمصار، وقد أبدى الأمويّون فرحهم وسرورهم بما أنزلوه بالأُسرة النبويّة من صنوف القتل والتنكيل.

لقد استشهد الإمام الحسين عليه السلام من أجل أن يقيم في الشرق العربي حكومة القرآن التي تعنى بحقوق المظلومين والبائسين، وتنفي عنهم الحاجة وتحميهم من استغلال المتكبّرين والطغاة والمستبدّين.

إنّ تضحية الإمام الحسين عليه السلام أحقّ بالبقاء وأجدر بالخلود من كلّ شيء، وسيبقى

---

(١) المعجم الكبير: ٣: ١١٥. تاريخ مدينة دمشق: ١٤: ٢١٨.

(٢) بحار الأنوار: ٤٥: ٩. مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ٢: ٧. تاريخ مدينة دمشق: ١٤: ٢١٩.

الحسين عليه السلام نوراً في سماء الدنيا وعلماً للكفاح المسلّح ضدّ الظلم والطغيان.

لقد هزّت كارثة كربلاء الضمير العالمي، وتركت بصماتها الحزينة حتّى في أقلّ النفوس إحساساً فقد عانى الإمام من ضروب المحن ما لم يجر على أي مصلح اجتماعي.

## واقعة الحرّة

وواقعة الحرّة من المآسي المروّعة التي فجع بها المسلمون، فقد خلع أهل المدينة بيعة يزيد وأعلنوا الثورة على حكومته، فعهد يزيد إلى مسلم بن عقبة ـ المجرم الأثيم الذي سمّي بالمسرف لايغاله بدماء المسلمين ـ القضاء عليها، وقد ضمّ إليه عشرين ألف مقاتل، وعهد إليه أن يبيحها لجنده ثلاثة أيّام يصنعون بأهلها ما يشاءون من قتل ونهب ودمار، وبعد احتلال المدينة أخذ الجيش يحصد رؤوس الناس كأنّهم أغنام، واستباحوا بصورة وحشيّة قتل الأطفال أمام أُمّهاتهم، ونهبوا ما في البيوت من متاع وأموال، وأخذوا البيعة من أهلها على أنّهم خول وعبيد ليزيد، ومن أبى ضربت عنقه، وقد جرت من المآسي ما تذوب من هولها النفوس.

وبعدها زحف الجيش إلى مكّة، واستباحوا حرمة الكعبة المقدّسة، فقد رموها بالمجانيق، واقترفوا أعظم الجرايم والموبقات مع أهلها.

هذه شذرات من جرائم يزيد الذي سلّطه معاوية على رقاب المسلمين.

لقد كانت أعمال معاوية حافلة بالموبقات والجرائم والفساد في الأرض، ومن المؤكّد أنّ المسؤول عمّا اقترفه معاوية من الأحداث الجسام هو الذي أسند له ولاية الشام، وقام بتسديده وتأييده، فجعله كسرى العرب وفتى قريش، والله تعالى هو الذي يحكم بين عباده بالحقّ وسائله عن ذلك يوم لا ينفع مال ولا بنون.

## هلاك معاوية

ألمّت الأمراض بمعاوية وتدهورت صحّته، ولم تجدِ معه الوصفات الطبيّة، فقد تناهبت الأمراض جسمه، وشعر بدنوّ أجله، وكان على حزن ممّا اقترفه من الآثام الجسام خصوصاً في قتله الصحابي الجليل حجر بن عدي، فكان يقول: «ويلي منك يا حجر، إنّ لي مع ابن عدي يوماً طويلاً»[١].

وتحدّث الناس عن مرضه، فقالوا: إنّه الموت، ودخل عليه أحد العلويّين عائداً فقال لحرّاسه: اجلسوني ثمّ لبس أفخر ثيابه، ولمّا دخل عليه أنشد معاوية:

وَتَجَلُّدي لِلشّامِتينَ أُريهِمُ ... أَنّي لِرَيْبِ الدَّهْرِ لا أَتَضَعْضَعُ

فأنشد العلوي عند ذلك:

وَإِذا الْمَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفارَها ... أَلْفَيْتَ كُلَّ تَميمَةٍ لا تَنْفَعُ[٢]

واشتدّ به المرض، فكان يظهر الجزع على ما اقترفه من الأحداث الجسام من سفك دماء المسلمين، ونهب أموالهم، حتّى وافاه الأجل المحتوم، فأهون به ميّتاً، ولم يكن قرّة عينه يزيد موجوداً، فكان فيما يقول المؤرّخون خارج دمشق، وكان مشغولاً بنغمة العيدان وعربدات السكر.

وبهذا ينتهي بنا الحديث عن معاوية وما ألحقه بالمسلمين من النكبات والأضرار البالغة.

وفي ختام هذا الكتاب أُشير إلى أنّي كتبت بعض فصوله في دلهي ـ الهند والبعض الآخر في النجف الأشرف وأنا أُعاني المرض والضعف، سائلاً من الله تعالى أن يتقبّل الأعمال، ويثيبنا على ذلك، إنّه تعالى وليّ ذلك والقادر عليه.

---

(١) أنساب الأشراف: ٥: ٧٥. تاريخ الأُمم والملوك: ٤: ٥٠٠.

(٢) حياة الحيوان للدميري: ١: ٨٥. مرآة الجنان: ١٦٨.
وقيل: إنّ الذي دخل عليه هو ابن عبّاس.

# مصادر الكتاب

## القرآن الكريم


١ ـ أخبار الدول للدمشقي، أحمد بن يوسف القرماني (ت ١٠١٩هـ)، نشر عالم الكتب، بيروت، ١٤١٢هـ.

٢ ـ الأخبار الطوال، أحمد بن داود الدينوري (ت ٢٨٢هـ)، دار احياء الكتب العربية القاهرة، ١٩٦٠م.

٣ ـ الأخبار الموفقيات، (١٧٢ ـ ٢٥٦ ق)، الشريف الرضي، قم المقدّسة، ١٣٧٤ هـ.

٤ ـ الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر (ت ٤٦٣ هـ)، تحقيق علي محمّد البجاوي، دار الجبل، ط ١، ١٤١٢هـ.

٥ ـ أُسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن أثير، عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرام الشيباني (ت ٦٣٠هـ)، دار الكتاب العربي، لبنان.

٦ ـ الإسلام والحضارة العربيّة.

٧ ـ أسنى المطالب، محمّد بن درويش، دار الكتب العلمية، بيروت.

٨ ـ الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني (ت ٨٥٢هـ).

٩ ـ أعلام النساء في عالمي العرب والاسلام، كحالة عمر رضا، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٤م.

١٠ ـ الأغاني، أبي فرج الاصفهاني (ت ٣٥٦هـ)، دار الفكر، بيروت.

١١ ـ الأُمّ، الشافعي، محمّد بن ادريس، دار المعرفة، بيروت.

١٢ ـ الإمام عليّ بن أبي طالب جورج جرداق، دار العربية للموسوعات، ٢٠٠٥م.

١٣ ـ الإمامة والسياسة، ابن قتيبة، أبي محمّد عبدالله بن مسلم الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، نشر مؤسسة الحلبي.

١٤ ـ إمتاع الأسماع، المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٠هـ.

١٥ ـ الأنساب، السمعاني، أبي سعيد عبدالكريم بن محمّد (ت ٥٦٢هـ)، دار الفكر، ط١، ١٩٨٨، بيروت.

١٦ ـ أنساب الأشراف، البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري، ٢٧٩هـ، ط١، بيروت، ١٩٦٦م.

١٧ ـ أقرب الموارد، سعيد الخوري، ١٤٠٣هـ، قم.

١٨ ـ بحار الأنوار، المجلسي، الشيخ محمّد باقر (ت ١١١١هـ)، مؤسسة الوفاء، بيروت، ١٤٠٣ هـ.

١٩ ـ البداية والنهاية، ابن كثير، اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (ت ٧٧٤هـ)، مكتبة المعارف، بيروت.

٢٠ ـ تاج العروس، الزبيدي، محمّد مرتضى الحسيني (ت ١٢٠٥هـ)، دار الفكر، بيروت ١٩٤٤م.

٢١ ـ تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمّد، ٧٣٢ ـ ٨٠٨هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٦م.

٢٢ ـ تاريخ أبي الفداء، إسماعيل بن عليّ، ٦٧٢ ـ ٧٣٢هـ، دار صادر، بيروت، ١٩٨٢م.

٢٣ ـ تاريخ الإسلام، الذهبي، شمس الدين محمّد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٨٧م.

٢٤ ـ تاريخ الأمم والملوك، الطبري، محمّد بن جرير، ٣١٠هـ، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٤٠٣هـ.

٢٥ ـ تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، أبي بكر أحمد بن علي (ت ٤٦٣هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٦ ـ تاريخ التمدّن الإسلامي، جورج زيدان.

٢٧ ـ تاريخ الخلفاء، السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ)، مطبعة السعادة، مصر، ١٩٥٢م.

٢٨ ـ تاريخ المدينة، ابن شبه، عمر بن شبه النميري البصري (ت ٢٦٢هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦م.

٢٩ ـ **تاريخ مدينة دمشق**، ابن عساكر، أبي القاسم علي بن الحسن الشافعي (ت ٥٧١هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥م.

٣٠ ـ **تاريخ اليعقوبي**، اليعقوبي، أحمد بن اسحاق (ت ٢٨٤هـ)، دار صادر، بيروت.

٣١ ـ **تحف العقول**، حسن بن علي الحرّاني، مؤسسة النشر الاسلامي، قم، ١٤٠٤هـ.

٣٢ ـ **تذكرة الخواص**، سبط بن الجوزي، يوسف بن فرغلي بن عبدالله البغدادي (ت ٦٥٤هـ)، شريف الرضي، قم، ١٤١٨هـ.

٣٣ ـ **تطهير الجنان واللسان**، شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني.

٣٤ ـ **تفسير ابن كثير**، ابن كثير، اسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ.

٣٥ ـ **تفسير الطبري**، محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ.

٣٦ ـ **تفسير فتح القدير**، الشوكاني، محمد بن علي (ت ١٢٥٠هـ)، دار الفكر، بيروت.

٣٧ ـ **تفسير القرطبي**، محمّد القرطبي، دار الشعب، مصر.

٣٨ ـ **تقييد العلم**، أحمد البغدادي، دار احياء السنة النبوية.

٣٩ ـ **تمام المتون**، الصفدي، خليل بن ايبك، ٦٩٦ ـ ٧٦٤ ق، المكتبة العصريّة، بيروت، ١٤١٩ق.

٤٠ ـ **تنوير الحوالك**، عبدالرحمن السيوطي، المكتبة التجارية الكبرىٰ، مصر ١٣٨٩هـ.

٤١ ـ **الثقات**، ابن حبان البستي التميمي (ت ٣٥٤هـ)، دار الفكر، ١٩٧٥م.

٤٢ ـ **جامع بيان العلم وفضله**، يوسف القرطبي (ت ٤٦٣هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٨هـ.

٤٣ ـ **الجامع في الحديث**، عبدالله بن وهب بن مسلم القربي (ت ١٩٨هـ)، دار ابن الجوزي، ط ١، ١٩٩٦م.

٤٤ ـ **الجمل**، الشيخ المفيد، أبي عبدالله محمّد بن محمّد النعمان العكبري البغدادي (ت ٤١٣هـ)، مكتبة الداودي، قم.

٤٥ ـ **جمهرة خطب العرب**، أحمد زكي صفوت، مكتبة العلمية، بيروت.

٤٦ ـ حياة الإمام الحسن بن عليّ عليه السلام، القرشي، باقر شريف، مطبعة الاداب، النجف الأشرف.

٤٧ ـ الخداع والحيلة.

٤٨ ـ خزانة الأدب، البغدادي، عبدالقادر بن عمر (ت ١٠٣٩هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م.

٤٩ ـ الخصائص الكبرى، جلال الدين عبدالرحمن السيوطي، دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ.

٥٠ ـ الخطابة في صدر الإسلام، محمّد طاهر درويش.

٥١ ـ الدرّ المنثور، السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٣م.

٥٢ ـ ديوان أبي الأسود الدؤلي، ابو الأسود الدؤلي.

٥٣ ـ ديوان الشعر العربي على مرّ العصور، جمع صلاح عبدالصبور.

٥٤ ـ ديوان الفرزدق، همام بن غالب الفرزدق.

٥٥ ـ رسائل الجاحظ، عمرو بن بحر الجاحظ، دار الحداثة للطبع والنشر، ١٩٨٨م.

٥٦ ـ رسالة الغفران، أوب العلاء أحمد بن عبدالله المصري، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ.

٥٧ ـ سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، دار الكتب العربي، بيروت.

٥٨ ـ سنن النسائي، النسائي أبي عبدالرحمن أحمد بن شعيب (ت ٣٠٣هـ)، مكتب المطبوعات الاسلامية، حلب، ١٩٨٦م.

٥٩ ـ السنّة قبل التدوين، محمّد حجاج الخطيب، مكتبة وهبة، ١٤٠٨هـ.

٦٠ ـ السيرة الحلبيّة، الحلبي، أبو الصلاح تقي بن نجم، ٣٧٤ ـ ٤٤٧ ق، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٣م.

٦١ ـ السيرة النبويّة برواية أهل البيت، علي دعموش العاملي.

٦٢ ـ السيرة النبويّة لابن كثير، أبي الفداء اسماعيل بن كثير (ت ٧٧٤هـ)، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٦م.

٦٣ ـ السيرة النبويّة لابن هشام، الحميري، الملك بن هشام بن أيوب (ت ٢١٨هـ)، دار الجبل، بيروت، ١٤١١هـ.

٦٤ ـ **شرح نهج البلاغة** ، ابن أبي الحديد ، عبدالحميد بن هبة الله ، ٥٨٦ ـ ٦٥٥ ق ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٦٧ م .

٦٥ ـ **شيخ المضيرة أبو هريرة** ، محمود أبو رية ، ١٣٨٥هـ ، دار المعارف ، مصر .

٦٦ ـ **صحيح البخاري** ، البخاري ، محمّد بن إسماعيل ، ١٩٤ ـ ٢٥٦ ق ، دار ابن كثير ، بيروت ، ١٤٠٧ق .

٦٧ ـ **صحيح مسلم** ، مسلم بن حجّاج ، ٢٠٤ ـ ٢٦١ ق ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٨٧ م .

٦٨ ـ **الصحيح من السيرة** ، العاملي ، جعفر مرتضى ، دار الحديث ، قم ١٤٢٩هـ .

٦٩ ـ **الصواعق المحرقة** ، ابن حجر الهيثمي ، ٩٠٩ ـ ٩٧٤ ق ، دار الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٥ م .

٧٠ ـ **الطبقات الكبرى** ، ابن سعد ، محمّد بن سعد ، ١٦٨ ـ ٢٣٠ ق ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٨ م .

٧١ ـ **عبدالله بن عمر ، مقوّماته الدينيّة والسياسيّة** ، القرشي ، باقر شريف ، الناشر ماهر ، قم ، ١٤٣٠هـ .

٧٢ ـ **العبقريّات الإسلاميّة** .

٧٣ ـ **العقد الفريد** ، ابن عبدربّه ، أحمد بن محمّد ، ٢٤٦ ـ ٣٢٨ ق ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٨٩ م .

٧٤ ـ **عيون الأخبار لابن قتيبة** ، عبدالله بن مسلم بن قتيبة ( ت ٢٧٦هـ ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٤هـ .

٧٥ ـ **الغدير** ، العلّامة الأميني ، عبدالحسين ، ١٢٨١ ـ ١٣٤٩ ق ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٨٥ م .

٧٦ ـ **الفتنة الكبرى** ، طه حسين ، دار الهلال .

٧٧ ـ **فتوح البلدان** ، أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري ، مطبعة لجنة البيان العربي ، القاهرة .

٧٨ ـ **فجر الإسلام** ، أحمد أمين ، دار الشباب للطباعة ، ١٩٧٨م ، ط ٢ .

٧٩ ـ **فصل الخطاب** ، سليمان بن عبدالوهاب ، مطبعة نحبة الاخيار ، ١٣٠٦هـ .

٨٠ ـ **القصائد الهاشميّات والقصائد العلويّات** ، الكميت بن زيد ، ابن أبي الحديد .

٨١ ـ الكامل في التاريخ، ابن الأثير، عليّ بن محمّد، ٥٥٥ ـ ٦٣٠ ق، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٥ م.

٨٢ ـ الكامل في اللغة والأدب، المبرد، أبي العباس محمّد بن يزيد (ت ٢٨٥هـ)، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٧م.

٨٣ ـ كتاب سليم بن قيس، الهلالي، سليم بن قيس (ت ٧٦هـ)، تحقيق محمّد باقر الأنصاري.

٨٤ ـ كشف الخفاء، اسماعيل العجلوني، دار احياء التراث العربي، ١٤٠٨هـ.

٨٥ ـ كشف الغمّة، الإربلي، عليّ بن عيسى، ٤٦٧ ـ ٥٣٨ ق، دار الأضواء، بيروت، ١٩٨٥ م.

٨٦ ـ كنز العمّال في سنن الأقوال والأفعال، المتّقي الهندي، عليّ بن حسام الدين ٨٨٨ ـ ٩٧٥ ق، مؤسّسة الرسالة، بيروت، ١٩٣٣ م.

٨٧ ـ لسان العرب، ابن منظور، محمّد بن مكرم، ٦٣٠ ـ ٧١١ ق، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥ م.

٨٨ ـ لسان الميزان، ابن حجر العسقلاني، أحمد بن عليّ ٧٧٣ ـ ٨٥٣ ق، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٢ م.

٨٩ ـ لطائف المعارف، الثعالبي النيسابوري، مخطوطات الهند.

٩٠ ـ مثالب العرب والعجم، هشام بن محمّد الكلبي (ت ٢٠٤هـ)، دار الهدىٰ، ١٩٩٨م.

٩١ ـ مجلّة الأضواء.

٩٢ ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الهيثمي، عليّ بن أبي بكر، ٧٣٥ ـ ٨٠٧ ق، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٢ م.

٩٣ ـ المحن، لأبي العرب، محمّد بن أحمد التميمي (ت ٢٥١هـ)، دار العلوم، الرياض، ١٩٨٤م.

٩٤ ـ مختصر تاريخ دمشق لابن منظور، محمّد بن مكرم (ت ٧١١هـ)، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٤م.

٩٥ ـ المختصر في أخبار البشر، أبو الفداء.

٩٦ ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر، المسعودي، عليّ بن الحسين (ت ٦٥٤ ق)، دار الأندلس، بيروت، ١٣٨٥ ق.

٩٧ ـ **المستدرك على الصحيحين**، الحاكم النيسابوري، أبي عبدالله محمّد بن عبدالله (ت ٤٠٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠م.

٩٨ ـ **مسند أحمد بن حنبل**، ابن حنبل، أحمد بن محمّد، ١٦٤ ـ ٢٤١ ق، مؤسّسة قرطبة، القاهرة، ١٩٨٢م.

٩٩ ـ **المعارف**، ابن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، دار المعارف، القاهرة.

١٠٠ ـ **معالم المدرستين**، العسكري، السيّد مرتضى، مؤسسة النعمان، بيروت، ١٩٩٠م.

١٠١ ـ **معجم البلدان**، الحمودي، أبي عبدالله ياقوت (ت ٦٢٦هـ)، دار الفكر، بيروت.

١٠٢ ـ **المغازي للواقدي**، محمّد بن عمر.

١٠٣ ـ **المنتظم**، ابن الجوزي، أبي الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمّد (ت ٥٩٧هـ)، دار صادر، ١٣٥٨هـ.

١٠٤ ـ **موسوعة سيرة أهل البيت / الرسول الأكرم** ﷺ، القرشي، باقر شريف، دار المعروف، ١٤٣٠هـ.

١٠٥ ـ **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، الذهبي، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٠م.

١٠٦ ـ **النزاع والتخاصم للمقريزي**، أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ).

١٠٧ ـ **النصائح الكافية**، محمّد بن عقيل العلوي (ت ١٣٥٠هـ)، دار الثقافة والنشر، قم.

١٠٨ ـ **النصّ والاجتهاد**، الإمام شرف الدين، عبدالحسين، ١٨٧٣ ـ ١٩٥٨م، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٥م.

١٠٩ ـ **نور الأبصار في مناقب آل بيت النبيّ المختار**، الشبلنجي، مؤمن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٦م.

١١٠ ـ **نهاية الإرب في فنون الأدب**، النويري، شهاب الدين أحمد البكري (ت ٧٣٣هـ)، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٤م.

١١١ ـ **نهج البلاغة**، بشرح شيخ محمّد عبده، تحقيق محمّد محي الدين عبدالحميد، دار الاسلتقامة.

١١٢ ـ **واقعة الجمل**، محمّد بن زكريا.

١١٣ ـ **وقعة صفّين**، نصر بن مزاحم (ت ٢١٢ ق)، مكتبة المرعشي ١، قم المقدّسة، ١٤١٨هـ.

# مُحتويات الكتاب


تقديم ..... ١٩
مقدّمة المحقّق ..... ١٩


## أبواه وصفاته

١٧ ـ ٥٠


أبو سفيان ..... ١٩
عبادته للأصنام ..... ٢٠
البخل ..... ٢١
الحسد ..... ٢١
النفاق ..... ٢١
عداؤه للنبيّ ﷺ ..... ٢٢
موقفه مع مَن أسلم ..... ٢٢
موقفه مع أبي طالب ..... ٢٢
في دار الندوة ..... ٢٣
واقعة بدر ..... ٢٣
تجارة أبي سفيان ..... ٢٣
نجاة أبي سفيان ..... ٢٣
استشارة النبيّ ﷺ أصحابه ..... ٢٤

التحام المعسكرين ..... ٢٥
المعركة الحاسمة ..... ٢٦
بسالة الإمام عليه السلام ..... ٢٦
**واقعة أُحُد** ..... ٢٧
قيادة أبي سفيان للمعركة ..... ٢٧
خروج النبيّ صلى الله عليه وآله ..... ٢٨
الحرب ..... ٢٩
موقف هند وأبي سفيان ..... ٣٠
بسالة الشهيد حمزة ..... ٣١
شهادة حمزة ..... ٣١
تمثيل هند بجسد حمزة ..... ٣١
شماتة أبي سفيان ..... ٣٢
لوعة النبيّ صلى الله عليه وآله على عمّه ..... ٣٣
اندحار المشركين ..... ٣٤
هزيمة المسلمين ..... ٣٤
نداء أبي سفيان ..... ٣٥
حماية الإمام عليه السلام للنبيّ صلى الله عليه وآله ..... ٣٥
انتهاء الحرب ..... ٣٦
رسالة أبي سفيان إلى النبيّ صلى الله عليه وآله ..... ٣٦
جواب النبيّ صلى الله عليه وآله ..... ٣٦
**فتح مكّة وإسلام أبي سفيان** ..... ٣٧
تصميم النبيّ صلى الله عليه وآله على فتح مكّة ..... ٣٧
زحف الجيش الإسلامي إلى مكّة ..... ٣٨

العبّاس وأبو سفيان ..... ٣٨
أبو سفيان أمام النبيّ ﷺ ..... ٣٩
أبو سفيان في مضيق الوادي ..... ٤٠
ألطاف النبيّ ﷺ على أبي سفيان ..... ٤١
نداء أبي سفيان ..... ٤١
معارضة هند ..... ٤٢
دخول النبيّ ﷺ مكّة ..... ٤٢
تطهير الكعبة من الأصنام ..... ٤٣
أذان بلال ..... ٤٣
بيعة الرجال للنبيّ ﷺ ..... ٤٤
بيعة النساء ..... ٤٤
موقف النبيّ ﷺ من أبي سفيان بعد إسلامه ..... ٤٥
موقف أبي سفيان بعد وفاة النبيّ ﷺ ..... ٤٦
موقف أبي سفيان من أبي بكر ..... ٤٦
عمر وأبو سفيان ..... ٤٧
عثمان وأبو سفيان ..... ٤٧
هند بنت عتبة ..... ٤٨

## نشـــأته

### ٥١ ـ ٦٤

تعاطي الخمر ..... ٥٣
الزنا ..... ٥٤
النهم في الطعام ..... ٥٤

الخلاعة والمجون ..... ٤٤
صفاته ..... ٥٧
الغدر ..... ٥٧
١ ـ الإمام الحسن عليه السلام ..... ٥٧
٢ ـ سعد بن أبي وقّاص ..... ٥٧
٣ ـ عبدالرحمن بن خالد ..... ٥٨
الخداع ..... ٥٨
البطش والجبروت ..... ٦٠
شراؤه للأديان ..... ٦١
هبات الأموال للمنحرفين عن الإمام عليّ عليه السلام ..... ٦٢
التفريق بين خصومه ..... ٦٢
عزمه على إبادة الموالي ..... ٦٣

## سياسته الماليّة

٦٥ ـ ٧١
منح خراج مصر لابن العاص ..... ٦٧
مصادرة أموال الناس ..... ٦٨
نهب ولاته لأموال الناس ..... ٦٩
ظلم الجباة ..... ٧٠
اصطفاء الذهب والفضّة ..... ٧٠
حجّة معاوية ..... ٧١

## مروقه عن الدين

٧٣ ـ ١٠٤


الحقد على النبيّ ﷺ ..... ٧٥
تعطيل الحدود ..... ٧٧
إباحة الربا ..... ٧٨
الأذان في صلاة العيد ..... ٧٩
الخطبة قبل صلاة العيد ..... ٧٩
أخذ أموال الناس ..... ٨٠
تطيّبه في الإحرام ..... ٨٠
ترك التلبية في الإحرام ..... ٨٠
الجمع بين الأُختين ..... ٨٠
أخذ الزكاة من الأُعطية ..... ٨١
استعمال أواني الذهب والفضّة ..... ٨١
صلاة الجمعة يوم الأربعاء ..... ٨١
إتمام الصلاة في السفر ..... ٨١
ترك سنّة التكبير في الصلاة ..... ٨٢
ترك البسملة ..... ٨٢
نقصان الديات ..... ٨٢
إلحاق زياد بنسبه ..... ٨٢
احتقاره للأنصار ..... ٨٣
لبسه للحرير ..... ٨٤
افتعال الأحاديث ..... ٨٥
أصناف الأحاديث الموضوعة ..... ٨٦

في فضل أبي بكر ..... ٨٦
فضائل عمر بن الخطّاب ..... ٩٠
في فضل عثمان ..... ٩١
أمر معاوية بالإحجام عن افتعال الحديث في فضل عثمان .. ٩٤
في فضل معاوية ..... ٩٤
الإمام الباقر عليه السلام يشجب الأحاديث في فضل الصحابة ..... ٩٩
افتعال الحديث للحطّ من قيمة أهل البيت عليهم السلام ..... ١٠١
التوقّف فيما يروى عن النبيّ صلى الله عليه وآله ..... ١٠١
عدد الوضّاعين ..... ١٠٢
المنع من تدوين الحديث ..... ١٠٢

## معاوية في عهد عمر وعثمان

### ١٠٥ ـ ١٣١

حكومة عثمان ..... ١١٠
الفساد الإداري ..... ١١١
هباته للأمويّين ..... ١١١
١ ـ أبو سفيان ..... ١١٢
٢ ـ الحارث بن الحكم ..... ١١٢
٣ ـ عبدالله بن سعد ..... ١١٢
٤ ـ الحكم بن أبي العاص ..... ١١٢
٥ ـ الوليد بن عقبة ..... ١١٣
٦ ـ مروان بن الحكم ..... ١١٤
ولاته ..... ١١٦

١ ـ الوليد بن عقبة ..... ١١٦
٢ ـ سعيد بن العاص ..... ١١٨
٣ ـ عبدالله بن عامر ..... ١٢٠
٥ ـ عبدالله بن سعد ..... ١٢٣
٦ ـ معاوية بن أبي سفيان ..... ١٢٣
القوى المعارضة ..... ١٢٤
التنكيل بالمعارضين ..... ١٢٥
الثورة على عثمان ..... ١٢٧
١ ـ الوفد المصري ..... ١٢٨
٢ ـ الوفد الكوفي ..... ١٢٨
٣ ـ الوفد البصري ..... ١٢٨
استنجاده بمعاوية ..... ١٢٩
الإجهاز على عثمان ..... ١٣٠

## حكومة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام

## ١٣٣ ـ ١٩٩

قرارات بالغة الأهمّيّة ..... ١٣٥
١ ـ تأميم الأموال المختلسة ..... ١٣٥
فزع الأمويّين ..... ١٣٦
إقصاء معاوية وسائر الولاة ..... ١٣٧
فزع القرشيّين ..... ١٣٧
موقف الإمام عليه السلام من قريش ..... ١٣٨
تمرّد عائشة ..... ١٣٩

الخطاب السياسي لعائشة في مكّة ..... ١٤١
خديعة معاوية للزبير ..... ١٤١
الزحف لاحتلال البصرة ..... ١٤٤
ماء الحوأب ..... ١٤٥
في ربوع البصرة ..... ١٤٦
احتلال البصرة ..... ١٤٨
زحف الإمام للقضاء على تمرّد عائشة ..... ١٤٨
الحرب العامّة ..... ١٤٨
تمرّد معاوية ..... ١٤٩
استدعاء معاوية لابن العاص ..... ١٥٠
رسالة الإمام عليه السلام لابن العاص ..... ١٥٢
إيفاد جرير ..... ١٥٤
أهمّ الرسائل المتبادلة بين الإمام عليه السلام ومعاوية ..... ١٥٧
كتاب معاوية ..... ١٥٧
جواب الإمام عليه السلام ..... ١٦٠
زحف معاوية لصفّين ..... ١٧١
خروج الإمام عليه السلام لحربه ..... ١٧١
القتال على الماء ..... ١٧٢
رسل السلام إلى معاوية ..... ١٧٢
الحرب ..... ١٧٣
مصرع عمّار ..... ١٧٤
هزيمة معاوية ..... ١٧٧
مكيدة ابن العاص ..... ١٧٨

التحكيم ..... ١٨٢
رجوع الإمام عليه السلام إلى الكوفة ..... ١٨٣
اجتماع الحكمين ..... ١٨٣
إعلان الحكم ..... ١٨٥
معاوية مع ابن عمر ..... ١٨٩
معاوية والأشعريّ ..... ١٩٠
تفلّل جيش الإمام عليه السلام ..... ١٩٠
احتلال مصر ..... ١٩٢
قوى معاوية تحتلّ الحجاز واليمن ..... ١٩٢
الغارات على العراق ..... ١٩٤
عين التمر ..... ١٩٤
هيت ..... ١٩٥
واقصة ..... ١٩٥
دعاء الإمام عليه السلام على نفسه ..... ١٩٦
شهادة الإمام عليه السلام ..... ١٩٧

## خلافة الإمام الحسن بن عليّ عليهما السلام

٢٠١ ـ ٢٠٧
١ ـ الاعتداء على الإمام الحسن عليه السلام ..... ٢٠٤
٢ ـ الحكم عليه بالكفر ..... ٢٠٤
٣ ـ نهب أمتعة الإمام عليه السلام ..... ٢٠٥
٤ ـ الخيانة العظمى ..... ٢٠٥
حتميّة الصلح ..... ٢٠٥
ندم معاوية ..... ٢٠٧

## حكومة معاوية

٢٠٩ ـ ٢٧٠

سبّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ..... ٢١١
إنكار ابن عبّاس على السابّين للإمام عليه السلام ..... ٢١٤
الأحنف بن قيس ومعاوية ..... ٢١٧
السيّدة أُمّ سلمة مع معاوية ..... ٢١٨
سعد بن أبي وقّاص مع معاوية ..... ٢١٩
التنكيل بشيعة أهل البيت عليهم السلام ..... ٢٢١
القتل الجماعي ..... ٢٢٢
سبي النساء ..... ٢٢٢
هدم الدور ..... ٢٢٢
الحرمان من العطاء ..... ٢٢٣
عدم قبول شهادة الشيعي ..... ٢٢٣
تصفية رموز التشيّع ..... ٢٢٣
حجر بن عدي ..... ٢٢٤
ضحايا العقيدة من أصحاب حجر ..... ٢٢٩
عبدالرحمن العنزي ..... ٢٢٩
صيفي بن فسيل ..... ٢٣٠
قبيصة بن ربيعة ..... ٢٣٢
الانكار على معاوية ..... ٢٣٤
الإمام الحسين عليه السلام ..... ٢٣٤
الشهداء من شيعة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ..... ٢٣٥
رُشَيد الهجري ..... ٢٣٥

عبدالله الحضرمي وأصحابه ..... ٢٣٧
جويرية العبدي ..... ٢٣٧
عمرو بن الحمق الخزاعي ..... ٢٣٨
الترويع والارهاب ..... ٢٤١
محمّد بن أبي حذيفة ..... ٢٤١
عبدالله بن هاشم المرقال ..... ٢٤٣
عبدالله بن خليفة الطائي ..... ٢٤٥
صعصعة بن صوحان ..... ٢٤٦
المغيرة مع صعصعة ..... ٢٤٩
جارية بن قدامة ..... ٢٥٠
عدي بن حاتم ..... ٢٥١
ترويع نساء الشيعة ..... ٢٥٣
١ ـ الزرقاء بنت عدي ..... ٢٥٣
٢ ـ أُمّ الخير البارقيّة ..... ٢٥٥
٣ ـ سودة بنت عمارة ..... ٢٥٦
٤ ـ أُمّ البراء بنت صفوان ..... ٢٥٩
٥ ـ بكارة الهلاليّة ..... ٢٦١
٦ ـ الدارميّة الحجونيّة ..... ٢٦٢
البيعة ليزيد ..... ٢٦٤
واقعة الحرّة ..... ٢٦٩
هلاك معاوية ..... ٢٧٠
مَصادِرُ الكتابِ ..... ٢٧١
مُحتوياتُ الكتابِ ..... ٢٧٨